

مخلفات الرسول في المسجد الحسيني

تأليف

الدكتوره سعاد ماهر محمد



دار النشر لجامعة القاهرة

١٩٨٩

مخلفات الرسول في المسجد الحسيني

تأليف
الدكتوره سعاد ماهر محمد

دار النشر لجامعة القاهرة
١٩٨٩

يا عين ان بعد الحبيب وداره

ونأت مرابعـــه وشط مزاره

فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل

ان لم تريه فهـــذه آثـــاره

تصـــدير

أنه لشرف عظيم لجامعة القاهرة ان تتولى نشر هذا الكتاب القيم : القيم من حيث الموضوع الذى يتناوله ، وهـو « مخلفات الرسـول فى المسـجد الحسينى » والقيم كذلك من حيث الجهـد الذى بذل فى تأليفه ، والخطة العلمية السليمة التى اتبعت فى جمع معلوماته وحسن عرضها . ويشرف جامعة القاهرة كذلك أن هذا الكتاب القيم وضعته أستاذة جليلة وعالمة فاضلة قديرة ، وهى السيدة الاستاذة الدكتورة سعاد ماهر محمد عميدة كلية الآثار سابقا ، والاستاذة المتفرغـة بالكلية . ان الاسـتاذة الدكتورة سعاد ماهر محمد هى قيمة جامعية كبيرة وصاحبة فضل عظيم على كلية الآثار وعلى جامعة القاهرة . وهذا المؤلف الذى تشرف جامعة القاهرة بنشره هـو انتاج علمى عظيم يعبر عن الامـكانيات العلميـة الكبيرة التى تحظى بهـا الاسـتاذة الدكتورة سـعاد ماهر محمد ، وهى امكانيات وضعتها فى قمة العمل العلمى فى مجال الدراسات الأثرية الاسلامية .

ان هذا الكتاب يتناول موضوعا له قيمته الدينية الكبيرة ، وهو يشبع من هذه الوجه لدى القـارىء عاطفة دينية تواقة الى التعرف على كل ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه المخلفات قد اتصـلت به اثناء حياته ، فحملت اشعاعا من بركاته ونوره ، وهى بعـد انتقاله الى الرفيق الأعلى تمثل رصيدا فى ضمير كل مسلم يذكره بصاحبها عليه الصلاة والسلام ، فيحفزه هذا التذكر على التأسى به ، والتماس القدوة الحسنه فى شخصيته العظيمة الرائدة .

انى احيى السيدة الاستاذة الجليلة مؤلفة هذا الكتاب واعبر عن التقدير العظيم للجهـد الكبير الذى بذل فيه ، وللنهج العلمى الصحيح الذى اتبع فى تأليفه .

وانى أرجو أن ينتفع بهذا الكتاب كل مؤمن محب للرسول عليه الصلاة والسـلام ، وكل باحث فى الآثار الاسلامية يبتغى المزيد من العلم فى هذا المجال الخصب من الدراسـات الذى تحرص جامعة القاهرة على تنميته واثرائه .

الدكتور/ محمود نجيب حسنى
رئيس جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

يشرفنى أن أقـدم للقراء فى كـل مكان كتابا لعـالمة الآثار الجليلة العميدة الأسـتاذة الدكتورة / سعاد ماهر ، • وهو كتـاب تنبـع أهميته من قيمتين غاليتين على نفس كل مسلم: قيمته الدينية اذ يتناول الكتاب آثارا عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام • وقيمته العلمية المستمدة من الجهد الخارق والدؤوب الذى بذلته العالمة الفاضـلة مؤلفة الكتاب فى البحث والتنقيب والتحليل للتوصل الى نتائج علمية محددة •

وقد بدأت صلتى بالكتاب منذ عدة شهور عندما دعتنى الاستاذة مؤلفة الكتاب مع صحب كريم من أساتذة جامعة القاهرة ، لزيارة مسجد الحسين رضى الله عنه • وشاهدنا هناك سـيف الرسول عليه الصلاة والسلام وبعضا من آثاره الطاهره •

وفى المسجد الكريم ، تلقيت نسخة هدية من الكتاب فى طبعته الأولى ، وعلمت أن الطبعـة قد نفدت • فشـعرت بأن من واجب جـامعة القاهرة ان تشرف بتقـديم طبعته الثانية حتى يعم نفعـه •

وانى اذ أقـدم هـذه الطبعة للجمهور ، لا يسعنى الا أن أقدم الشكر للمؤلفة الكبيرة لتنازلها عن حقها فى هذه الطبعة لجامعة القاهرة ، كما أقدم شكرى لكل العاملين بمطبعة الجامعة •

ا•د/ فتحى والى
نائب رئيس جامعة القاهرة
لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للسيد المهندس أحمد عبده الشرباصى

نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر

من أعزّ ما تعتز به القاهرة ، عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، أنها تضم بين جوانبها ، بل بين جوانحها ، بقية طاهرة من بقايا المخلّفات النبوية الشريفة ، محفوظة بمشهد سيد الشهداء الإمام الحسين رضوان الله عليه ، وهذه المخلفات هى : ثلاث قطع كبيرة من النسيج من اللباس النبوى الشريف ، وقطعة من القضيب وهى التى عبر عنها الجبرتى بقطعة عصا ، والمكحلة والميل (المرود) ، وقد ضُم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة . كما أضيف إلى المخلفات النبوية المصحفان المنسوبان إلى سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علىّ بن أبى طالب .

والمخلفات النبوية الشريفة ، سواء ما كان منها فى مصر أو غيرها من بلاد العالم الإسلامى كانت دائما موضع اهتمام المسلمين ورعايتهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومحل تكريمهم وإعزازهم ، تتطلع إليها قلوبهم وتهفو لها أرواحهم ،

ويستروحون من خلال نفحاتها الزكية نفحات صاحب الرسالة الخالدة والمثل الأعلى للإنسانية صلوات الله عليه .

ولقد كان المشهد الحسينى مثابة العديد من أبناء الأمم الاسلامية الذين يزورون القاهرة ويحرصون على التبرك برؤية الآثار النبوية الشريفة الموجودة بهذا المشهد ومنهم رؤساء الدول الاسلامية ووزراؤها ، وكثيرا ما أبدوا رغبتهم فى الإلمام بتاريخ هذه المخلفات الطاهرة ومعرفة كل ما يتصل بها ، إلا أن تفرق المعلومات الخاصة بها بين كثير من المراجع وكتب السير والتاريخ التى لا يتيسر الرجوع إليها إلا لقلة قليلة جعل من العسير تحقيق هذه الرغبة على النحو الذى يرضى الحقيقة العلمية والتاريخية .

ولهذا رأت وزارة الأوقاف ضرورة وضع كتاب فى هذا الموضوع يجمع المعلومات المتفرقة عنه ويحققها تحقيقا علميا يطمأن إليه ، وعهدت بتأليفه إلى الدكتورة سعاد ماهر الأستاذة المساعدة بكلية الآداب بجامعة القاهرة : وقد تناولت المؤلفة بالبحث كل ما يتصل بتاريخ المخلفات النبوية فعرضت للمشهد الحسينى من الناحية الأثرية والتاريخية ، والأماكن التى حفظت فيها المخلفات النبوية قبل أن يستقر بها المقام فى مكانها الحالى ، ثم استعرضت المخلفات ذاتها أثرا أثرا على وجه التفصيل فأوردت أوصافها والأخبار المذكورة عنها فى رواية من سبق من المؤرخين واتبعت ذلك بدراسة المخلفات دراسة تطبيقية وفنية وتحليلية ، فجاء الكتاب شاملا كل ما يمكن أن يتطلع القارئ إلى معرفته فى هذا

الموضوع الجليل ، الذى يزيده جلالة اتصاله بسيرة صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه

ويسر وزارة الأوقاف أن تسهم فى تقديم هذا الكتاب ونشره بين أبناء العالم الإسلامى تحية طيبة إلى مقام النبى الكريم ونفحة من نفحاته الزكية يطيب للمسلمين أن يلموا بها كلما استشرفوا سيرته العاطرة فى عليا آفاقها وما أكثر مايستشرفونها بالتوقير والإجلال وبالحمد والرضوان .

مقدمة

من توفيق الله أن هيأ من الأسباب ما أتاح لى أن أعيش بضعة أشهر مع المخلفات النبوية ، استروح نفحاتها المحمدية واستمتع بها ، فقد طلبت إلىَّ وزارة الأوقاف أن أكتب عن المخلفات النبوية الموجودة بمشهد الإمام الحسين ، وعن المصحفين المنسوبين إلى الخليفتين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما والموجودين أيضا بالمشهد الحسينى .

وإنه ليسعدنى أن يكون لى شرف دراسة هذه المخلفات ، فأملأ العين والقلب منها ، بل واليدين ، تيمنا بها حسا ومعنى . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الاحتفاظ بما يصل إليهم من الآثار النبوية للتبرك بها . فقد جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم حلق رأسه بمنى ثم دعا أبا طلحة الأنصارى فأعطاه الشعر ، وقال له أقسمه بين الناس . وإنما قسّمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكره لهم . وعن ابن أبى الدنيا قال ، إن آخر خطبة خطبها معاوية بن أبى سفيان أوصى فيها ولده يزيد ، إذ دنا أجله ، أن يستودع معه ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقراضة من شعره وأظفاره ، وأمره أن يستودع القراضة أنفه وفمه وأذنه وعينيه وأن يجعل الثوب مما يلى جلده دون لفافة .

وإن فى وجود هذه المخلفات النبوية فى مسجد الإمام الحسين ، واختيار هذا المسجد ليكون مقرها ومستودعها ، دون غيره من المساجد التى تزخر بها مدينة القاهرة ، ويربو عدد الأثرى منها على ستمائة بين مسجد ومشهد ومدرسة وخانقاة ، ما يوحى بأفضليته ومكانته ، وكفى أنه مشهد الحسين سبط الرسول

صلوات الله عليه ، وابن فاطمة البتول رضوان الله عليها . لهذا ولاعتبارات أخرى أثرية وتاريخية رأيت أن يتناول بحثى أيضا مشهد الحسين . ولكى أحدد الجزء الأثرى من المسجد الحالى ، ولأبين الإضافات والتجديدات التى تمت فى عهد الثورة المباركة والتى لم يسبق الكلام عليها .

وإذا جاز الكلام على المسجد ، فمن الواجب أن يتناول صاحب المسجد رضى الله عنه ، كما يتناول موضوع الرأس الشريف ، وهل هو مدفون بهذا المسجد ؟ فإن البلاد الإسلامية كلها تقريبا تزعم أن الرأس مدفون فيها ، حباً فى أبى الشهداء ورغبة فى أن تصير قبلة زوار أهل البيت الطاهرين وأبنائهم البررة الصالحين .

على أن المتصدى للكتابة عن المخلفات النبوية ، لابد له أن يتناول بالبحث الأماكن التى حفظت فيها ، منذ أن وصلت أرض الكنانة فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، حتى استقرت فى مثواها الأخير بالمشهد الحسينى . لذلك تناولت فى إيجاز وصف (رباط الآثار) بأثر النبى (بمصر القديمة) وكذا قبة الغورى (بالغورية بحى الأزهر) .

وقد نهجت فى بحثى ودراستى للموضوعات السالفة الذكر ، المنهج الأثرى والتاريخى . وعلى ضوء هذين المنهجين ، استطعت أن أصل إلى ترجيح رأى أو قول ، أعتقد أنه أقرب ما يكون اتفاقا مع المنطق والواقع .

أما عن دراستى للمخلفات ، فإلى جانب الدراسات التاريخية التى تواترت فى كثير من كتب السيرة والمراجع التاريجية ، وأخص بالذكر منها كتاب أحمد تيمور (الآثار النبوية) ، الذى عنى بجمع معظم ما كتب عن بعض هذه المخلفات — إلى جانب هذه الناحية — فقد درستها من الناحية التطبيقية والفنية والتحليلية دراسة استطعت معها أن أصل فى كثير منها إلى رأى قاطع أو القول الراجح .

هذا ولا يفوتنى أن اذكر بالشكر تلك المعاونة الصادقة التى قدمها لى الشيخ حلمى عرفة شيخ المسجد الحسينى وكذلك الأستاذ عبد الفتاح عيد الذى عنى عناية خاصة بتصوير المخلفات النبوية حتى خرجت فى هذه الصورة الواضحة الظاهرة . كذلك أقدم خالص الشكر للاستاذ محمد عدلى أباظه مدير إدارة الهندسة بوزارة الأوقاف للمعلومات القيمه التى أمدنا بها ، الخاصة بالأعمال التى تمت فى المسجد الحسينى فى عهد الثورة المباركة . كما أخص بالشكر القائمين على معمل التحليل الكيميائى التابع لمصلحة الآثار وعلى رأسهم الدكتور زكى اسكندر مدير المعمل ، والأستاذ عبد اللطيف عرفان وكيل المعمل والأستاذ حافظ شوشه أخصائى النسيج ، وجميع الذين قاموا بفحص وتحليل المخلفات كى نصل إلى رأى علمى قاطع .

أما وزارة الأوقاف وعلى رأسها السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والسيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى وكيل وزارة الأوقاف لشئون الخدمات فإليها يرجع الفضل فى ظهور هذا الكتاب فهى أولاً صاحبة الدعوة لإجراء هذا البحث وإحياء ذكرى هذه المخلفات ، وهى أخيرا صاحبة اليد البيضاء إذ تولت طبع الكتاب على نفقتها فجاء فى هذه الطبعة الفاخرة. وسيكون لهذه اليد الكريمة المحسنة ، أثرها ونفعها وأجرها فان الله لايضيع أجر من أحسن عملا .

وبعد ، فإنى لا أدعى أنى أتيت فى هذا البحث بالقول الفصل ، أو بمالم يأت به الأوائل ، فما أنا إلا رائدة ، أمهد الطريق ، بما وفقت إليه من قول ورأى ، لمن يليني ممن يكتبون فى هذا الموضوع ، والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل .

الجيزة — الهرم فى ربيع الأول سنة ١٣٨٥ .

يوليو سنة ١٩٦٥ — د . سعاد ماهر محمد

مشهد الحسين

الإمام عبد الله الحسين بن على رضى الله عنه اسم ملأ فى عصره وبعده كل مكان فى البلاد العربية والإسلامية وغيرها من المعمورة ، فهو غنى عن التعريف بنسبه الشريف ومكانه من محبة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما تحلى به من الفضائل والمناقب وما بذله من جهاد وتضحية فى سبيل العقيدة ورعاية الحق والأنفة من الضيم .

وقد أصبح الحسين بعد مأساة كربلاء سيد الشهداء ورمز الإيمان والفداء وموضع الحب والتقدير والاكبار . وقد بلغ الحسين بنسبه الشريف وخلقه الكريم وورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين ، مكانة فى قلوب الناس لا تدانيها مكانة ، فغدا محبوب كل فرد ومثله الأعلى فى الشجاعة والإيثار والتضحية والفداء ، رضى الله عنه وأرضاه .

وإذا كان هذا البحث سيتناول فيما يتناول مشهد الحسين بالقاهرة ، فلابد لى أولا من كلمة عن مكانة صاحب المشهد والأحداث الخطيرة التى مر بها .

والإمام الحسين هو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ولد لخمس خلون من شعبان فى السنة الرابعة[1] بعد الهجرة وقيل فى السنة الثالثة[2] ، وسمى حربًا لميل العرب

---

(١) القرمانى ص ١٠٦ . ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى فى مناقب الحسن والحسين ص ١٤ ، أسد الغابة لابن الأثير حـ ٢ ، مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى ص ١٣٨ ، المفيد فى الإرشاد فى حجج الله على العباد ص ٢٠٣ ، الصبان ص ١٣٤ .

(٢) الكافى للكلينى ص ٢٣٨ ، رياض الجنان فى مشتهى الجنان ص ٢٥٤ .

الشجاعة وما يدل عليها ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام سماه حسينًا ، وقد ورد فى مسند أحمد بن حنبل[1] وغيره عن على رضى الله عنه أنه قال: « لما ولد الحسن سميته حربًا فجاء رسول الله (ﷺ) فقال : أرونى ابنى ما سميتموه . قلت حربًا ، قال بل هو حسن ، فلما ولد الحسين سميته حربًا ، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال أرونى ابنى ما سميتموه ، قلت حربًا فقال بل هو حسين » . كما يروى أن الرسول (ﷺ) عَقَّ عنه يوم سبوعه بكبش ، وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة وأذن فى أذنه ودعا له . وقد كنى بأبى عبد الله وجاء فى نور الأبصار[2] ، كنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه كثيرة ، أشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به الرسول (ﷺ) فى قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فانه صح عن رسول الله (ﷺ) .

وكانت مناقبه[3] رضوان الله عليه حديث العام والخاص فى حياته وقد خلدها التاريخ على صفحات الزمان بعد مماته فمن صفاته البارزة الجود ، روى ابن عساكر[4] عن أبى هشام القناد أنه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع

---

(١) مسند ابن حنبل ص ١٨ . الطبرى فى الرياض النضرة ، أسد الغابة جـ ٢ .

(٢) نور الأبصار للشبلنجى ص ١٥٢ . المفيد فى الإرشاد ص ٢٠٣ .

(٣) لقد زخرت كتب سيرة الحسين وأفاضت فى ذكر مناقبه وفضائله ، كالجود والشجاعة والوفاء والفراسة ومكارم أخلاقه وآدابه وعلمه وورعه وتقواه فكان لابد من الإشارة إلى شىء منها : عيون الأخبار لابن قتيبه جـ ٣ ص ١٤٠ ، رسالة فى الآداب والحكم (طبعة الجوائب) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٣٠٣ ، لواعج الأشجان لحسن بن عبد الكريم الحسينى ص ١٤ . مناقب آل الرسول الفصل السابع ، المختار لأبى أحمد المقرى الأنبارى .

(٤) التاريخ الكبير لابن عساكر جـ ٤ ص ٣١٢ .

من البصرة ولعله لا يقوم حتى يهب عامته ، ويقول ابن عساكر[١] ، إن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرك من خلف مابك الحلقه
أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقه

وكان الحسين واقفًا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابى ، فرأى عليه أثر ضر وفاقة ، فرجع ونادى بقنبر فأجابه ، لبيك يا ابن رسول الله ، قال ما تبقى معك من نفقتنا ، قال مائتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك ، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابى . وقد روى أحمد[٢] بن سليمان بن على البحرانى أن الحسين كان جالسًا فى مسجد جده رسول الله (ﷺ) بعد وفاة أخيه الحسن عليهما السلام ، وكان عبدالله ابن الزبير جالسًا فى ناحيه من المسجد ، وعتبة بن أبى سفيان فى ناحية أخرى ، فجاء أعرابى على ناقة فعقلها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة ابن أبى سفيان فسلم عليه فرد السلام فقال له الاعرابى ، إنى قتلت ابن عم لى وطولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئًا ، فرفع رأسه إلى غلامه وقال : ادفع إليه مائة درهم . فقال الأعرابى ما أريد إلا الدية تمامًا ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له ما قال لعتبه فقال ابن الزبير لغلامه ادفع إليه مائتى درهم ، فقال الأعرابى ما أريد إلا الدية تمامًا ، ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام ، فسلم عليه وقال يا ابن رسول الله إنى قتلت ابن عم لى وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئًا . فقال له : يا أعرابى نحن قوم لا نعطى المعروف إلا على قدر المعرفة ،

---

(١) ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٢) عقد اللآل فى مناقب الآل ص ٠٧٣.

فقال (الأعرابي) سل ما تريد فقال له الحسين ، يا أعرابي ما النجاة من الهلكة ، قال التوكل على الله عز وجل ، فقال وما الهمة قال الثقة بالله ، ثم سأله الحسين غير ذلك وأجاب الأعرابي فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال وهذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك .

وكان الحسين مع جوده الذى امتاز به وكرمه الذى كان مضرب الأمثال لا يجاوز حد السخاء إلى الإسراف والتبذير[١] ، فمن أقواله المألوفة « لاتتكلف مالا تطيق ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد . ويروى أن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام ، إنك أسرفت فى بذل المال ، فقال بأبي أنتما وأمى ، إن الله عودنى أن يتفضل علىَّ وعودته أن اتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة .

وكان الحسين شجاعا[٢] مقداماً منذ صباه ، فقد رُوِىَ أن من بين المفاخر التى افتخر بها بنو هاشم على بنى أمية قولهم « مَن مثل الحسين بن على عليهما السلام يوم (ألطف) ما رأينا مكثوراً قد أفرق من أخوته وأهله وأنصاره أشجع منه ، كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً . ولقد آثر الموت تحت ظلال السيوف حفاظًا على مكانته وكرامته ، وحسبك أنه قاتل مع قلة من أنصاره جيوش يزيد وهو فى العراء وفى غير حصن وعلى غير ماء . وقليل ممن عُرفوا

---

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ٨١ ، القزوينى : عجائب المخلوقات ص ٣٠٧ ، أسرار الحكماء لياقوت المستعصى ص ٥٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١٥ مجلد ٣ ص ٤٨٢ ، اسعاف الراغبين ص ١٣٤ . مطالب السئول فى مناقب آل الرسول لابن أبى طلحة ص ٣٩ وكشف الغمة للاربلى .

بالشجاعة بل يكاد لا يوجد منهم من يقدم على ما أقدم عليه الحسين يوم كربلاء .

وقد تواتر فى كثير من المراجع[١] أن الحسين كانت له صلوات يؤديها فى اليوم والليلة غير الصلوات المفروضة الخمس[٢] .

ومن تواضعه ما رواه ابن عساكر[٣] أنه مرَّ يومًا بمساكين يأكلون فى الصفة فقالوا الغداء فنزل وقال إن الله لايحب المتكبرين فتغدى معهم ،ثم قال لهم قد أجبتكم فأجيبونى ، فقالوا نعم فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته ، أخرجى ما كنت تدخرين .

وجاء فى مناقب أبى حنيفة[٤] عن آدابه وآداب أخيه ، أن سبطى رسول الله (ﷺ) كانا على شط الفرات ، إذ نظرا إلى شيخ أعرابى خفَّف الوضوء والصلاة ، فقالا لو قلنا له عن غلطه ربما لا ينقاد إلى الحق ، فقالا له ، نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا ، فنتوضأ ونصلى عندك ، فإن كان عندنا قصور فعلمنا فتوضيآ وصليا كما رأيا من جدهما (ﷺ) فتنبه الشيخ إلى غلطه وتاب ورجع عنه .

أما عن علم الحسين رضى الله عنه وفضله فتحدثنا المراجع بأن الناس كانوا يقدمون على الحسين وينتفعون بما يُسمع منه ويضبطون ما يروون عنه ، فمن أقواله فى الشئون العامة كتابه إلى معاوية الذى جاء فيه[٥] : « أما بعد فقد

---

(١) أبو الفدا جـ ١ ص ٢٠٢ ، منهاج الكرامة ص ١٢٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٦٧ .
(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية .
(٣) التاريخ الكبير جـ ٤ ص ٣٢٣ .
(٤) مناقب أبى حنيفة لمحمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردى جـ ١ ص ٣٩ .
(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة جـ ١ ص ٢٨٤ ، اختيار الرجال للطوسى ص ٣٢ .

بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور أنت لى عنها راغب وأنا بغيرها عنك جدير وأن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها إلاّ الله تعالى . وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عنى فإنه رقاه إليك الملاّقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون ، ما أردت لك حربًا ولا عليك خلافًا وإنى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الأعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين ، ألست القاتل حجر ابن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون فى الله لومةلائم ، ثم قتلتهم ظلمًا وعدوانًا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة جرأة على الله واستخفافًا بعهده . أو لست قاتل عمرو بن الحمِق صاحب رسول الله (ﷺ) بعد ما أمنته وأعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال » « وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ، وأن تردهم إلى فتنة ، وإنى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد (ﷺ) أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وإن تركته فإنى استغفر الله لدينى وأسأله توفيقه لارشاد أمرى ..... إلخ » .

ومن أقواله المأثورة فى المواعظ والحكم : « حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما » . وقال « صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فاكرم وجهك عن رده » وقال « الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة

نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبة » وقال رضى الله عنه فى خطبة[1] له :

« أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا فى المغانم واكتسبوا الحمد بالمنح واعلموا أن المعروف يكسب حمدًا ويعقب أجرًا . ومن جاد ساد ومن بخل ذل وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن مقدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين » .

كذلك تواترت الروايات على أن الحسين كان يقول الشعر وبخاصة فى أغراض الحكمة وأنه كان خطيبًا بما أوتى من طلاقة اللسان والفصاحة وحسن البيان .

وقد شهد الحسين مع أبيه موقعة الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وكانت له فى كل منها مواقف مشهودة ، وبقى مع والده حتى قتل . ويؤخذ من سيرة علىّ كرم الله وجهه أن الحسين حين كان معه بالعراق لم ينزل قصر الإمارة بالكوفة ، لأن أمير المؤمنين نفسه لم ينزله حين قدمها من البصرة بعد يوم الجمل فى رجب سنة ست وثلاثين . ويقول ابن أبى الحديد[2] ، إنه دخل الكوفة ومعه أشراف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أتنزل القصر ، قال لا ولكننى أنزل الرحبة فنزلها . وجاء فى طبقات ابن سعد[3] ، نزل علىّ

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ص ٢٥٦ .

(٣) الطبقات لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٦ (طبعة ليدن) .

الكوفة فى الرحبة التى يقال لها رحبة علىّ فى أخصاص كانت فيها ولم ينزل القصر الذى كانت تنزله الولاة قبله .

وبعد وفاة علىّ بقى الحسين مع أخيه الحسن رضوان الله عليهما ، إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، وكان الحسين غير راض على ما فعله أخوه الحسن من تسليم أمر الخلافة إلى معاوية فلم يوافقه عليه أولا وأشار بالقتال ، ولكنه نزل بعد ذلك على رأى أخيه الأكبر ، فقد روى[1] عن عمرو بن دينار ، قال ابن جعفر « قال لى الحسن إنى رأيت رأيا وإنى أحب أن تتابعنى عليه ، قلت ما هو ، قال رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلى ما بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء ، وقطعت الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج (أى الثغور) ، فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد خيرًا وأنا معك فبعث إلى الحسين فأتاه فقال « أى أخى إنى رأيت رأيا وأحب أن تتابعنى عليه ، قال ، ما هو فقص عليه الذى قال لابن جعفر ، فقال له الحسين اعيذك بالله أن تكذب عليًا فى قبره وتصدق معاوية . فقال الحسن والله ما أردت أمرًا إلا خالفتنى إلى غيره والله لقد هممت أن أقذفك إلى بيت فاطينه عليك حتى أقضى أمرى ، فلما رأى الحسين غضبه ، قال : أنت أكبر ولد على وأنت خليفتى وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك » ولم يراجعه الحسين بعدها والتزم طاعته .

ولعمرى أن هذا لمثل كريم يضربه الحسين فى آداب الأسرة . ثم خرج[2]

---

(١) ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، البداية والنهاية ص ٢٣٧ ، أسد الغابة جـ٢ ص ١٣٩

(٢) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى فى أحداث سنة ٤١ هـ ، ابن الاثير فى أسد الغابة جـ ٢ ص ٢٠ .

الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة ثم تحملوا إلى المدينة سنة إحدى وأربعين .

ويقول ابن كثير [١] ، إنه صحب رسول الله (ﷺ) إلى أن توفى وهو عنه راض ، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه وكذلك عمر وعثمان وصحب إباه وروى عنه وكان معه فى مغازيه كلها ، فى الجمل وصفين ، وكان معظمًا موقرًا ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل . فلما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية ، شق ذلك على الحسين فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فكان معاوية يكرمهما إكرامًا زائدًا ، ويقول لهما مرحبًا وأهلا ويعطيهما عطاء جزيلاً . وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف وقال خذاها ، وأنا ابن هند والله لا يعطيكماها أحد قبلى ولابعدى ، فقال الحسين والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا . ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إليه ويقدم كل عام عليه .

---

(١) البداية والنهاية

خروج الحسين ومقتله

لما تُوفى معاوية سنة ٦٠ هـ كان على المدينة الوليد بن عتبه بن أبى سفيان ، وعلى مكة [١] يحيى بن حكم بن صفوان بن أمية ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصارى ، فكتب يزيد بن معاوية [٢] إلى الوليد بن عتبه « من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبه . أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقيا والسلام » ثم أضاف « أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام [٣] » فلما قرأ الوليد (والى المدينة) للحسين كتاب ونعى إليه معاوية ، فقال الحسين إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية ، أما البيعة فإن مثلى لا يعطى بيعته سراً ولا أراك تقتنع بها منى سراً قال أجل فقال (الحسين) فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحداً » . وكان الحسين رضوان الله عليه قد عوّل على ترك المدينة إلى مكة ، كما تركها قبله بليلتين

---

(١) جاء فى رواية ابن جرير الطبرى (تاريخ الطبرى) وفى رواية ابن الأثير (الكامل) أنه كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص .

(٢) ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة ، أبو الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ، ابن النعمان فى الإرشاد ابن الأثير فى الكامل ، ابن كثير فى البداية والنهاية ، ابراهيم الأنصارى البياسى فى الأعلام بالحروب الواقعة فى صدر الإسلام :

(٣) جاء فى كتاب الأخبار الطوال للدينورى أن خطاب يزيد إلى المدينة ذكر فيه اسم عبد الرحمن ابن أبى بكر مع هؤلاء الثلاثة ولكن ابن أبى بكر مات قبل معاوية .

ابن الزبير ، دون مبايعة يزيد ، فخرج منها ومعه جل أهل بيته وأخوته وبنو أخيه . فلما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وعلموا امتناع الحسين عن بيعة يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة وكتبوا إليه كتبا جاء فيها « إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق » ثم سرحوا عدة رسل بالكتب إليه . وتلاقت الرسل كلها عند الحسين فكان يقرأ الكتب ويسأل الرسل عن الناس . ولبث فى مكة على هذه الحال أربعة أشهر ، ثم دعا ابن عمه مسلم ابن عقيل بن أبى طالب فأمره بالمسير إلى الكوفة ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك ، وكتب إلى أهل الكوفة قبل ذلك كتابا قال فيه :

« أما بعد فقد أتتنى كتبكم وفهمت ما ذكرت من محبتكم بقدومى عليكم ، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلىّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلىّ أنه قد أجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم وقرأت فى كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله. فلعمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط. والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

ولما علم يزيد بخبر مسير مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، كتب إلى عبيد الله بن زياد وكان واليا وقتئذ على البصرة ، يأمره بالمسير إلى الكوفة وتولى إمارتها وأخذ شيعة الحسين بالشدة وبالقضاء على مسلم بن عقيل ، وكان مسلم قد نزل بالكوفة وتلقى البيعة للحسين من ألوف الناس ، قال عنهم ابن كثير ثمانية عشر ألفا وقال ابن قتيبة ثلاثون ألفا .

وما أن قدم ابن زياد إلى الكوفة حتى عمل على تحويل الناس عن مسلم ، وسرعان ما قضى عليه وعلى من انضم إليه من أهل الكوفة وبعث برأسه ورؤوس من قتل معه من صحبه إلى يزيد .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة جمع الحسين رأيه على الخروج . فجاءه عبد الله بن العباس يناشده فى المقام ويعظم عليه القول فى ذم أهل الكوفة وقال له « إنك تأتى قومًا قتلوا أباك وطعنوا أخاك وما أراهم إلاّ خاذليك » . فقال له «هذه كتبهم معى وهذا كتاب مسلم[1] باجتماعهم ، فقال له ابن عباس ، « إن كنت لابد فاعلا فلا تخرج أحدًا من ولدك ولا حرمك ولا نسائك » .

ولقى الفرزدق بن غالب الشاعر ، الحسين خارجًا من مكة مع أسيافه وأتراسه فسلم عليه ، فسأله « من أنت » قال « امروٌ من العرب » فسأله نبأ الناس فقال الفرزدق عبارته المشهورة « قلوب الناس معك[2] وسيوفهم مع بنى أميه والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء » فقال له الحسين صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء .

وبينما الحسين فى طريقه إلى الكوفة بلغه نبأ مقتل مسلم ؛ فقال له بعض أصحابه « ننشدك الله ألاّ رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر بل نتخوف أن يكونوا عليك » فوثب بنو عقيل وقالوا « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نتذوق ما ذاق مسلم » . فقال الحسين « لا خير فى العيش بعد هؤلاء » فقال له بعض أصحابه « إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع »

---

(١) قتل مسلم بن عقيل لتسع خلون من ذى الحجة ، أى بعد خروج الحسين من مكة بيوم واحد .

(٢) جاء فى مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى « أن أعرابيين لقيا الحسين بالثعلبية من بنى أسد فقالا له قلوب الناس معك وسيوفهم عليك .

وقد رأى الحسين بعد ذلك أن يترك لصحبه الخيار فى المضى معه أو الانصراف فخطبهم ومما قاله لهم « ... وقد خذلنا شيعتنا .. فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام » فتفرقوا إلا أهل بيته وقليلا ممن تبعوه فى الطريق .

وهكذا انقسم أصحاب الحسين وأهله فى أمر خروجه من مكة إلى الكوفة ، فمنهم من رأى أن يقيم حيث هو سيدًا لأهل الحجاز وعلى رأسهم عبد الله ابن العباس ، وأن لا يعتمد على أهل العراق فهم قوم غدر ولم يعملوا على نصرة أبيه وأخيه من قبل . ومنهم من رأى أن أهل العراق هم شيعة علىٍّ كرم الله وجهه ولا شك فى محبتهم وانتصارهم للحسين ، ولكن ليس إلى حد بذل النفس والنفيس فى سبيل نشر دعوته ونصرته ، مما يصدق معه القول « قلوب الناس معك وسيوفهم عليك » . ومنهم من أصر على المضى فى محاربة يزيد ، وجلهم من أهل مسلم بن عقيل للأخذ بثأره رغم نصح بعض أهل الرأى للحسين بالرجوع إلى مكة بعد مقتل مسلم .

ومن هذا نرى أن فريقًا نصح بعدم مخاصمة يزيد بن معاوية ، وفريقًا آخر أصر على مقاتلة يزيد ، والفريق الثالث وقف موقفًا وسطًا . ولكن إذا لوحظ موقف الحسين من تنازل أخيه الحسن عن حقه فى الخلافة لمعاوية ، وأنه قد طلب إليه أن يبايع يزيد بالخلافة ويزيد غير أهل لها ولا يعمل بشروطها ، وأن دعاة يزيد قد أبوا عليه أن ينصرف إلى حيث يشاء إلا بعد التسليم ؛ وهم يعلمون من هو فى شجاعته وإقدامه ومكانته والاعتداد بكرامته ، إذا لوحظ ذلك كان لا مناص من المضى قدمًا فى محاربة يزيد ومواجهة الموت وإباء التسليم أو النزول على حكمهم .

وسار الحسين حتى وصل أو وصلوا به إلى كربلاء ، وتتابع إرسال الجيوش والقواد لقتاله ، والتقى الحسين بجيش عبيد الله بقيادة الحر بن يزيد فى ألف فارس ، وكانوا يلازمونه ويصدونه عن كل جهة إلا نحو الكوفة مقر أميرهم عبيد الله بن زياد ، فقال يعظهم : «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رأى سلطانًا جائرا مستحلا لحرم الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا بقول كان حقًا على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفى وأحلوا حرم الله وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيرى وأنا الحسين بن على وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، نفسى مع أنفسكم وأهلى من أهلكم فلكم فىّ اسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدى وخلعتم بيعتى : فلعمرى ما هى لكم بنكير . والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ... ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم والسلام » .

وفى اليوم الثانى لنزوله كربلاء جاء عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف مقاتل ، موفدًا من عبيد الله بن زياد لقتاله ، ثم انضم إلى جيش الحر بن يزيد . فلما سئل الحسين عما جاء به ، قال رضوان الله عليه : « كتب إلىّ أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فأما اذكرهونى فإنى انصرف عنكم إلى مكة » فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك . ثم التقى الحسين وعمر مرارًا ، فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد « أما بعد فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أقبل منه ، أو أن نسيره إلى أى

ثغر من الثغور شئنا أو يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده [١] وفى هذا لكم رضاً وللأمة صلاح » . فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه ، نعم قبلت ، وتصادف أن كان فى مجلسه وقت مجىء كتاب عمر ، شمر بن ذى الجوشن فقام إليه وقال له « أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ،والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزله ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولى العقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك » فما كان من ابن زياد إلاَّ أن أخذ برأى شمر فأرسله بكتاب إلى عمر جاء فيه « ...... انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلىَّ مسلمًا . وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فاوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع . وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر والسلام » .

وهكذا كانت النتيجة المحتومة . تكاثر الجيش على الحسين وصحبه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلاً ، وكلهم مشهود له بالشجاعة وسداد الرمى ومضاء الضرب بالسيف، وهم على قلتهم كفء لمبارزة فرسان جيش عبيد الله بن زياد واحدًا بعد واحد لو جرى القتال على سنة المبارزة ،ولكنهم

---

(١) عقب الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك فى كتابه أبو الشهداء بأن الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه ولكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده فى يده لأنه لو قبل ذلك لبايع فى مكانه واستطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلى وجهته ولأن أصحاب الحسين فى خروجه إلى العراق قد نفوا ما جاء فى ذلك الكتاب ومنهم عقبة بن سمعان . وإنى لأميل إلى هذا الرأى لأسبابه وأضيف اليه أنه يتفق وما فطر عليه الحسين من الاعتداد بشخصيته والاحتفاظ بكرامته ومنزلته

خشبوا مغبتها فعدلوا عنها حين صاح فيهم عمر بن الحجاج : أتدرون من تقاتلون ؟ ـ تقاتلون فرسان المصر وقوما مستميتين . لا يبرز إليهم منكم أحد فانهم قليل ...لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم [١] . فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفزسان والرجال .

وقد استشهد كل صحبه رضوان الله عليه ، وانفرد وحده بقتالهم وكان يحمل عليهم فيتفرقون تحرجًا من قتله ، وكل منهم يخشى أن يصاب على يديه حتى صاح فيهم شمر بن ذى الجوشن « ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم » ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه زُرعة بن شريك التميمى على يده اليسرى فقطعها ، وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه فأخذ يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى لفظ نفسه الأخير رضوان الله عليه . ووجد بجسده ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية بالنبل والسهام . ونزل سنان بن أنس النخعى [٢] فاجتز رأسه ، وفى رواية أخرى أن شمر هو الذى ذبحه واجتز رأسه ثم عمدوا إلى سلب ما كان عليه من كساء فأخذ قميصه اسحاق بن حَيّوه الحضرمى وأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهى من خز ، فكان يسمى بعد ، قيس قطيفة ، وأخذ عمامته اخنس بن مرثد الحضرمى وأخذ نعليه الأسود الأودى وأخذ سيفه رجل من دارم ، وترك الحسين يكاد يكون عاريًا ، ثم وطأت الخيل جثته كما أمر ابن زياد حتى رضّوا صدره وظهره .

بحسبى ما أوجزت من تلك الأحداث المؤتفة التى انتهت بمأساة كربلاء ،

---

(١) أبو الشهداء للعقاد ص ١٣٧ .

(٢) قال بذلك الطبرى وابن الأثير .

أحداث تمثلت فيها أبشع الجرائم وأخسها ، لا يأتيها مسلم ولا كافر ولا بر ولا فاجر ، لا يأتيها من يشعر أنه إنسان مهما بلغت به بواعث الضغن والتشفى . وقد مضت عليها مئات السنين ولم تمح آثارها فى الشرق والإسلام . وهى كما قال الفخرى[1] إنها « شر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها ، وأمر بها ، ورضى بشىء منها ، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً ، وجعله من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا » .

---

(١) الآداب السلطانية ص ١٠٤ .

رأس الحسين وقبره

ففى أى مكان كان رأسه فهو ساكن فى القلوب والضمائر ،
قاطن فى الأسرار والخواطر .

يكاد يجمع المؤرخون وكتّاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله فى كربلاء . وقد جاء فى كتاب الإرشاد[١] ، أنه بعد أن اجتزت الرأس وأخذت إلى ابن زياد بالكوفة ، خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء[٢] ، ودفنوا ابنه عليا عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن علىّ فى موضعه الذى قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن .

وقال المسعودى فى مروج الذهب فى خلافة المنتصر بالله « إن آل أبى طالب كانوا فى محنة عظيمة قبل خلافته (أى المنتصر) وخوفاً على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرىّ من أرض الكوفة ، وكذلك مُنع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين[٣] ، وفيها أمر المعروف (بالذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن علىّ رضى الله تعالى عنهما ، وهدمه

(١) للشيخ المفيد .
(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت أن الحائر اسم لموضع قبر الحسين بن على . وقال الفيروزبادى فى القاموس : الحائر هى كربلاء ، أسد الغابة جـ ٢ لابن الاثير .
(٣) وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٥٥ لابن خلكان ، طبقات الشافعية جـ١ ص ١٦٢ للسبكى ، الأخبار الطوال للقرمانى حوادث ٢٣٧ هـ ، أبو بكر الخوارزمى فى كتابة إلى جماعة الشيعة بنيسابور ص ١٣٨ ، أبو الفدا جـ ٢ فى حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

ومحو أرضه وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكلٌّ خشى العقوبة وأحجم ، فتناول (الذيريج) مسحاةً وهدم أعالى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا إلى الحفرة موضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها » . ويضيف المسعودى « ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبى طالب ، وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله عنه ، ولا قبر غيره من آل أبى طالب » .

وقد وصف ابن بطوطه الرحالة الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى رحلته إلى كربلاء فقال « سافرنا إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علىّ عليهما السلام ، وهى مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقّيها ماء الفرات ،والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد إلاّ عن إذنهم ، فيقبل العتبة الشريفة وهى من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير » .

أما عن رأس الحسين ، فقد كثرت الأقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة فى تحديد مكان وجوده ، لذلك رأيت أن أجمع ما استطعت جمعه منها ، وأن أضع المتشابه منها فى مجموعات ، لعلى استطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح .

والمراجع على اختلافها تكاد تتفق على أن عبيد الله بن زياد ، عنى بتجهيز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ومعهم رأس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات فى موطن

الرأس الشريف ، فمنها أن الرأس أعيد إلى الجسد بعد أربعين يومًا ودفن معه بكربلاء ، ومنها أنه دفن بالمدينة ، ومنها أنه دفن عند باب الفراديس بدمشق ، وفى رواية أن الرأس دفن بمقابر المسلمين فى عهد سليمان بن عبد الملك ، ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل إلى عسقلان ، ومنها نقل إلى القاهرة فى آخر العصر الفاطمى . وتقول رواية إنة نقل إلى مدينة الرقة وأخرى إلى حلب ، وقيل أن أبا مسلم الخراسانى لما استولى على دمشق نقل الرأس إلى مرو .

والأماكن التى ذكرت موطنًا للرأس ثمانية فى ثمان مدن هى ، كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان والرقة وحلب ومرو . وسنورد فيما يلى ما ورد فى المراجع من الروايات التى تؤيد وجود الرأس فى مدينة من المدن الثمان سالفة الذكر ، كما سنورد فى الوقت ذاته ما يرد مخالفًا لبعض هذه الروايات .

كربلاء : تقول طائفة الشيعة الإمامية وبعض أهل السنة أن رأس الحسين مدفون مع الجسد بكربلاء . قال رضى الدين[1] « فأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه دفن بكربلاء مع جسده الشريف . وكان عمل الطائفة (الإمامية) على هذا المعنى المشار إليه » وورد فيما ذكره سبط[2] ابن الجوزى فى أقواله المتعددة عن الرأس قوله : « واختلفوا فى الرأس على أقوال أشهرها أنه (أى الرأس) رُد إلى المدينة مع السبايا ثم رُد إلى الجسد بكربلاء فدفن معه ، قاله هشام وغيره » ويقول ابن كثير[3] « فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد علىّ بمكان من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال إن

(١) رضى الدين بن طاوس فى كتاب الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٤٠ .

(٢) سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكره خواص الأمة ص ١٥٠ .

(٣) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٣ .

هذا المشهد مبنى على قبره فالله أعلم). وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفا أثره حتى لم يطلع أحد على تعينه بخبر . وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام ابن الكلبى أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يومًا ، فجاء أعرابى من بنى أسد فجعل يأخذ قبصة قبصة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : بأبى أنت وأمى ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ، ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

ويقول سبط بن الجوزى « وفى الجملة فنى أى مكان كان رأسه فهو ساكن فى القلوب والضمائر ، قاطن فى الأسرار والخواطر » .

المدينة : جاء فى طبقات ابن سعد[١] : « لما وضع الرأس (رأس الحسين) بين يدى يزيد بن معاوية دمعت عيناه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . رحم الله أبا عبد الله ، ثم أمر بالسيدات فأدخلن دار نسائه ، وأمر بتجهيزهن والعناية بهن أحسن عناية ، وأرسل معهن حرسا من ثلاثين فارسا ، حتى وصلن إلى المدينة وبعث معهن بالرأس الشريف إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبقيع عند قبر أمه وأخيه ، ويقول ابن كثير[٢] : فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به

---

(١) محمد بن سعد فى كتاب الطبقات الكبير جـ ٥ ص ١٧٦ ، كما وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : المؤيد صاحب حماة فى تاريخه جـ ١ ص ١٩١ ، عمر بن الوردى فى تاريخه جـ ١ ص ١٧٣ ، وقال كذلك على بن عبد الملك السمهودى فى وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جـ ٢ ص ٩٦ ، مرآة الجنان جـ ١ ص ١٣٦ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤ .

ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك ، ويعقب ابن كثير على ذلك فيقول « وعندى أن الأول أشهر. فالله أعلم » . ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد «أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه فى البقيع » .

وممن روى أن الرأس دفن بالمدينة الإمام البخارى[1] ، فقد جاء فى تاريخه « أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن بها فى البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها » . وقال ابن فضل الله العمرى[2] : وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية ، أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن » .

وقد ذكر المسعودى[3] ، عند الكلام على دفن الحسن بن علىّ ببقيع الفرقد مع أمه ما نصه : « وهناك إلى هذا الوقت[4] رخامة مكتوب عليها ، الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم سيدة نساء العالمين ، والحسن بن علىّ بن أبى طالب ، وعلىّ بن الحسين بن علىّ ، ومحمد بن علىّ وجعفر بن محمد ، رضوان الله عليهم أجمعين » . وقد عقب الأستاذ حسن عبد الوهاب[5] على هذا النص بقوله « إنه لو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم » .

---

(١) نقل ابن عروة الحنبلى فى الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند أحمد على أبواب البخارى ، وعن ابن تيميه ص ٤١ .

(٢) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) الأشراف والتنبيه للمسعودى ص ٣٠١ ، ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٤١ .

(٤) ألف المسعودى كتابه هذا سنة ٣٤٥ هـ .

(٥) تاريخ المساجد الأثرية ص ٨٠

دمشق : أما طائفة الشيعة الاسماعيلية وكذا كثير من أهل السنة فتقول بدفن الرأس بدمشق . وممن ذكر ذلك ياسين بن مصطفى الفرضى[١] قال : « المزارات المشهورة للصحابة بدمشق ونواحيها ، والمشهور منها بتربة باب الفراديس المسماة بمرج أبى الدحداح الآن ،مسجد سمى مسجد الرأس داخل باب الفراديس ،فى أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل . وغربى المحراب المذكور فى الجدار طاقة على الطريق يقال إن رأس الحسين رضى الله عنه دفن بها ، ولذا يقال له مشهد الحسين » .

وروى محمد بن قاسم بن يعقوب[٢] « قبر الحسين بن علىّ رضى الله عنهما بكربلاء ورأسه بالشام فى مسجد دمشق على رأس اسطوانة » .

وقال ابن فضل الله العمرى[٣] وكذا ابن الطولونى ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا » .

وروى الذهبى[٤] عن أبى كرب قال « كنت فى القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد وكنت فيمن نهب خزائنهم بدمشق فأخذت سفطا وقلت فيه غنائى ، فركبت فرسا وجعلته بين يدى وخرجت من باب توما ، ففتحته فإذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه ، هذا رأس الحسين ، فحفرت له بسيفى ودفنته » .

وجاء فى المقريزى[٥] « مكث الرأس مصلوبًا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل

---

(١) النبذة اللطيفة فى المزارات الشريفة ص ١٩٧ .

(٢) كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الإبرار (المؤلف للسلطان سليم) ص ٤٨ .

(٣) مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٣٧ .

(٤) تاريخ الإسلام ص ٦٧ .

(٥) الخطط جـ ١ ص ٤٣٠ (طبعة بولاق) .

فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك ، فبعث إليه فجىء به وقد محل وبقى عظما أبيض ، فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ، ودفنه فى مقابر المسلمين ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح ، أن وجه إلىّ برأس الحسين بن علىّ . فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ، ودفنه فلما دخلت المسوّدة (أى الدولة العباسية) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف ، فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به » .

ومن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بدمشق عثمان مدوخ[1] : اذ جاء فى كتابه العدل الشاهد «أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع فى هدمه ليجعله خزانة لحفظ الكتب ؛ فعثر على طاق فى الجدار محكم السد بحجر كبير ، مكتوب عليه بالنقش فى الحجر ؛ ما فهموا منه أن هذا مشهد رأس الإمام الحسين السبط ؛ فرفعوا ذلك إلى والى الشام يومئذ (فى العصر العثمانى) ؛ فذهب ورأى ذلك بنفسه ، وأمرهم أن لا يحدثوا فى هذا شيئا . ثم رفع الأمر إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، فصدر أمره العالى بكشف هذا المكان ، بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس ؛ فأحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان ؛ وكشفوا هذا الحجر الذى عليه الكتابة ، فوجدوا فجوة خالية عن الدفن ، وبعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت ، ورفع ذلك إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان ؛ فصدر مرسومه العالى بإعمال طوق من الفضة حول الحجر ، وكنت أعلم مقدار زنة الفضة ، وأظن أنه سبعة آلاف درهم والله أعلم بالحقيقة » .

---

(١) كتاب العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد ص ١٣٢ .

ولما دخل خليل الظاهرى[١] مدينة دمشق سنة ٨٣١ هـ قال « المشهد الحسينى بدمشق بصحن المسجد الأموى » .

وذكر ابن أبى الدنيا[٢] عن طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح (ويقول عنهما ابن كثير ـ وهما ضعيفان ـ) أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى ، فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . ويقول ابن كثير : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى .

وذكر ابن عساكر فى تاريخه ، فى ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية ، « أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى يعنى قوله :

ليت أشياخى ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع فى خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقى عظما أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسودة ـ نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فالله أعلم » .

حلب : وهناك أقوال ضعيفة تقول بوجود الرأس فى حلب ، فقد جاء فى تاريخ حلب[٣] أن الرأس مدفونة فى حلب فى وسط جبل جوشن ، وقد بنى

---

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

(٢) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤ .

(٣) ابن الشحنة : تاريخ حلب ص ٨٧ .

عليه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين ، ولكنه لم يذكر متى وكيف جىء بالرأس الشريف .

مرو : وقال المقدسى[١] عند كلامه عن مرو « وعلى فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا إن فيه رأس الحسين بن علىّ رضى الله عنه . وقد عقب على هذا القول عمر بن أبى المعالى أسعد بن عمار[٢] : « أما قولهم ، إنه (الرأس) فى خزائن بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وأن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدًا ، لأن أبا مسلم ، لما فتح الشام كان بخراسان ، والذى فتح دمشق هو عبد الله بن على بن العباس ، فكيف يتصور أن ينقله ، أو يمكّن من ينقله إلى مولدهم بخراسان . ثم يضيف : « ولو أنه ظفر به فى خزائن بنى أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبنى أمية بغضًا » .

عسقلان : أما عن وجود الرأس الشريف بعسقلان ثم نقله منها إلى مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، فقد كثرت فيه الأقاويل والروايات .

قال الصبان[٣] « واختلفوا فى رأس الحسين بعد مسيره إلى الشام إلى أين صار وفى أى موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف فى البلاد ، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها . فلما غلب الإفرنج على عسقلان ، افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس ، وفرش تحته المسك والطيب ، وبنى عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبًا من خان الخليلى » .

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٣٣٣ .
(٢) الفاصل بين الصدق والمبين فى مقر رأس الحسين (عن كتاب تاريخ المساجد الأثرية) .
(٣) اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ١٤٣ .

وجاء فى طبقات الأولياء للشعرانى عند ذكره الحسين نفس الرواية السابقة إذ يقول « دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رُزِّيك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الحسينى وخرج هو وعساكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعه طلائع فى كيس حرير أخضر على كرسى أبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قدر وزنه مرارًا » .

القاهرة : وقد أيد رواية وجود الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواة ، منهم ابن ميسر[1] ، والقلقشندى . وعلىّ ابن أبى بكر المشهور بالسايح الهروى وابن إياس ، وسبط الجوزى . وقد أوردتفاصيل هذه الرواية المقريزى[2] بقوله « فى شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكره إلى بيت المقدس وبه سُكان وابلغارى إبنا أرتق ، فى جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ، فراسلهما الأفضل يتلمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب ، فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدوا بدا من الإذعان له وسلماه إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس ، فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجلّ دار بها . وعمّر المشهد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن أحله مقره » ثم يعود المقريزى فيقول « وقيل إن المشهد بعسقلان

---

(١) ابن ميسر أخبار مصر ص ٣٨ ، صبح الأعشى للقلقشندى ج ٣ ص ٣٥١ ، ابن إياس ج ١ ص ٦٧ ، مرآة الزمان لسبط الجوزى ج٨ ص ٤١٣١ ، الإشارات إلى أماكن الزيارات للسايح الهروى .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٤٢٧ .

بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمّله ابنه الأفضل . وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها ، ووصل فى القصر يوم الثلاثاء فى جمادى الآخرة ، وحمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخِدمة فكان كل من يدخل الخِدمة يقبل الأرض أمام القبر » .

وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة عثمان مدوخ[1] ، إذ قال « إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ، مشهد بدمشق دفن به الرأس أولا ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض نقل إليه الرأس من دمشق ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلى والجامع الأزهر » .

وجاء فى كتاب مرشد الزوار إلى طريق الأبرار « ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين أن هذا الرأس الذى وضع بهذا المكان يعنى المشهد الذى بالقاهرة ، هو رأس الإمام الحسين رضى الله عنه ، كان بعسقلان ، فلما كان فى أيام الظاهر الفاطمى ، كتب عباس إلى الظاهر[2] يقول له ، أما بعد فإن الفرنج أشرفوا على أخذ عسقلان ، وأن بها رأسا يقال إنه رأس الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، فأرسل إليه من تختار ليأخذه ، فبعث إليه مكنون الخادم فى عشارى من عشارى الخدمة فحمل الرأس من عسقلان وأرسى به فى الموضع

---

(١) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد ص ٨٤ .

(٢) تولى الخليفة الظاهر ملك مصر بعد أبيه الخليفة الحاكم وتوفى سنة ٤٢٧ وفى ذلك الوقت لم تكن الفرنجة قد بدأت بمحاربة المسلمين فى بلاد الشام بل انهم أتوا إلى بلاد الشام من انطاكية سنة ٤٩٠ فى خلافة المستعلى بن الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر .

المعروف بالكافوري من الخليج الحاكمى فحمل وادخل إلى القصر واستقر فيه كما هو الآن ، وبنى الظاهر مسجد الفاكهانى [1] ليجعله فيه وبنى طلائع بن رزيك مسجدًا بظاهر باب زويله أيضًا وهو المسمى بجامع الصالح ليجعله فيه ثم اجتمع رأيهم على أن يجعلوه بالقصر فى قبة تعرف بقبه الديلم وكانت دهليزًا من دهاليز الخدمة » .

وقد سبق أن ذكر المقريزى [2] وكذا القلقشندى أن الصالح طلائع بنى مسجده لكى يدفن فيه الرأس الشريف ، فلما انتهى منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لا يكون إلاّ داخل القصور الزاهرة ، وبنى المشهد الموجود الآن .

وقد جاء فى كتاب تاريخ المساجد الأثرية [3] ، أنه فى سنة ١٩٤٥ كشفت بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح بقايا مبان عليها كتابات أثرية منها (ادخلوها بسلام آمنين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ولذلك فإنه يرجح أن تكون هذه البقايا من المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاورًا لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين. ويستشهد فى ذلك بما أورده ابن دقماق [4] عند كلامه عن الصالح طلائع بقوله : « وهو الذى بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة وبنى مشهد الحسين رضى الله عنه سنة ٥٥٣ هـ » .

ويشكك ابن كثير [5] فى وجود الرأس بالقاهرة فيقول « وادعت الطائفة المسمون

---

(١) منشىء مسجد الفاكهانى هو الخليفة الظافر ابن الخليفة الحافظ ابن الخليفة الآمر ابن الخليفة المستعلى ابن الخليفة المستنصر ابن الخليفة الظاهر .

(٢) المقريزى جـ ٢ ص ٢٩٣ ، صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٥١ .

(٣) حسن عبد الوهاب ص ١٠٤ .

(٤) الجوهر الثمين مجلد (١) ص ٤٨ .

(٥) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤

بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة اربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة [١] ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، والذى يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة » . ويضيف ابن كثير فيقول « وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء فى دولتهم فى حدود سنة اربعمائة[٢] » .

وهناك رواية ضعيفة أوردها السخاوى [٣] تفيد أن الرأس جىء به إلى مصر منذ البداية ، فهو يقول « اختلف المؤرخون فقال بعضهم إن رأس الحسين بالمدينة الشريفة وقال بعضهم كانت (الرأس) بمشهد عسقلان فلما أخذتها الفرنجة نقلت إلى هذا المشهد (يعنى مشهد القاهرة) والله أعلم بالصواب » ثم يضيف « وقيل ، لما قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، بأرض كربلاء طيف برأسه وسير فى البلاد إلاّ فى أرض مصر ، فإن أهلها لم يمكنوهم من الدخول على تلك الحالة البشعة ، بل تلقوهم بمدينة الفرما ، وهى أول مدائن مصر وحملوها (أى الرأس) فى الهوادج وستروها بالستور وأوسعوا لهم فى الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وآووهم أمنا وبنوا لموتاهم المشاهد واتخذوها مزارات » . ويكفى لبيان ضعف هذه الرواية أنها لو صحت من أن رأس الحسين جىء به إلى مصر منذ العصر الأموى فى القرن الأول للهجرة ، لما كان هناك

(١) حكمت الدولة الفاطمية من سنة ٣٥٨ هـ حتى سنة ٥٦٧ هـ

(٢) فى حدود سنة أربعمائة لم تكن الرأس قد نقلت إلى مصر . هذا وعدم الدقة فى التواريخ التى وردت فى هذه الرواية يقلل كثيرا من قيمتها .

(٣) تحفة الأحباب ص ٦٨ .

داع ولا مقتض لما بذل من جهد ومال لإحضار رأس أخرى من عسقلان والاحتفال بمقدمها لدفنها بالقاهرة فى العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى .

الرقة : وقد جمع المؤرخ سبط الجوزى[1] خمسة أقوال مشهورة عن رأس الحسين (أولها) أنه دفن مع الجسد بكربلاء (ثانيها) أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه (ثالثها) أنه دفن بدمشق (رابعها) أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ، وقال لما أحضر الرأس بين يدى يزيد بن معاوية ، قال لأبعثنه إلى آل أبى معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه فى بعض دورهم ؛ ثم ادخلت تلك الدار فى المسجد الجامع ، قال وهو إلى جانب سدرة هناك . (خامسها) أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار .

والجديد فى كلام سبط الجوزى وقد انفرد به ، هو وجود الرأس بالرقة ، وهذا قول ضعيف ، ذلك أن مدينة الرقة التى فتحها العرب سنة ١٨ هـ على يد قائدهم عياض بن جهمن[2] واستمرت منذ ذلك الوقت خاضعة للحكم الإسلامى ، لم يثبت طوال العصر الأموى أن أحدًا من خلفاء بنى أمية بنى بها مسجدًا جامعًا كما ذكر سبط الجوزى وأنه أقيم على الدار التى دفن بها الرأس . والثابت أن ما أنشىء فى العصر الأموى هو كما ورد فى المقدسى وياقوت[3] الحموى ، قصران لهشام بن عبد الملك فى مكان يبعد عن الرقة بفرسخ .

وفى عام ١٥٥ هـ أسس الخليفة العباسى[4] المنصور مدينة جديدة تقع إلى

(١) تذكرة خواص الأمة ص ١٥٠ .

(٢) البلاذرى ص ١٧٣ ، الطبرى ج ١ ص ٢٥٧ .

(٣) أحسن التقاسيم ص ٧٨ ، معجم البلدان ص ٦٥ .

(٤) البلاذرى ص ١٧٩ ، ياقوت ج ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الفقيه ص ١٣٢ .

الغرب من المدينة القديمة سماها الرفيقة ، وفى شمالها بنى المنصور المسجد الجامع ، ولم يذكر أحد من علماء الآثار ، العرب منهم والمستشرقين[١] أنه أقيم على أنقاض دار قديمة أو أن به تصميما لمدفن ما . على أن المدينة القديمة سرعان ما أصبحت خرابًا يبابا وأخذت المدينة الجديدة مكانها كعاصمة للبلاد[٢] .

* * *

بعد هذا الاستعراض لمعظم ما قيل عن موطن الرأس ، نستطيع أن نناقش هذه الأقاويل وتلك الزوايات :

فعن القول بوجود الرأس بالمدينة ، فهناك ما ينقضه بدليل مادى ذكره المسعودى[٣] فيما نقلناه عنه ، وهو أنه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجرى رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية « الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدة نساء العالمين والحسن بن علىّ بن أبى طالب وعلىّ بن الحسين بن علىّ ومحمد بن علىّ وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » . فلو أن الرأس كان مدفونًا معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء .

أما قول غالبية الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد فى كربلاء فقول لا تؤيده مراجعة الحوادث ، فمن المستبعد عقلا أن يعيد يزيد الرأس إلى كربلاء حتى لا يزيد النار اشتعالاً ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزًا لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه . ، هذا بالإضافة إلى ما جاء فى أحداث سنة ٢٣٦ هـ ، كما تقدم القول من أن الخليفة المتوكل[٤] أمر (الديريج)

---

(١) Die Reise im Euphrat und Tigris gebiet . Sarre und Herzfeld p. 59

(٢) Creswell . Early Muslim Architecture Vol. II p, p, 39 45,

(٣) ياقوت جـ ٢ ص ٧٣٤ .

(٤) أبو الفدا جـ ٢ ، طبقات الشافعية للسبكى حـ ٢ ص ٢١٦ ، القرمانى حوادث سنة ٢٣٧ .

بالمسير إلى قبر الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول الذيريج مسحاة وهدم أعالى قبر الحسين وانتهى هو ومن معه إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها » وبعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى فى ذلك الوقت المبكر ، إذا لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين .

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخرسان منقوض من أساسه[1] ، لأن أبا مسلم الخراسانى الذى قيل إنه نقل الرأس من دمشق لما استولى عليها وبنى عليه الرباط بمرو لم يكن موجودًا بالشام وقت فتحها ، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله بن عليّ بن عباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكى يدفنه بمرو ولأن الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لأظهره للناس ليزدادوا – كما قيل بحق – غضبًا على بنى أمية .

وأما القول بأن الرأس وضع أول الأمر فى خزائن السلاح بمدينة دمشق فنى رأيى أنه أقرب الأقوال إلى القبول ومسايرة للأحداث للأسباب الآتية :

أولا : أن مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالرأس فى البلاد بقصد التشفى ، كما ورد فى بعض المراجع ، لأدى ذلك من غير شك إلى فتنة بل وليس من المستبعد أن يؤدى إلى خلع يزيد نفسه ، لأن الناس جميعًا ، حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعًا فى الكسب المادى ، كانوا يحترمون الحسين ويعظمونه فى حياته ويستعظمون ماحدث له ، ويأسفون على تفريطهم فى نصرته بعد وفاته . يضاف إلى ذلك أن يزيد نفسه ندم على قتله ودمعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم

(١) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ص ٨٠ .

بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله[1] » فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالرأس فى البلاد !

ثانيا : من مصلحة يزيد أن يحرص على إخماد فتنة قتل الحسين واقتضى حرصه أن يحتفظ برأسه فى مكان أمين ، وليس هناك مكان أكثر أمنا فى الدولة من خزائن السلاح . أما رواية دفن الرأس فى دمشق فى عصر يزيد فلم يكن من الحكمة فى شىء لأنه كان فى استطاعة الشيعة أن ينبشوا القبر ليحصلوا على الرأس .

ثالثا : ومن المعقول ومن المرجح أيضا أن يكون الرأس قد ظل فى خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فحمل الرأس كما ورد فى بعض المراجع فى ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين ، أى بعد أن هدأت الفتنة ومضى عليها أكثر من ثلاثين عامًا .

أما الرواية التى تقول بوجود الرأس بعسقلان ، فيؤخذ عليها أن مرجعا لم يحدد الوقت الذى نقل فيه الرأس إليها ، اللهمّ إلاّ تلك الرواية التى تقول بأن الرأس قد طيف به فى البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل عسقلان دفن هناك . وقد بيّنا فيما تقدم منافاة هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة .

وإذا أسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس إلى عسقلان ؟ .

هناك من يقول بأن القبر الذى بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نُبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل فى وقت ما إلى عسقلان . ونَبش القبر قد يكون

---

(١) مرآة الجنان جـ ١ ص ١٣٦ .

صحيحا ؛ لأنه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه ؛ ولكن ما السبب فى اختيار مدينة عسقلان بالذات لكى تكون مقر الرأس ، وهى مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزًا من مراكز الشيعة ، اللهم إلاّ إذا أريد أن يكون الرأس فى مكان قريب من بيت المقدس من جهة وقريب من الساحل من جهة أخرى ، وهذا يتوافر فى موقع عسقلان . وقد يكون من أغراض ناقلى الرأس إلى عسقلان هو إخراجها من المشرق ؛ حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ثم العباسيين ثانيا ، ليمكن نقلها فى يسر إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .

ومهما يكن من أمر فقد بات فى حكم المؤكد أنه لم يكن فى القرن الخامس الهجرى وجود للرأس فى دمشق بل كان فى مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولا : يؤيد وجود الرأس بعسقلان فى العصر الفاطمى نص تاريخى منقوش على منبر المشهد الذى أعاد بناءه بدر الجمالى وأكمله ابنه الأفضل فى عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس ، والمنبر ما زال موجودًا حتى الآن هناك ، والمنبر من الخشب الجوز التركى الممتاز وقد زخرفت جوانبه وكذا بابه بحشوات خشبية عليها زخارف نباتية وكتابية محفورة حفرًا غائرًا دقيقًا غاية فى الإبداع ، أما أسلوب الخط فهو خط كوفى صلب ذو زوايا وتنتهى حروفه القائمة بزخارف نباتية ؛ ولذا فقد أطلق عليه اسم (خط كوفى مزهر) ؛ وقد كان هذا الأسلوب من الخط سائدًا فى العصر الفاطمى . أما النص الكتابى فقد جاء فيه : « الحمد لله وحده لاشريك له محمد رسول الله علىّ ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطهرة سبحان

من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجدًا رفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين . وكان من معجزته تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون ستروه فيه . وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين ، ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطهرين » .

ثانيا : جاء في المقريزى[1] أن المؤرخ ابن المأمون ذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ أن الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبيًّا له سلسلة فضية .

ثالثا : لو كان الرأس موجودًا فى مكان آخر غير عسقلان سواء فى الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الاسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد فى أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء . أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدولة العباسية ، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقًا إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غربًا ، بل إنه حدث فى عهد الخليفة المستنصر أن نادى اليساسيرى أحد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية فى بغداد[2] والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمى على منابرها فى خطبة الجمعة ، وفى هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٤٠٨ .

(٢) المقريزى جـ ٢ ص ١٧١ .

رابعًا : ما ذكره عثمان مدوخ فى كتاب العدل الشاهد فى القرن (١٩ م) ، من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامسا : جاء فى المقريزى [1] ، « وبنى طلائع مسجدًا لها (يعنى الرأس) خارج باب زويله من جهة الدرب الأحمر وهو المعروف بجامع الصالح طلائع الآن ، وكشف الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد ، دمها لم يجف ووجد لها رائحة أطيب من رائحة المسك ، فغسلها فى المسجد المذكور على ألواح من خشب » . وجاء فى الببلاوى[2] « بأعلى حائط مسجد الصالح طلائع ألواح الآن يقال إنها هى التى كان عليها الغسل » . ومهما يكن فى رواية المقريزى من سرد أسطورى ، فمما لا شك فيه ، أنه قد أحضرت إلى القاهرة رأس ،وليس من المستبعد أن تكون قد غسلت فى مسجد الصالح طلائع ،ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التى أجريت سنة ١٩٤٥ ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها (ادخلوها بسلام آمنين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ،ولذلك فانه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاوررا لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين كما ذكر ابن دقماق .

---

(١) المقريزى ج٢ ص ٢٨٥ .

(٢) التاريخ الحسينى للببلاوى ص ١٧ (مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٤ هـ) .

سادسا : جاء في كتاب العدل الشاهد [1] فى تحقيق المشاهد « أن المرحوم [2] عبد الرحمن كتخدا الفزدغلى ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف قيل له إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الأستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملّوى المالكى وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستارة من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف فانبنى على إخبارهم تحقيق هذا المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافًا يصرف على المسجد من ريعها » .

* * *

مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ، ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع أن نؤكد فى ثقة وإطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة .

هذا ولا أجد فى هذا المقام خيرًا من العبارة التى جاءت فى المقريزى [3] اختم بها موضوع الرأس الشريف : « ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية » أو كما قال سبط الجوزى ، فنى أى مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر قاطن فى الأسرار والخواطر .

---

(١) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد لعثمان مدوخ ص ١٢٤ .

(٢) لقد عمر كتخدا المشهد سنة ١١٧٥ هـ الخطط التوفيقية .

(٣) المقريزى جـ ٢ ص ٢٨٥ .

المشهد الحسيني بالقاهرة

نقلت رأس الحسين رضوان الله عليه من عسقلان إلى القاهرة كما يقول المقريزى - فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمايه الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣ م) وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣) . ويضيف المقريزى : « فقدم به (الرأس) الاستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة » . ويضيف ابن عبد الظاهر « أن طلائع ابن رزيك بنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه (الرأس) به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلاَّ عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سنة ١١٥٤ م) » . يفهم من هذين النصين أن الرأس بقى عامًا مدفونًا فى قصر الزمرد ، حتى أنشئت له خصيصًا قبة (هى المشهد الحالى) وذلك سنة ٥٤٩ هـ .

ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقيه البهاء الدمشقى ، وكان يجلس للتدريس - كما جاء فى المقريزى - عند المحراب الذى يقع الضريح خلفه . ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ بن حموية فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى ايوانًا

للتدريس فقد جاء فى المقريزى « ولما وزر معين الدين بن حموية ورد إليه أمر هذا المشهد ، جمع من أوقافه ما بنى به ايوان التدريس الآن — يعنى عصر المقريزى (القرن التاسع الهجرى) — وبيوت الفقهاء العلوية خاصة » .

وإنى أؤيد الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ حسن عبد الوهاب من اعتباره المسجد الحالى حلّ محل المدرسة التى بنيت فى العصر الأيوبى . وقد أعطانا الرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى العصر الأيوبى سنة ٥٧٨ هـ (سنة ١١٨٤ م) وصفًا شاملاً دقيقًا للقبة والمدرسة جاء فيه « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما . وهو فى تابوت من فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثره فى أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة . وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسنًا وجمالاً . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التأنق والغرابة ، وحيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضا على تلك الصفة بعينها ، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع » .

وفى العصر الأيوبى انشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦م) . وهى منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهى تعلو الباب الأخضر وقد تهدم

معظمها ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة وعليها لوحتان تأسيسيتان ونص الأولى :
« الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيي المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه . وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وست مائة عفا الله عنه » . ونص الثانية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربًا إلى الله ورفعًا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيي بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور ، تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجًا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمايه » (انظر لوحة رقم ١) . وقد احترق هذا المشهد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، وكان سبب الحريق كما يرويه المقريزى وأبو المحاسن « أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئًا فسقطت منه شعلة فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتى طفىء » .

وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ووسعه والحق به ساقية وميضأة ووقف عليه أراضى خارج الحسنية قريب الخندق . وفى العصر المملوكى سنة اثنتين وستين وستمائة رفع إلى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قضية موضوعها ، أن مسجدًا على باب مشهد الحسين رضى الله عنه وإلى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم ، فأمر السلطان برد الدراهم وأبقى الجميع للمسجد ، فاتسع نطاقه وزاد رونقا وبهاء بما صرف عليه من تلك الأموال . وفى عهد الملك الناصر محمد ابن قلاوون أمر بتوسيع المسجد وذلك ببناء إيوان وبيوت للفقهاء العلوية وكان ذلك عام أربعة وثمانين وستماية .

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد وذلك لما رآه من الإقبال العظيم من المصلين والزائرين . كذلك عنى الوالى العثمانى السيد محمد باشا الشريف الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ ، بترميم المشهد وإصلاح زخارفه ، أما الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى فإنه وسع المشهد وزاد فى مساحته وصنع له تابوتًا من أبنوس مطعم بالصدف والعاج وجعل عليه سترا من الحرير المزركش ، نقله إليه فى احتفال كبير ، ويصف الجبرتى ذلك الاحتفال فيقول : ولما تمموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال وعلى جوانبه الأربع أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشونه على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد الشريف ووضعوا ذلك الستر على المقام » . وأما الأمير عبدالرحمن كتخدا فقد قام بإصلاحات كثيرة ، ففى سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجًا وحنفية بفسحة وأضاف إليه إيوانين ، كما رتب لسدنته والقائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولا بها حتى سنة ١٢٠٦ هـ حيث أصبحت أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبى الأنوار الوفائى ، فألحق بالمسجد ضررًا كبيرًا . ويقول الجبرتى فى ترجمة المذكور ، إن أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرر من سكناها فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة ، فاشترى دارًا قبلى المسجد وأدخل منها جانبًا فيه بمقدار باكية ورفعها درجة ليميز الحديث من العتيق وجعل به محرابًا وأنشأ فيما بقى من الدار الميضأة والمراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد وأبطل الدورة القديمة لانحراف مزاجه منها وتأذيه من رائحتها .

وتحول عبور الناس إلى الحديثة من داخل المسجد ، ولم تمض أيام قلائل حتى أضرت الروائح الكريهة بمن فى المسجد من المصلين والزائرين ، وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش لقربها منه ، فلغط الناس وشنوا الغارة وشنوا القاله ، ولم يحضر فى أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلى والتجار أحد ، ثم قاموا قومة واحدة وأغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة ومنعوا الناس من الدخول وساعدهم المنصفون من أجناسهم : فاضطر أبو الأنوار — كما يقول الجبرتى — إلى إعادة الميضأة القديمة كما كانت وجعل الحديثة مربطًا للحمير يستغل اجرته بعد أن أزالها ومحا أثرها » .

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩هـ وزار المقام الحسينى الشريف ، أمر الخديو اسماعيل بعمارته وتشييده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠ هـ . وقد أسهب على مبارك فى خططه فى وصف الإنشاءات التى قام بها الخديو اسماعيل (ولم يذكر أنها تنفيذًا لأمر السلطان عبد العزيز) فقد قال « وفرش بالفرش النفيسة وتنويره بالشموع والزيوت الطيبة (والأنفاس الغازية) فى قناديل البلور ورتبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقايين ونحو ذلك ووقفوا عليه أوقافًا جمة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه فى السنة » ويستطرد على مبارك فى بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف فيقول « لما رأى أهميته وازدحام الناس عليه وضيقه بهم لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيل والبغال والحمير حتى تزدحم أبوابه وطرقه فيضر ذلك بالمارة خصوصا فى المواسم ، ففتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (سنة ١٨٧٨ م) شارع السكه الجديدة حتى

وصل إلى تلول البرقية » . وكان على مبارك هو الذى قام بعملية الرسم إذ يقول « وندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن ، فبذلت الهمة فى ذلك وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه بحيث لو وضع عليه لكان مبرأ من العيوب مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة من المساكن بشوارع وميادين رحيبة . وجعلت شكله قائم الزوايا وجعلت حده الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجداران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجداران واحدًا ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلى هو الذى له الآن . وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن أعنى فى محل الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى وتكون عن يمين ذلك المطهرة والاخلية والساقية بحيث يوخذ لها بعض من عمارة العنانى ، فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن فى وضع الأخلية ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجًا من الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب داخلا فى الصحن من جهته اليسرى . وجعلت للضريح بابًا إلى الجامع وبابًا إلى الصحن وبابًا إلى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء . وجعلت سعة الشارع فى غربية وشرقية نحو ثلاثين مترًا وفى بحرية نحو أربعين » . أما الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ ، فقد تسرع فى بناء المسجد جميعه ما عدا القبة والضريح الشريف وتم البناء سنة ١٢٩٠ هـ ، أما المنارة فقد تمت سنة ١٢٩٥ هـ . غير أن راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارك ، ولذلك فإنه انتقده نقدًا لاذعًا

ـ وهو محق فى ذلك إذ يقول : إن راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا ، فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر وكذا الضلعان الآخران غير متساويين بحيث أوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء لسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف » وقد تكلفت هذه العمارة ـ على حد قول على مبارك ـ تسعا وسبعين ألف جنيه صرفت من خزينة الأوقاف ، هذا عدا ما تبرع به الامراء وعلية القوم ، فقد احضرت له العمد الرخام من القسطنطينية وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلى ، ومثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبة . وبالجامع منبر خشبى بديع مطلى بطلاء مذهب ، وهو فى الأصل منبر جامع أزبك الذى كان عند العتبة الخضراء فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين . وفى مؤخرة المسجد دكة تبليغ كبيرة ، أما صحن الجامع فيحتوى على أربعة وأربعين عمودًا عليها بوائك حاملة للسقف وهو من الخشب المطلى بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية فى الدقة والإبداع ، وفى وسط السقف ثلاث مناور مرتفعة مسقوفة كذلك . وبجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيرًا من النحاس المطلى بالذهب ، ويعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام . وللمسجد مئذنتان إحداهما قصيرة وقديمة وهى التى بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبة ـ كما سبق أن أشرنا ـ وقد طوقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين

من الحديد محافظة على بقائها ، أما المئذنة الثانية فتقع فى مؤخر المسجد وهى مرتفعة ورشيقة على الطراز العثمانى الذى يشبه المسلة أو (القلم الرصاص) وعليها لوحان بخط السلطان عبد المجيد خان كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ بأحدهما سورة الأنعام الآية (٩٠)(أولٰئِكَ الَّذِين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه أجرًا إن هو إلاَّ ذكرىٰ للعالمين) . والآخر « أحب أهل بيتى إلىَّ الحسن والحسين » .

كذلك فرشت أرضية مصلى الباب الأخضر بالسجاد والبسط التركية وبشرقى المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية . التى أنشأها عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هـ بعد أن بقيت هذه الآثار ست سنوات محفوظة فى الدولاب الجميل الذى صنع سنة ١٣٠٥ هـ فى الطرف الجنوبى للجدار الشرقى للمسجد . وهى قاعة متسعة الأرجاء مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع المستورد من إيران وتركيا ، تضاء بالمصابيح والثريات البلورية النادرة . وقد كسيت جدرانها بالرخام (المجزع) وبها محراب صغير ، وسقفها من الخشب المنقوش ونوافذها من الجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون . أما دولاب الآثار الشريفة فقد وضع فى الجهة القبلية من القاعة ، وهو عبارة عن فجوة كبيرة فى الجدار قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ الأخضر ، وفى وسطها لوح من الزجاج لتوضع فوقه باقى الأمانات ، وقد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج والصدف والأبنوس وكتب بأعلاه بأحرف من العاج « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . وللقاعة الشريفة بابان أحدهما إلى المسجد والآخر يؤدى إلى القاعة . وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسملة وسورة « ألم نشرح » وبعد ذلك النص الآتى :

« ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين . تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومرود وقطعة من القضيب وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوباً حبره وإزار عمانى ، وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبه يمنية وخميصه وكساء أبيض وقلانس ، فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم وخمس أرض خيبر وحصته من أرض النضير » .

أما فى عهد ثورتنا المباركة ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته ، وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به . فقد كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة فى المواسم والأعياد ، فزيدت مساحته حتى بلغت مساحة الصحن ٣٣٤٠ مترًا مربعًا ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر مربع ، أى باضافة ١٨٤٠ مترًا مربعًا إليه ، وقد أخذت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود وكذا النوافذ والأبواب التى استجدت ، من الطبيعة حتى جاءت التوسعة كامتداد طبيعى للمسجد القديم .

وقد روعى كذلك أن تكون المبانى مشابهة للقديم ومن نفس الخامات بقدر الامكان ، فقد بنيت الجدران التى يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلف (من المبانى القديمة) ، من الخارج والآخر من الداخل . كما كسيت

الحوائط من الداخل بمونة الحجر الصناعى حتى تكون مضاهية للحوائط القديمة .

وقد أضيف للمسجد مبنى مكون من دورين ،خاصًا بادارة المسجد ، يقع فى الجهة الشرقية منه بجوار غرفة المخلفات . كما انشئت مكتبة خاصة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ مترًا مربعًا تقع فى الجهة الشرقية أيضا ، على امتداد القبة والمصلى الخاص بالنساء .

ولما كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم – وهى الواجهة القبلية – ليست على استقامة واحدة ، فقد أضيف إليها مثلث فى الطرف الجنوبى الشرقى مساحته ٣٥ مترًا مربعًا ، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة . وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩ وتمت سنة ١٩٦٣ وبلغت جملة تكاليفها (٨٣) ألف جنيه ،هذا بالإضافة إلى السجاد اليدوى الذى صنع خصيصًا بمدينة المحلة الكبرى ،والذى بلغت تكاليفه ما يقرب من (٤٠) ألف جنيه

هذا وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ (٤٠) ألف جنيه الآن ،لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة ، تليق وصاحب المقام ، خاصة بعد أن أزيلت كل المبانى التى كانت تحجبه عن الميدان الذى خطط خصيصًا من أجله . وسيكون طول هذه الواجهة ٤٥ مترًا وعرضها ٨ أمتار ، وروعى فى الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ،حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة . وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية فى الدقة والإبداع

وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام . ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة . ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهى نوافذ . وستكون النوافذ مملوءة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوى من الأبواب . وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية فى توازن وتماثل محكم . وستقام مئذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى مماثلة للمئذنة الموجودة فى الطرف الجنوبى الغربى ومن نفس الطراز (انظر لوحة الغلاف) . كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزيزى والجوز التركى والزان، ويتكون من حشوات مجمعة ومطعمة بالصدف والعاج والأبنوس ، وقد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه . كما تصنع الآن مقصورة جديدة للمشهد الحسينى من النحاس المخرم والمكفت بالفضة والذهب . ورصدت الوزارة كذلك مبلغ (٥٠) ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع فى الجهة البحرية من المسجد .

القبة

يقول الاستاذ كرزويل ، الذى قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية ، أن القبة كلها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الجبرتى وعلى باشا مبارك ، فقد ذكرا أن عبد الرحمن كتخدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ كما هو ثابت على العتب الرخامى و نصه :

مسجد للحسين أصل المعالى   لا يضاهيه فى البقاع علاء

فيه فضل الرحمن للعبد نادى   زر وأرخ لك الهنا والرضاء

والقبة ليست مربعة تماماً ولكنها تميل إلى الاستطالة قليلاً ، ولذلك فقد كانت هناك صعوبة فى إقامتها ، أمكن التغلب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع القصير ، ونافذة ذات ست فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع الطويل . وقد غطيت فتحات النوافذ بجص مخرم ومعشق بزجاج ملون . وتتكون زخارف النوافذ الجصية من كتابات نسخية كلها آيات قرآنية وأحاديث نبوية . أما القبة فإنها ترتكز على عقود نصف دائرية ومقرنصات فى الأركان شبه دائرية ، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية فى الدقة ، تشبه إلى حد كبير تلك النقوش التى عملها على بك الكبير فى قبة الإمام الشافعى ، فهى بذلك عثمانية الطراز . وفوق المحراب نقشت قصيدة بماء الذهب كتبها الخطاط البلخى سنة ١١٨٧ هـ ، ومطلع القصيدة :

ألا إن تقوى الله خير البضائع   ومن لازم التقوى فليس بضائع

كما نجد نفس التاريخ منقوشًا على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبة ، ومعنى ذلك أن هذه الزخارف عملت بعد اثنتى عشرة سنة من العمارة التى قام بها عبد الرحمن كتخدا انظر لوحة رقم (٢) .

على أن أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يعرف بالباب الأخضر ،ويقع بالقرب من الركن الجنوبى للضريح وبالركن الجنوبى الغربى بالنسبة لجدار القبة ، وهو عبارة عن حائط طوله ٤ر٩٢ متر وارتفاعه ٥ر٨٥ متر ، تخترقه بوابة مستطيلة الشكل عرضها ١ر٨٩ متر وارتفاعها ٢ر٣٣ متر (انظر لوحة رقم ١) ويعلو البوابة عقد عاتق به حنية بداخلها دائرة مفرغة بزخارف دقيقة ، وتعلوها بقايا شرافات جميله . وتشبه هذه البوابة وزخارفها باب جامع الأقمر. ولذا فإن كرزويل يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى ،ومعنى ذلك أن هذا الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجىء الرأس الشريف إلى مصر تقريبًا . وقد عرف هذا الباب باسم باب الحسنين ، كما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية . أما الآن فإنه يعرف باسم الباب الأخضر . وفوق هذا الباب توجد مئذنة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبى ، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرخة سنة ٦٣٤ هـ وسبقت الإشارة إليها . والمئذنة مبنية بالآجر ،وتتكون من مربع طول ضلعه ٢ر٥ متر وارتفاعه ١٢ر٧٦ متر ،ينتهى بقاعدة مثمنة الشكل تقوم عليها الدورة الثانية للمئذنة وهى مثمنة الشكل وارتفاعها ٢ر٥٠ متر ، وفى كل وجه من أوجه المثمن توجد فتحة طويلة . ويعلو هذه الدورة رقبة مثمنة تعلوها قبة مضلعة يبلغ ارتفاعها مع الرقبة ٢ر٣٠ متر وعلى ذلك يكون ارتفاع المئذنة كلها ١٧ر٥ متر.

أما مربع القبة من الداخل فقد كسيت واجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بفسيفساء من الصدف ،وكذا غطى محيطها من الداخل بالرخام

والصدف فى رسوم هندسية غايه فى الدقة والإبداع ، وترجع هذه الزخارف الرخامية والصدفية إلى القرن (٨) هـ . أما الأجزاء العليا من مربع القبة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة تشبه تلك التى نقشت على القبة نفسها ، وكلها ترجع إلى القرن (١٢ هـ) ثم جددت هذه النقوش سنة ستة عشرة بعدالثلاثمائة والألف وقد سجل على الباكية الشريفة ما يأتى :

ركن هذا المقام جنة عدن   من أتاه يفوز بالمأمول
ركن هذا المقام ركن سديد   نال فيه الداعون حسن القبول
ركن هذا المقام كعبة مصر   زاد مجدًا بالسيد بن البتول
ركن هذا المقام حاز فخارًا   بالإمام الحسين سبط الرسول

وتحتوى القبة على أربعة أبواب ، بابان فى الجهة الغربية يؤديان إلى المسجد ، وباب بجوار المنبر مكتوب بأعلاه بالخط الثلث البارز الجميل المذهب على الرخام « الإجابة تحت قبته والشفاء فى تربته والأئمة فى ذريته وعترته » وباب يؤدى إلى غرفة الآثار ، كتب بأعلاه « قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلاَّ المودة فى القربى » .

كذلك كتب الشيخ عبد الله الشبراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتا من الشعر على الباب الخارجى نصها :

يا كرام الأنام يا آل طه   على من يهيم فيكم ملام
بابكم كعبة الهدى وحماكم   منهل فيه للأنام إزدحام
باب فضل لما سما أرخوه   من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه   وصلاة منى لكم وسلام

وفى العمارة التى قام بها السيد على أبو الأنوار والتى سبقت الإشارة إليها ، أجرى فتح باب فى الجهة البحرية للقبة ، وله مصرعان من النحاس المخرم بنقوش جميلة ، وبتواشيح الباب أربعة دوائر كتب فيها على التوالى — لا إله إلاّ الله محمد رسول الله — الإمام علىّ — الإمام الحسين — الإمام الحسن . ويعلو الباب عتبان كتب على أحدهما :

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا   بابا لسبط رسول الله ذى الرشد

وحسن اشراف نور الله أرخه   باب حماه عظيم الجاه والمدد

وقد غطيت كل الأبواب والنوافذ بأستار من الحرير الأخضر الجميل .

وسط القبة توجد المقصورة ، على بابها أربع حلقات من الفضة النقية اصة . .

قول الشيخ على الببلاوى ، إن الزائرين يدعون عند تحريكها ويقولون :

لن يخيب اليوم من رجائك من   حرك من دون بابك الحلقة

وحول المقصورة توجد مشكاوات من الزجاج المموه بالميناء المنقوشة بزخارف جميلة و مكتوب عليها اسم الملك الظاهر أبى سعيد ، كما تحتوى على كتابات قرآنية « الله نور السموات والأرض » ويبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثا وعشرين ، كانت قيمتها فى ذلك الوقت أكثر من ألفى دينار .

وبالقبة قبلة قديمة محلاة بقطع من الفسيفساء الرخامية ويكتنفها عمودان ن حجر السماق وبجانبهما قاعدتان من الرخام كانتا معدتين فيما مضى لوضع الشماعد ومكتوب فوق القبلة قصيدة مطلعها :

ألاَ إن تقوى الله خير البضائع   ومن لازم التقوى فليس بضائع

وسبق أن ذكرنا أن جميع جدران القبة مكسوة بالرخام الملون الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين انظر لوحة رقم (٣) ، وفوق ذلك ألواح من الخشب المطلى بنقوش زيتية متعددة الألوان ومذهبة ، وبأعلى النقوش كتب عليها قصيدة الإمام ابن جابر الأندلسى المشهورة والتى مطلعها :

فى كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة

وهى مكتوبة بالخط الثلث المذهب وتحيط بالقبة وتعلوها قصيدة أخرى يقال إنها تنسب إلى الحسين رضى الله عنه ويقول الشيخ الببلاوى إنها لسان حاله ، ومطلعها :

خيرة الله من الخلق أبى بعد جدى وأنا ابن الخيرتين

عبد الله غلاما ناشئا وقريش يعبدون الوثنين

والدى شمس وأمى قمر وأنا الكوكب بين النيرين

وفوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبة كتب عليه سورة الفتح من القرآن الكريم .

أما حجرة التابوت فهى تقع فى الطبقة الثالثة من أرض القبة وقد وضعت الرأس فيها على كرسى من الأبنوس ، وهى ملفوفة فى برنس أخضر وحولها نحو نصف أردب من الطيب الذى لا يفقد رائحته بتوالى السنين . وقد جاء فى التاريخ الحسينى ، أن بعض عظماء العصور الخالية أراد أن يرفع النقاب عن خبايا أسرار هذه الروضة المباركة فأنزل رجلين ليكشفا الخبر ، فخرج أحدهما أعمى والآخر أخرس ولذلك لم تحصل المحاولة مرة ثانية .وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين . والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب وتحتوى على مكان فسيح .بحده الشرق

باب يوصل إلى الحجرة المباركة التى تحتوى على تركيبة عظيمة على القبر الشريف. ويحيط بها تابوت من خشب الساج الهندى ، ويحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط ، لأن التركيبة التى تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى . ولما تصدع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها وإعادتها إلى حالتها الأولى ، كما أخرج التابوت الخشبى ورمم وأعيد إلى حالته الأولى وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وقد عنى الأستاذ حسن عبد الوهاب بدراسة وقراءة ما نقش عليه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية دراسة مستفيضة . ويبلغ طول التابوت ١٫٨٥ متر وعرضه ١٫٣٢ متر وارتفاعه ١٫٣٥ متر وهو مكون من جنب ورأسين ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية يحيط بها أشرطة تحتوى على كتابات بعضها بالخط الكوفى والبعض الآخر بالخط النسخى الذى انتشر فى مصر فى العصر الأيوبى . أما زخارف هذه الحشوات ، فهى عبارة عن نقوش نباتية غاية فى الروعة والاتقان (انظر لوحة رقم ٦) ويحيط بالحشوات السداسية شريط من الخط الكوفى به كلمات منها « الملك لله » « وما توفيقى إلا بالله » ، « ثقتى بالله » ، « نصر من الله وفتح قريب » ، « العزة لله » ، « وما بكم من نعمة فمن الله » الخ . . .

ويقول حسن عبد الوهاب إن هذا التابوت يشبه إلى حد كبير تابوت الإمام الشافعى مما يدل على أنه معاصر له ، ولذلك فإنه يرجح أنهما صنعا فى عصر واحد وبيد صانع واحد ، وبما أن تابوت الإمام الشافعى مؤرخ سنة ٥٧٤ هـ أى أنه صنع فى عصر صلاح الدين الأيوبى ، لذلك يرجح حسن عبد الوهاب أن تابوت الحسين صنع بأمر صلاح الدين ،ذلك لأنه عنى عناية خاصة بمشهد الحسين وأنشأ مدرسة بجواره .

رباط الآثار

لم يترك رسول الله (ﷺ) كما ورد فى صحيحى بخارى ومسلم وغيرهما من كتب الحديث « دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمةً ولا شاةً ولا بعيرًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة بقوله (ﷺ) » نحن معشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة . ولكنه ترك (ﷺ) مخلفات شخصية كثيرة كثيابه وأمتعة بيته وغيرها ، وقد ورد الشيءُ الكثير عن هذه المخلفات فى كتب السيره والتاريخ . وكثير من هذه المراجع كان يحاول وصف هذه المخلفات وبيان عددها بل وذكر اسمائها ، فمن ذلك ما ورد أن عمامته (ﷺ) كانت تسمى (السحاب) .ومقصه يسمى (الجامع) ،وقضيبًا كان يأخذه فى يده يسمى (الممشوق) ،وكان له قدح من خشب أثل يسمى (النسعة) . أما سيفه فكان يعرف (بذى الفقار) . ولم يكتف كتاب السيرة بذلك ،بل منهم من حاول جاهدًا أن يصل بنسبة هذه المخلفات فى تسلسل ،إلى من آلت إليهم أولا من آل البيت وغيرهم من خلفائه وصحبه (ﷺ) . ولم تخل هذه المحاولة من أسلوب أسطورى فى كثير من الأحيان ، ولكن الذى لا شك فيه هو وجود المخلفات ذاتها ، وأن فى اجماع كتب السيرة ما يقطع بوجودها ، وقد بقيت على مر العصور . وكل ما يلاحظ (الآن) على تلك المراجع جميعها ، أن أحدًا منها لم يتناول هذه المخلفات بالدراسة العلمية الفنية ، حتى يستطيع معها الباحث أن يثبت نسبتها للرسول (ﷺ) يقينًا أو ترجيحًا أو نفيها ، كما يلاحظ على بعضها عدم الاهتمام بمعاينة هذه المخلفات والاكتفاء بنقل أسمائها عن مراجع سابقة. لذلك أصبح من الواجب على من يتصدى للكتابة عن

هذه المخلفات الشريفة ، أن يتناولها بالدرس دراسة علمية ،تجمع بين الفنية والأثرية ، يستطيع معها إلى جانب دراستها من الناحية التاريخية أن يقطع برأى علمى صحيح عنها . وسيكون هذا منهجى فى دراسة بعض هذه المخلفات ، وأعنى بها تلك التى لا تزال موجودة بمسجد سيدنا الحسين رضوان الله عليه .

وقصة مخلفات الرسول عامة ، سارت فى جملتها فى سلسلة تاريخية معقولة مقبولة ، بدأت بطبيعة الحال بأن آلت إلى آل بيته ، ومن أعقبهم بطريق الميراث ،أو إلى الصحابة عن طريق الإهداء ، وبقيت كذلك حتى جاءت الدولة الأموية ، فاستطاع خلفاؤها أن يحصلوا على كثير منها ،بطريق الشراء فى أغلب الأحيان بقصد التبرك والتشريف . ولما زالت الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ ، وآل الملك للعباسيين ، كان من الطبيعى أن يحرصوا على أن تؤول إليهم كذلك مخلفات الرسول (ﷺ) ، فهم أولاد عمه وأولى بها . ولقد بلغ حرص العباسيين واهتمامهم بهذه المخلفات حداً اعتبروا معه بعضها كالبردة والقضيب شارة من شارات الخلافة ، وقد ذكر ذلك كثير من المؤرخين[1] . فقد ورد أن القضيب والبردة أثران نبويان ، كانا من شارات الخلافة فى الدولة العباسية ،وكان الرسم أن يأخذ الخليفة القضيب بيده فى الموكب، وكانت البردة تطرح على كتفه فى المواكب جالسًا أو راكبًا . وقال ابن كثير « كان الخليفة يلبسها (أى البردة) يوم العيد على كتفه ويأخذ القضيب المنسوب إليه (أى الرسول ﷺ) فى إحدى يديه » . بل بلغ من عناية العباسيين بهذين الأثرين الشريفين وحرصهم

(١) خطط المقريزى ج ١ ص ٤٤٨-٤٥٥ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٣ ، ج ٤ ص ٧ — ٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٦٣ ، أخبار الدول للقرمانى ص ٨٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٧ ، الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٦٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٨ ، تاريخ الطبرى ج ١٢ ص ٦٥٥ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٢ ، الكواكب السيارة لابن الزيات ص ١٤٤ ، حاشية البغدادى ج ١ ص ٥٥ .

عليهما ، أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة . فإذا كان غائبًا بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة يبردونه » .

ومن هذه المخلفات مجموعة فريدة لا تزال موجودة بمصر ، وهى محفوظة فى حجرة خاصة بالمسجد الحسينى بالقاهرة . وقد رأيت قبل وصفها ودراستها فنيًّا وأثريًّا ، أن أقدم لها بما ورد عن بيانها وتاريخها ، والأماكن التى نقلت إليها حتى وصلت إلى مستقرها المحفوظة به الآن وهو المسجد الحسينى .

أجمع كل من كتب من المؤرخين[1] عن المخلفات النبوية الموجودة بالقاهرة ، على أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، ويقال إنهم تلقوها بالميراث عن آبائهم وأجدادهم الأولين ، فى أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن الرسول (ﷺ) . وفى القرن السابع الهجرى ، اشترى هذه المخلفات من بنى إبراهيم وزير مصرى ، اسمه الصاحب تاج الدين من بنى حِنّا ، ثم نقلها إلى مصر وبنى لها رباطًا[2] على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار ، وسماه ابن دقماق[3] بالرباط الصاحبي التاجى ، نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين . ويعرف الآن باسم (أثر النبى) . وقد بلغ من حرص المصريين ، على هذا التراث الأثرى العظيم وتقديرهم له ، أن جعلوا من بين وظائف الدولة الهامة وظيفة شيخ الآثار النبوية ، فقد قال

---

(١) خطط المقريزى . القلقشندى فى صبح الأعشى . ابن كثير فى البداية والنهاية . السيوطى فى حسن المحاضرة . الجبرتى . الخطط التوفيقية . رحلة ابن بطوطة .

(٢) الرباط : نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف . وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الامبراطورية الإسلامية على حدودها . وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة . ولما زالت عن الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ١٠٢ ، المقريزى حـ ٤ ص ٢٩٣ .

ابن اياس[١] فى حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ « وفيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى ثغر دمياط وكان دينا خيرًا حسن السيرة لا بأس به » .

وجاء فى الضوء اللامع[٢] أنه فى سنة ٨٧٠هـ ،استقر العز الكنانى بالشيخ ولى الدين أبو زرعه أحمد بن محمد ، شيخًا على الآثار ، ثم نقل قاضيًا لدمياط وتوفى بها .

أما عن الرباط الذى بنى خصيصًا لكى يضم المخلفات ، فيقول المقريزى[٣] فى وصفه : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل، ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . وجاء فى المقريزى أيضا نقلا عن أبى المتوج قال : هذا الرباط عمّره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمّر فيه شيئًا يسيرًا وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمّر فيه شيئًا جيدًا . ثم يذكر المقريزى السبب فى تسميته باسم رباط الآثار فيقول : « وإنما قيل اه رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار الرسول (ﷺ) اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع وحملها إلى هذا

---

(١) تاريخ مصر جـ ١ ص ٩٩ .

(٢) السخاوى جـ ١ ص ٧٣٨ .

(٣) الخطط جـ ٤ ص ٢٩٥ .

الرباط وهى به إلى اليوم (أى عصر المقريزى فى القرن ١٥ م) يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضا . وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط ، وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله . »

وبمثل قول المقريزى فى وصف رباط الآثار ،قال كثير من المؤرخين ،وخاصة أولئك الذين جاءوا بعده ،مع اختلاف بسيط بالنسبة لعدد المخلفات النبوية الباقية ،وكذا بالنسبة للإضافات والتجديدات والترميمات التى أجريت فى الرباط فى عهدهم ،والأحداث التى مرت به ، فقد نقل ابن دقماق عبارة ابن المتوج التى نقلها المقريزى ، إلا أنه اختلف مع المقريزى فى ثمن المخلفات ، فقال إن الصاحب تاج الدين بن حنا اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط ، واختلف معه فى عدد المخلفات ، فبينما يذكر المقريزى أنها « قطعة خشب وحديد » فقط . يقول ابن دقماق إنها قطعة من العنزة (الحربة القصيرة) وقطعة من قصعة ومرود وملقط ومخصف . أما ابن كثير فيقول : وبلغنى أن بالديار المصرية مزارًا فيه أشياء من آثار النبى (ﷺ) اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط

وغير ذلك والله أعلم . وقد نقل أحمد تيمور عن البرهان[1] الحلبي ما نصه : وفى آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر . وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصف صغير وملقط صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها . وقد زرناه غير مرة ، وهو مكان مليح فى غاية النزهة وما بعده إلا بساتين وقد زرناه مرة فرآنى الإمام جلال الدين بن الخطيب داريا الدمشقى بسوق كتب القاهرة ، فسألنى : أين كنتم ؟ فقلت : زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء ، فقال : هل نظم أحد فى ذلك شيئًا ؟ فقلت : لا .. فقال : أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين ، فأنشدنى ذلك وهما :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره

فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

كذلك ورد ذكر رباط الآثار والمخلفات النبوية فى كتب الرحالة الذين زاروا مصر ، فهذا ابن بطوطة [2] الذى جاء إلى مصر فى القرن الثامن الهجرى يصف الرباط فيقول : فبت ليلة خروجى إلى الصعيد برسم الحجاز الشريف ، بالرباط الذى بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه وهى قطعة من قصعة رسول الله (ﷺ) والميل الذى كان يكتحل به والدرفش وهو الأشفى الذى كان يخصف

---

(١) الآثار النبوية ص ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٥٥ .

به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب الذى بخط يده رضى الله عنه . ويقال إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدم تلك الآثار الشريفة » .

ويحدثنا السيوطى[1] فى القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول : ولم يزل الرباط عامرًا مأهولاً بالمصلين والزوار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار الشريفة خوفًا عليها من السُراق ، وتغيرت معالمه بتجديد بنائه . والذى وقفنا عليه من ذلك تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١هـ ، كما ورد فى تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ، ففيه أنه لما عزل وأنزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ هـ فى مسجد أثر النبى الذى بمصر القديمة وكان قد وسعه وجدده وبنى تحته رصيفًا لدفع ماء النيل عن بنائه ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طينا ، وعين به قراء ووظائف وحراسًا قاطنين به » .

ثم يحدثنا الجبرتى فى القرن الثالث عشر الهجرى عما آل إليه حال الرباط فيقول : « وفى رجب من سنة ١٢٢٤ هـ أمر الخواجه محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى خراب » .

ويعلم من أقوال السيوطى أن الآثار الشريفة نقلت من الرباط لما تصدع بنيانه وخشى عليها من السراق وكان نقلها كما يؤخذ من عبارة الجبرتى فى حوادث سنة ١٢٠٣ هـ « أخبر بعض الناس قاضى العسكر أن بمدفن السلطان

(١) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٤٨ .

الغورى بداخل خزانة فى القبة آثار النبى (ﷺ) ، وهى قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل ، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقًا ووضعها فى داخل بقجة وضمخها بالطيب ووضعها على كرسى ورفعها على رأس بعض الأتباع وركب القاضى والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبى (ﷺ) حتى وصلوا بها إلى المدافن ووضعوها فى داخل الصندوق ورفعوها فى مكانها بالخزانة » .

ويؤيد رواية الجبرتى تلك القصة التى ذكرها ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٦ هـ « فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس وكان مضى من مسرى ستة وعشرون يوما ، فأقام ملك الأمراء فى المقياس ذلك اليوم وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء ، فقرأوا فيها عشرين دورا ، ثم قرأوا صحيح البخارى هناك ، وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء مالا له صوره وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغًا له صوره وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية ووضعه فى فسقية المقياس وغسلوه من الماء الذى بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالزيادة » .

أما المؤرخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولونى فيقول إن السلطان الغورى بنى القبة المواجهة لمدرسته للآثار النبوية وقد نقل عنه على مبارك[1] هذا النص : «وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة التى أنشأها بخط الشرابشيين بسوق الجمالون وسوق الخشبية بمباشرة الجناب العالى الأميرى الفاضلى السيفى ثانى بك الخازندار وناظر الحسبة الشريفة ، وما مع ذلك ، وأن تكون القبة المعظمة

(١) الخطط التوفيقية جـ ٢ ص ٢٤ .

المأمور بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة فى الحسن والإتقان لما سبق . كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصه الله تعالى من تعظيمها بالمصحف العثمانى والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات » .

ويقول أحمد تيمور[1] ما نصه « فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت من رباطها إلى هذه القبة فى أيام الغورى أى فى أوائل القرن العاشر (الهجرى) غير أننا لم نقف فيما بأيدينا من النصوص على تعيين السنة التى نقلت فيها ، ويغلب على الظن أنها مذكورة فى المدة الضائعة من تاريخ ابن اياس المطبوع بمصر ، وهى من سنة ٩٠٦ هـ إلى آخر سنة ٩٢١ هـ » .

وقد بقيت الآثار النبوية بقبة الغورى أكثر من ثلاثة قرون ، حتى كانت سنة ١٢٧٥ هـ فرئى نقلها إلى المسجد الزينبى ، فقد ذكر السيد محمود الببلاوى[2] : « أقول وقد استمرت الآثار النبوية الشريفة بقبة الآثار الى سنة ١٢٧٥ هـ وبعد ذلك نقلت إلى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وبقيت به قليلا كما أخبرنا بذلك ثقاة الشيوخ الكبراء ، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزينة الأمتعة بالقلعة واستمرت بها إلى سنة ١٣٠٤ هـ ثم نقلت إلى ديوان عموم الأوقاف ثم فى سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى سراى عابدين العامرة واقتضت إرادة سمو الخديوى السابق المعظم ساكن الجنان المرحوم توفيق باشا أن تنقل إلى المسجد الحسينى فأعد لها (مكان) فخيم وهو دولاب جميل الصنع فى الحائط الشرقى للمسجد من الجهة القبلية ، فلما كمل أمر رحمه الله بعمل موكب فخيم لها يمشى فيه عظماء الحكومة وكبراء الأمة لمناسبة انتقالها من سراى

(١) الآثار النبوية ص ٣٨ .

(٢) التاريخ الحسينى ص ٣٦ .

عابدين العامرة إلى المسجد الحسينى ، فكان ذلك وتم انتقالها منها إليه فى يوم الخميس ، الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ ، فكان موكبًا لم يسبق له مثيل ولم تر الديار المصرية قبله أو بعده موكبًا سنيا أو احتفالا بهيجا هائلا دينيا مثله » وقد لخص السيد محمود الببلاوى فى كتابه ما جاء عنه فى الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) . وقد رأيت إتماما للفائدة ولكى نعطى صورة متكاملة لذلك الموكب ، أن أنقل فى وصف جلال هذا الموكب ، بعض فقرات عنه : لما علم الأهلون بتوجه الأفكار العلية إلى الاحتفال بنقلها فى يوم الخميس الماضى هرع الناس من بيوتهم فى صباح ذلك اليوم وازدحموا بجوانب الطرقات التى تمر منها الموكب وغصت البيوت والمساكن ونوافذها بالمنتظرين ، ثم توافد على السراى العامرة دولة الغازى مختار باشا وأصحاب الدولة حسين كامل باشا ومحمود باشا ومنصور باشا ونوبار باشا ورئيس مجلس النظار والنظار الكرام وقنصل دولة إيران وأفاضل العلماء والذوات والأعيان والتجار وموظفو الحكومة على الإطلاق . وقد كانت الآثار الشريفة فى قاعة الاستقبال الكبيرة الخديوية على أسرة مكسوة بفاخر الديباج الأخضر وحواليها آلات البخور الثمينة ، ولما قرب الميعاد استدعى الجناب العالى إلى مجلسه الكريم أصحاب الفضيلة قاضى مصر ومفتيها وشيخ الجامع الأزهر والمشايخ الأخيار ، المهدى والبكرى والسادات وتلا بعض مشاهير القراء آيات من القرآن المجيد ثم تقدم الجناب العالى ورفع الخرقة الشريفة على يديه وكلف كلا من أصحاب الدولة مختار باشا وحسين باشا ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ومحمد رؤوف باشا ناظر الأوقاف برفع بقية الآثار وسار أمامهم والباقون حوله إلى أن وصلوا إلى باب السلاملك الموصل إلى

ميدان عابدين وهناك تقدم السيد عبد الباقى البكرى واستلم من يده هذه الأمانة وانتظم مع الحاملين بقية الآثار الشريفة فأدى فوارس العساكر ورجالتهم وموسيقاهم واجب التعظيم وأطلقت المدافع من القلعة إعلانًا بقيام الموكب المنيف . ثم سار الموكب وفى مقدمته أربعة فوارس وضابط يتلوهم كافة أرباب الأشاير الموجودة فى العاصمة وبعدهم فريق من فوارس الجيش . وقد انتظم فى هذا الموكب أكثر من ثلاثين ألف نسمة وعدد المحتفلين والمتبركين فى طريقه مائتا ألف أو يزيدون . وسار الموكب من سراى عابدين إلى شارع عبد العزيز فالعتبة الخضراء فشارع محمد على فميدان باب الخلق ثم أخذ طريق تحت الربع فالسكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة إلى أن وصل إلى المشهد الحسينى فأودعت الآثار الشريفة فى حرزها المصون واستلم مفاتيحها ناظر الأوقاف وتليت آى القرآن الكريم ودارت الشربات على الحاضرين » .

ثم يضيف السيد محمود البيلاوى « فاستمرت الآثار الشريفة بالدولاب سالف الذكر حتى أمر الخديو بإنشاء قاعة الآثار الحالية فتمت على أحسن شكل وأتقن نظام فى شهر ربيع الأول سنة ١٣١١هـ وهى قاعة فخيمة فسيحة الأرجاء مفروشة بالأبسطة النفيسة وبها ثريات ومصابيح وقد كسيت جوانبها بالرخام المجزع وبها قبلة صغيرة لطيفة وسقف من أدق الأسقف صناعة وشبابيك من الجبس المحشو بالزجاج الملون . وقد وضع دولاب الآثار الشريفة فى الجهة القبلية من هذا المكان وهو فجوة كبيرة فى الجدار مكللة بالأنوار ، قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت حوائطه وأرضه وسقفه بالجوخ الأخضر . وبه لوح فخم من البلور لتوضع فوقه باقى الأمانات . والدولاب من الخشب الجوزى المطعم بالأبنوس والعاج وقد كتب أعلاه بأحرف من العاج

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) . ولهذه القاعة بابان واحد يؤدى إلى المسجد وهو محلى بالصفائح الفضية المنقوشة وآخر يؤدى إلى القبة الشريفة . وقد كتب بدائر القاعة الشريفة على الرخام ، البسملة وسورة ألم نشرح ، وبعد ذلك ما يأتى « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين تشتمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحاله ومرود وقطعة من القضيب الشريف وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى ، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوبا حبره وازار عمانى وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبة يمانية وخميصة وكساء أبيض وقلانس فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم من خمس أرض خيبر وحصته من أرض بنى نضير . أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا المعظم عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه » .

* * *

يستفاد مما تقدم ، أن بنى إبراهيم من أهل ينبع قد عنوا بحفظ هذه الآثار الشريفة ، وتوارثها خلفهم عن سلفهم ولاحقهم عن سابقهم ، واستمرت لديهم وفى عقبهم حتى اشتراها منهم الوزير المصرى الصاحب تاج الدين ابن حنا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ، وقد بنى لها الصاحب تاج الدين رباطا على شاطىء النيل بمصر القديمة ، عرف (برباط الآثار) أو (أثر النبى) ، وأوقف عليه الأوقاف ، وعين له الشيوخ ،

للحفاظ على هذا التراث الكريم وصيانة الرباط . وظل الرباط تتناوله يد الإصلاح والترميم ، جيلا بعد جيل حتى تصدع ، وخشى على المخلفات النبوية من السراق ، فبنى لها السلطان قنصوه الغورى فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، قبة عظيمة تجاه مدرسته بشارع الغورية ، وظلت المخلفات محفوظة بقبة الغورى أكثر من ثلاثة قرون ، حتى نقلت منها إلى مسجد السيدةزينب رضوان الله عليها سنة ١٢٧٥ ، ثم نقلت بعد ذلك إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، وبعد فترة قصيرة نقلت منها إلى ديوان الأوقاف ، ثم إلى سراى عابدين سنة ١٣٠٥هـ ، وفى السنة ذاتها نقلت فى موكب عظيم إلى مشهد الحسين رضوان الله عليه ، بعد أن أعد لها بأمر الخديو توفيق ، دولاب فى الركن الجنوبى من الحائط الشرقى للمسجد . وفى سنة ١٣١١ هـ أمر الخديو عباس حلمى الثانى ، بإنشاء قاعة خاصة لمخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتقع هذه القاعة وراء الحائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى للقبة ، وهى باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة فى أيام معلومة .

أما عن بيان هذه الآثار ، فقد اختلفت الروايات فى عددها وأعيانها ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المؤرخين لم يعنوا برؤيتها ، فاعتمد معظمهم على النقل من المراجع السابقة أو على السماع ، وقليل منهم من تحفظ فاختتم عبارته بقوله (وغير ذلك) . ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فإنى سوف لا أعتمد إلا على المخلفات الموجودة فعلا ، والمحفوظة بمسجد سيدنا الحسين ، وهى كما جاء فى التاريخ الحسينى ، ثمان درر يتيمة الأولى والثانية شعرتان من اللحية النبوية الشريفة

وهما محفوظتان فى زجاجة والثالث والرابعة المكحلة وهى أشبه بالملعقة الفضية الصغيرة والمرود الشريف والخامسة قطعة من القضيب الشريف ، والسادسة قطعة من القميص النبوى الشريف . والدرة السابعة مصحف شريف بخط الإمام علىّ كرم الله وجهه والدرة الثامنة مصحف جليل بخط ذى النورين عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

وسأتناول فيما يلى كلا منها بالدراسة والتحليل والله ولى التوفيق .

مخلفات الرسول

ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال الثابت والمنقول وإن لم يورث ، فمن الثابت أرض فدك وخيبر ، وقد ورد أن السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول ، طلبت إلى أبي بكر بعد أن بويع بالخلافة ما ترك أبوها ، وقالت « مالى لا أرث أبي » فأجابها أبو بكر ، بأنه عليه الصلاة والسلام قال « نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » . وقد عمل أبو بكر بهذا الحديث ، وجعل هذه الأرض وغيرها لبيت مال المسلمين . وأما المنقول فليس من شك أن الرسول ترك من الثياب والأدوات وأمتعة البيت ، ما كان يلبس أو يستعمل فى حياته اليومية ، وإن كان عددا قليلا ، وكذلك مما كان يستعمله فى شئون الدولة ، بعد أن استقر له الأمر فى المدينة . وواضح من الحديث المتقدم أنه لم يرث الرسول الكريم أحد من أمهات المسلمين ولا من غيرهن فيما ترك ، وأن ما تركه من مخلفات وزع صدقات على من يستحقها من المسلمين .

وعلى كثرة ما كتب فى السيرة العطرة ، فإن مرجعًا لم يذكر لنا من هم أولئك الذين تصدق عليهم أبو بكر ، أو تصدقت عليهم أمهات المسلمين ، بمخلفات النبي الكريم ، لنتتبع أخبارهم ومعرفة مصير ما آل إليهم من تلك المخلفات. ولعل السبب فى ذلك يرجع كما قيل – إلى أن سيرة الرسول نفسها لم تدون إلا بعد زمن طويل من وفاته ، فلم يكن عجبًا أن لا يتناول الأولون ممن دونوا هذه السيرة ، ما خلّف رسول الله من منقولات ، لأن حياته الحافلة ورسالته العظيمة وغزواته ، وما إلى ذلك من جلائل الأعمال ، شغلهم عما سواها ، واستغرق كل بحوثهم ومدوناتهم فلم يقفوا عند المخلفات النبوية ، ولم يذكروا

لمن ذهبت وإلى من آلت . فلما جاء المؤرخون المتأخرون بدأوا يكتبون عن هذه الآثار فى مصنفاتهم ما وقفوا عليه من أنبائها .

لذلك أصبح من العسير معرفة تاريخ المخلفات الموجودة بمسجد الحسين قبل القرن السابع الهجرى ، أى قبل مجيئها إلى مصر ، بعد أن اشتراها الوزير تاج الدين محمد بن الصاحب أحد أفراد بنى حنا ، من بنى إبراهيم بمدينة ينبع ، كما أننا لم نعثر على ترجمة لأى شخص من أفراد بنى إبراهيم ، لهذا لم نر بدا من معالجة هذه المخلفات من الناحية التطبيقية الفنية ، وتحليلها تحليلا كيمائيًا بالإضافة إلى ما جاء عنها فى المراجع التاريخية حتى نستطيع أن ندلى فيها برأى .

والمخلفات الموجودة بمسجد الحسين الآن هى : ثلاث قطع من النسيج ، وقطعة من القضيب وهى التى عبر عنها الجبرتى بقطعة عصا ، والمكحلة والميل (المرود) وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة ، وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق من الفضة ، ملفوفة فى قطع من الحرير الأطلس الأخضر الموشى بخيوط من الذهب والفضة . وسأتناول كلا منها على حدة بالدراسة والتحليل .

* * *

القميص

للكلام على قطعة القميص الموجودة بمسجد الحسين ، والتى يقال إنها من مخلفات الرسول (ﷺ) ،رأيت أن أحصر كل ماورد فى المراجع التاريخية وكتب السيرة عن لباس النبى ،حتى نستطيع أن نعرف كنه القطع التى بين أيدينا .

ذكر ابن سيد الناس[1] عن ابن فارس قال « ترك رسول الله (ﷺ) يوم مات ثوبى حبرة وإزارا عمانياوثوبين صحاريين وقميصاصحاريـاوآخر سحوليا وجبة يمانية وكساء أبيض وقلانس صغار لاطئة ثلاثا أو أربعا . وإزار طوله خمسة أشبار وخميصة وملحفة مورسة » ثم أضاف ابن سيد الناس « ورداء مربع طوله أربعة أذرع وإنما اختلف فى عرضه فقيل ذراع وشبر وقيل ذراعان وشبر » .

أما عن كفن رسول الله (ﷺ) فقد جاء فى عيون الاثر[2] « وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة » ثم يعود فيذكر الرواية الآتية عن غسل النبى (ﷺ) فيقول « وكانوا قد اختلفوا فى غسله فقالوا ما ندرى أنجرد رسول الله من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه . فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا النبى (ﷺ) وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله (ﷺ) وغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء فوق القميص ويدلكون القميص دون أيديهم » .

وذكر الملوانى[3] فى مخطوطه عند الكلام عن أثواب الرسول صلوات الله عليه

---

(١) ابن سيد الناس جـ ٢ ص ٣١٩ .
(٢) عيون الأثر جـ ٢ ص ٣٣٩ .
(٣) الملوانى : تحفة الاحباب ص ٢٢ مخطوط دار الكتب المصرية مصور عن سوهاج (تاريخ رقم ٥٦٢٣)

وأثاثه ما يلى : « ترك صلى الله عليه وسلم يوم مات ثوبى حبره وإزارا عمانيا وثوبين صحاريين وقميصا صحاريا وآخر سحوليا وجبه يمينيه وخميصه وكسا أبيض وقلانس صغار لاطية ثلاثة أو أربعة وملحفة ومقراض وسواك . وكان له فراش من أدم حشوه ليف وقدح مضبب بفضة فى ثلاث مواضع وقدح آخر وتور من حجارة ومخضب من شب يعمل فيه الحنة والكتم ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حراره . وقدح من زجاج ومغتسل من صفر وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر ومد وسرير وقطيفة وخاتم من فضة نقشه محمد رسول الله وقيل إنه كان من حديد ملوى بفضة .وأهدى له النجاشى خفين سارجين فلبسهما ،وكان له كسا أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها علياً فربما قال إذا رآه مقبلا وهى عليه أتاكم علىٌ فى السحاب . وكان له ثوبان للجمعة غير ثيابه التى يلبسها فى سائر الأيام ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء . »

وقد جاء فى كتب السيرة والمراجع التاريخية ذكر بعض لباس الرسول فى ثنايا الحديث عن أهله وخلفائه من الأمويين ، فقد ذكر أنس ابن مالك[1] « ولما صار من أمر عثمان ما صار كانت عائشة تُخرج قميص رسول الله (ﷺ) وشعره وتقول « هذا قميصه وشعره لم يبليا وقد بلى دينه » وقال ابن أبى الدنيا[2] : حدثنى هارون بن سفيان عن عبد الله السهمى حدثنى ثمامة ابن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ، إن من زرع قد حصد ، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير منى ، وإنما يليكم من هو شر منى كما أن من وليكم قبلى خير منى . ويا يزيد إذا دنا أجلى فول غسلى رجلا لبيبا ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم

---

(١) القرمانى ص ٨٦ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٤١ .

اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله (ﷺ) وقراضه من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذنى وعينى ، وأجعل الثوب مما يلى جلدى دون لفافى » .

أما عن بردة الرسول ومن آلت إليه فيذكر السلفى[1] « لما كان زمن معاوية رضى الله عنه كتب إلى كعب يقول : بعنا بردة رسول الله (ﷺ) بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التى هى عند خلفاء آل العباس ، وهكذا قاله خلائق آخرون » . أما الذهبى فقد ذكر فى تاريخه : أما البردة التى عند خلفاء آل العباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن أسحق فى غزوة تبوك « إن النبى (ﷺ) أعطى أهل إيله بردة مع كتابه الذى كتب فيه أمانا لهم ، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار » . وقال الإمام أحمد بن حنبل عن عروة ابن الزبير رضى الله عنه « إن ثوب رسول الله (ﷺ) الذى يخرج فيه للوفد رداء خضرمى طوله أربعة وعرضه ذراعا وشبر ، فهو عند الخلفاء وقد خلق وطوه بثياب تلبس يوم الاضحى والفطر » .

ويقول ابن لهيعة « وكانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم فى المواكب جلوسا وركوبا ، وكانت على المقتدر (الخليفة العباسى) حين قتل وتلوثت بالدم وأظن أنها فقدت فى فتنة التتار فإنا إلى الله وإنا إليه راجعون » ويختتم كثير من المؤرخين قصة بردة العباسيين بهذه الرواية[2] » وكانت بردة كعب بن زهير لم تزل عند الخلفاء يتوارثونها

---

(١) السيوطى ص ٨ .

(٢) القرمانى ص ٨٦ ، السيوطى ص ٨ ، عيون الأثر جـ ٢ ص ٢٧٥ ، أبو الفدا جـ ١ ص١٥٣ وغيرهم

ويطرحونها على أكتافهم فى المواكب والأعياد جلوسا وركوبا وكانت على المستعصم لما خرج لملاقاة هولاكو كبير التتار ، وقضيب النبى (ﷺ) بيده فاخذهما منه هولاكو وأحرقهما فى طبق وألقى رمادهما فى دجلة وقال « إنى ما حرقتهما استهانة بهما أنما حرقتهما تطهيرا لهما » .

من هذه المقتطفات التى أوردناها ، نرى أن بعض ملابس الرسول بقيت عند اهله وخلفائه ، حتى منتصف القرن السابع الهجرى سنة ٦٥٦ هـ ، التى قضى فيها التتار على الدولة العباسية . وقياسا على ذلك ، فليس من المستبعد أن يكون لدى بنى إبراهيم بمدينة ينبع ، بعض لباس الرسول التى اشتراها منهم الوزير تاج الدين بن الصاحب ، وجاء بها إلى مصر فى القرن السابع الهجرى .

بعد هذا رأيت أن أجمع بقدر الإمكان كل ما قيل عن أنواع اللباس التى تركها الرسول عند وفاته ، كل منها على حدة للرجوع إليها عند دراسة ما وجد منها فى المخلفات .

فبالنسبة للخميصة ، جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله ابن العباس : لما نزل برسول الله (ﷺ) طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال « وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وعن السيدة عائشة قالت : صلى رسول الله (ﷺ) فى خميصة له لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما سلم ، قال « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم فإنها الهتنى آنفا عن صلاتى » .

وعن أم سلمه بنت خالد ، قالت : أتى النبى (ﷺ) بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال « من ترون أن تكسو هذه » فسكت القوم فقال « ايتونى بأم خالد » فأتى بها تحتمل ، فأخذ الخميصة بيده فالبسها وقال « أبلى واخلقى » وكان فيها علم أخضر أو أصفر .

فإذا بحثنا فى معاجم اللغة لنقف على وصف الخميصة ، نجد أن المخصص[١] يذكر عن ابن سيده عن أبى عبد الله فيقول الخميصة كساء أسود له علمان . وجاء فى الافصاح[٢] العلم.هو رسم الثوب ورقمه .

وعن الإزار جاء فى صحيح البخارى (فى باب البرانس) من لا يجد إزارا فليلبس سراويل » . وجاء فى النويرى[٣] « فأعطانى هذا الإزار وقال قد احرمت فيه عشرين حجة » وجاء فى صحيح البخارى ، أن النبى قال « إنها ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بالإزار » . وفى وصف الإزار يقول دوزى[٤] (Dozy) لعل المقصود هنا بالإزار هو الثوب الذى يقوم مقام السراويل . وقال صاحب العين[٥] ، الإزار ما يلتحف به .

أما عن الجبة، فيذكر البخارى فى صحيحه فى باب (من لبس جبة ضيقة الكمين فى السفر) عن السيدة عائشة « انطلق النبى (ﷺ) لحاجته ثم أقبل فتلقيته بماء فتوضأ وغسل فى جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح يديه برأسه وعلى خفيه » . وجاء فى باب (لبس جبة الصوف فى الغزو) عن أنس قال « كنت مع النبى (ﷺ) فى سفر فقال (أمعك ماء » فقلت « نعم » فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عنى فى سواد الليل

(١) المخصص جـ ٤ ص ٧٩ .

(٢) الإفصاح ص ١٦٥ .

(٣) تاريخ مصر ص ٥٢ .

(٤) قاموس الملابس عند العرب ص ٣٧ . (Dozy)

(٥) المخصص جـ ٤ ص ٧٧ .

ثم جاء فأفرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف ، فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال « دعهما فإني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما » . وجاء فى مجامع الأنهر[1] ، أنه روى عن النبى (ﷺ) أنه لبس جبة مكفوفة بالحرير . ويفسر دوزى[2] (Dozy) كلمة مكفوفة فيقول أى أن بطرفيها شريطين من الحرير .

وبالنسبة للحبرة يقول البخارى فى باب (البرود والحبر والشمايل) عن أنس الذى روى بدوره عن قتادة قال « قلت له أى الثياب كان أحب إلى النبي (ﷺ) قال : الحبرة . وعن السيدة عائشة قالت « إن رسول الله (ﷺ) حين توفى سُجى ببرد حبرة » وجاء فى عيون الأطهار[3] ، أن النبى (ﷺ) ترك عند وفاته ثوبى حبرة . وفى وصف الحبرة جاء فى المخصص[4] عن ابن سكيت قال : ثوب حبر ، أى ثوب موشى ، هو من التحبير وهو التزين ، وثوب محبَّر . وجاء فى الافصاح[5] الحبرة بالفتح أو الكسر ، ضرب من برود اليمن . وجاء فى القاموس المحيط ، أن قماش الحبرة لا يصنع إلا باليمن .

---

(١) مجامع الأنهر جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) قاموس الملابس عند العرب ص ١٠٩ . (Dozy)

(٣) عيون الأطهار جـ ٤ ص ١٨٨ .

(٤) المخصص جـ ٤ ص ٦٧ .

(٥) الإفصاح ص ٧٣ .

وعن الملحفة قال صاحب العين ، وكذا الافصاح[١] ، الملحفة الملاءة ، واللحاف الذى فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه . وقد سبق أن ذكرنا أن الرسول صلوات الله عليه ترك فيما ترك « ملحفة مورسه » وجاء فى الافصاح فى تفسير كلمة مورسه : الورس هو أصفر خالص الصفرة ، ورّس ثوبه صبغه بالورس وهو مُوَرّس .

أما عن الرداء فيقول صاحب العين[٢] وكذا الافصاح : الرداءُ من الملاحف والرداءُ هو المعطف . كذلك ترك الرسول (ﷺ) فيما ترك قلانس صغارا لاطئة ، والقلانس كما جاء فى الافصاح[٣] جمع قلنسوة تلبس فى الرأس . وعن القلنسوة ذكر ابن بطوطة[٤] فى رحلته إلى الدولة البيزنطية يصف جماعة من الراهبات فيقول : دخلت مع الرومى الذى عينه الملك للركوب معى إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فاتن وعليهن أثر العبادة » .. ويذكر فى مجال آخر عند كلامه عن الملك المرهب جرجس قال « فإذا هذا الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد » . وعند كلامه عن المرأة[٥]. يقول « وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلود الغنم وفى رأسه قلنسوة

---

(١) المخصص جـ ٤ ص ٧٦ ، الإفصاح ص ١٥٩ .
(٢) المخصص جـ ٤ ص ٧٧ ، الإفصاح ص ١٥٩ .
(٣) الإفصاح ص ١٦٧ .
(٤) رحلة ابن بطوطة ص ١٥٢ .
(٥) المرجع السابق ص ١٤١ .

تناسب ذلك يسمونها الكلا » . وفى موضع آخر يتكلم عن الفتيان[١] فيقول وعلى رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلا كل قلنسوة قطعة موصولة بها فى طول ذراع وعرض أصبعين فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخانى ومسواة حسنة المنظر » .

نخرج من مجموع الروايات السابقة بأن القلنسوة تطلق على أغطية الرأس المتعددة الأشكال والخامات ، للرجال المدينين والدينيين على السواء وكذا النساء والفتيان .

ومن أنواع اللباس التى تركها النبي (ﷺ) القميص ، فقد جاء فى كتب السيرة ،أنه ترك عند وفاته قميصا صحاريا وآخر سحوليا . والقميص كما قيل هو الجلباب وهو الملاءة ، أما كلمة سحولى[٢] فقد قال أبو عبيد : السَّحْل الثوب من القطن ، وقال السُّحْل ثياب بيض واحدها سحل . وقال صاحب العين : السَّحْل ثوب لا يبرم غزله طاقتين طاقتين . ويقول ابن سيده السَّحْل ضرب من برود اليمن وهى السحولية ، وسحول موضع هناك . وجاء فى عيون الاطهار[٣] : أما السحولى فهو نسيج من القطن الأبيض المصنوع بقرية سحول . وجاء فى مراصد الاطلاع[٤] : سحول قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية .

---

(١) رحلة ابن بطوطه ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) المخصص ج ٤ ص ٧١ ، ٧٣ ، الإفصاح ص ١٦١ ؛

(٣) عيون الأطهار ج ٤ ص ١٨٨ .

(٤) مراصد الإطلاع ص ٢٩٥ .

أما عن الصحارى فقد جاء فى عيون الأطهار ، أنه من الجائز أن يكون هذا القيص الصحارى من صنع مدينة زهار » .

* * *

وبعد ذلك قمت بدراسة ما جاء فى المراجع التاريخية خاصا بوصف أنواع اللباس التى تركها النبى (ﷺ) سواء من ناحية الشكل أو المادة الخام أو مكان الصناعة لعلى أستطيع أن أسمى قطع النسيج الموجودة بمسجد الحسين ، والتى أطلق عليها الجبرتى كلمة (قميص الرسول) .

وسأتناول وصف قطع النسيج المذكوره وعددها ، فهى ثلاث قطع كبيرة ، تمتاز كلها بأنها بيضاء اللون وخالية تماما من الزخارف الملونة ، وكذا الزخارف النسجية ، إذ أنها جميعا منسوجة على أنوال يدوية بسيطة . ونلاحظ فى قطعة منها آثار الخياطة ، والقطعتان الآخريان خلو منها . أما من حيث المواد الخام[1] ، فهناك قطعتان من القطن ، قد تكونا أجزاء من ثوب سحولى ، وأما القطعة الثالثة وهى كبيرة الحجم فمن الكتان غير المبيض ، ليس من المستبعد أن تكون جزءا من الكساء الأبيض أو من الرداء المربع ، وإن كنت أرجح أن تكون من النسيج المصرى المعروف بالقباطى ، الذى تردد ذكره فى كثير من المراجع التاريخية ، وعرفه العرب قبل الإسلام ، إذ كتبوا عليه معلقاتهم ، وبعد الإسلام . فقد جاء فى المقريزى[2] ، أن المقوقس أهدى إلى رسول الله (ﷺ) فيا أهدى قباء وعشرين ثوبا قبطيا » وذكر الفاكهى فى أخبار مكة « رأيت كسوة — يعنى كسوة الكعبة — من قباطى مصر مكتوب عليها اسم الخليفة العباسى المهدى ، ومؤرخة سنة تسع وخمسين ومائة ، ومكان صناعتها

---

(١) لقد حللت الخيوط فى المعمل الكيمائى لمصلحة الآثار .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٤٦ .

تنيس » . ويذكر البلاذرى[1] فى رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاصى فى صدد فرض الجزية على أهل مصر عند فتحها ، والزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم (أى للمسلمين) جبة صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين فى كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا .

من هذا أستطيع أن أرجح أن قطعتى القطن قد تكونا من ثوب أو قميص سحولى ، أما القطعة الثالثة فليس ببعيد أن تكون جزءا من قميص من القباطى (انظر لوحة رقم ٨) .

---

(١) البلدان ص ٢٢٢ .

القضيب

ومن المخلفات النبوية المحفوظة بمسجد الحسين ، القضيب ، وقد ورد ذكره في كثير من المراجع فيما خلف الرسول (ﷺ) من الأدوات المنقولة ؛ فقد جاء في عيون[1] الأثر ، في باب الكلام على سلاح الرسول « وكان له من القسي خمس : الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط ، أصابهما من بني قنيقاع ، والزوراء والكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .

ويقول القرماني[2] : وكان له (للرسول) مخصرة تسمى العرجون وقضيب يسمى الممشوق من شوحط .

ويذكر أبو الفداء[3] في تاريخه عند الكلام على سلاح الرسول فيقول : « وكان لرسول الله (ﷺ) من السلاح سيفه المسمى ذا الفقار غنمه يوم بدر وكان لمنبه بن الحجاج السهمي وقيل لغيره وسمي ذا الفقار لحفر فيه . وغنم من بني قنيقاع ثلاثة أسياف ، وقدم معه إلى المدينة لما هاجر سيفان شهد بأحدهما بدرا وكان له ثلاثة أرماح وثلاثة قسي ودرعان غنمها من بني قنيقاع وكان له ترس فيه تمثال فأصبح وقد أذهبه الله » .

ويقول ابن سيد الناس عند الكلام على معجزات الرسول . ودخل مكة عام الفتح والأصنام معلقة وبيده قضيب فجعل يشير به إليها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط » .

---

(١) ابن سيد الناس جـ ٢ ص ٣١٨ .

(٢) القرماني ص ٨٩ .

(٣) أبو الفدان جـ ١ ص ١٥٨

مما تقدم يتضح لنا أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، كان عنده مجموعة من القسي وان اختلف المؤرخون فى بيان عددها ، فالبعض يقول ثلاثة والبعض الآخر يقول خمسة ، ومهما يكن من أمر عددها ، فالذى يعنينا هنا ، هو أن الرسول (ﷺ) كان عنده أكثر من عصا أو قضيب ، ذلك لأن معظم المراجع التاريخية تؤكد أن (هولاكو) عند استيلائه على الدولة العباسية ، أحرق البردة والقضيب – وهما كما هو معروف من شارات الخلافة العباسية – وذر رمادهما فى نهر دجلة . فليس من المستبعد إذن بل قد يكون من المرجح أن بباقى القسى كانت محفوظة عند المسلمين يتوارثونها تيمنا وبركة .

وإذا بحثنا عن وصف تلك القسى وأنواعها من الخشب ، فلا نكاد نستدل إلا على نوعين لاثنين منها ، فقد ورد أن من بين القسى التى تركها الرسول (ﷺ) الصفراء من النبع ، والنبع كما ورد فى كتب المعاجم[1] شجر له جنى أحمر مدحرج كالحبة الخضراء يسمى الفتح . ويضيف المخصص[2] ، وهو صلب جدا ، وفروعه صفراء اللون ، وتتخذ منه القسى .

كذلك ذكرت البيضاء من الشوحط ، والشوحط[3] نباته نوع من نبات الأرز ويمتاز بأن قضبانه تسمو كثيرا من أصل واحد وورقه رقاق طوال مثل ورق الطرخون ، وله ثمرة مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها أدق ، وهى لينة تؤكل وهو من عتق العيدان التى تتخذ منها القسى .

---

(١) الإفصاح ص ٦٢٣ .

(٢) المخصص ج ١١ ص ١٤٠ .

(٣) الافصاح ص ٦٢٣ والمخصص ج ١١ ص ١٤٠

أما الثلاثة الباقية من القسى فلم يذكر عنها غير أوصاف لا تعين على معرفة ، أو تسمية نوع خشبها ، فهناك الروحاء ، والزوراء والكتوم لانخفاض صوتها .

أما القضيب الموجود بمسجد الحسين بالقاهرة ،فقد تبين لى بعد فحصه[1] أنه من خشب الشوحط ، وهو نوع من خشب الأرز الذى كان ينمو على جبال بلاد الشام فى أوائل العصر الإسلامى . والقطعة الباقية من القضيب يبدو عليها القدم الشديد ، وكان من الممكن تحديد عمر الخشب عن طريق التحليل ، لولا أن القضيب كان قد غطى بطبقة من الراتنج[2] ، وذلك بطبيعة الحال لوقايته من التلف أو التآكل والتسويس ، وخاصة بعد أن ذهب الكثير منه . أما الغلاف المعدنى (لوحة رقم ٩) الذى يغلف معظم القضيب ، فقد تبين بعد التحليل أنه من الفضة الجيدة . وعلى ذلك فليس من المستبعد أن يكون هذا الجزء الباقى من القضيب لأحد من تلك القسى التى تركها الرسول (ﷺ) وقد يكون من العصا التى وصفت بالبيضاء من الشوحط .

* * *

---

(١) لقد قام بفحصه والكشف عن نوع خشبه المعمل الكيمائى التابع لمصلحة الآثار .

(٢) قد تكون هذه الطبقة من الجام لك أو القلفونية .

المكحلة

وأما المكحلة فقد ورد ذكرها كذلك فيما خلف الرسول (ﷺ) من أدوات الزينة ، فعن[1] يزيد بن هارون عن ابن العباس « أن النبي (ﷺ) كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كل عين » .

ويقول ابن سيد[2] الناس « وكان له قدح يسمى الريان وآخر مضبب بقدر أكثر من نصف المدفية وثلاثة ضباب من فضة وحلقة كانت للسفر . وثالث من زجاج ومغسل صفر (أى من نحاس) وربعة اسكندرانية من هدية المقوقس[3] يجعل فيها مشطا من عاج ومكحلة ومقراطا وسواكا ومرآة » .
كذلك ورد ذكر المكحلة والمرود أو الميل فى كثير من المراجع التاريخية على أنهما من مخلفات الرسول (ﷺ) الموجودة بالقاهرة فى مواضع متعددة ، فقد ذكر المقريزى[4] عن عبارة نقلها عن ابن المتوج عند كلامه عن رباط الآثار ، إذ يقول « وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشريف (مسافة متروكة[5] بيضاء) بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط وهى قطعة من العنزة[6] ، وقطعة من القصعة ومرود وملقط ومخصف »..

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذى ص ٤٧ .

(٢) عيون الأثر جـ ٢ ص ٣١٩ .

(٣) المقريزى جـ ١ ص ٤٦ .

(٤) المراجع السابق جـ ٢ ص ٤٢٩ .

(٥) يعلق أحمد تيمور على ترك المسافة البيضاء فيقول : البياض فى النسخة بمقدار كلمتين ولاريب أن الساقط أحد بنى ابراهيم الذى اشترى منه الصاحب هذه الآثار .

(٦) العنزة بفتحتين هى الحربة القصيرة .

ويضيف ابن كثير[١] « وبلغني أن بالديار المصرية مزارا فيه أشياء كثيرة من آثار النبي (ﷺ) اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم » .

ويقول القلقشندى[٢] عند كلامه عن الربط والخوانق « أما الخوانق والربط فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلي الفسطاط واشترى الآثاز الشريفة ، وهي ميل من نحاس ، وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة مال واثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة » .

وذكر البرهان[٣] الحلبي عند كلامه على رباط الآثار « وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصف صغير وملقط لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها » .

ووصف ابن بطوطة[٤] في رحلته إلى مصر رباط الآثار فقال « هو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه ، هي قطعة من قصعة رسول الله (ﷺ) والميل الذى كان يكتحل به ، والدرفش وهو الأشفى الذى كان يخصف به نعله » .

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦ .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٣) نور النبراس ج ٢ ص ٦٤٧ .

(٤) ابن بطوطة ج ١ ص ٢٥ .

وإذا بحثنا فى كتب السيرة عن اكتحال الرسول (ﷺ) بالكحل وجدنا فى صحيح البخارى والقرمانى [١] ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ما نصه : « وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام ثلاثا فى كل عين ، قال « إن خير كحالكم الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » . والإثمد كما جاء فى معاجم[٢] اللغة : الإثْمِد حجر الكحل أو حجر يكتحل به . ، ويضيف ابن سيده [٣] ، وهو شئ يشبه الكحل وليس به » .

ويؤخذ من الأقوال السابقة أن الإثمد الذى كان يكتحل به رسول الله (ﷺ) لم يكن للزينة كما قد يتبادر إلى الذهن بل هو من قبيل الدواء للمحافظة على سلامة العين ، ولذلك فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يستعمله عند النوم . ويؤيد هذا ما جاء فى المخصص فى شرح الإثمد إذ يقول : اللأصف وهو اسم للإثمد يكحل به فى بعض اللغات ، والإثمد هو الحَلُوه وهو حجر بعينه يستشفى به من الرمد » .

واستعمال الإثمد كان يتطلب بطبيعة الحال ، مكحلة يوضع بها مسحوق الإثمد ومرود أو ميل (وهو المكحل أو المكحال) للاكتحال به » .

والمكحلة (لوحة رقم ١٠) المحفوظة مع التراث الشريف ، تبين لنا بعد تحلل [٤] معدنها أن الجزء المقعر الذى يشبه الملعقة من النحاس الأصفر ، وإن

---

(١) القرمانى ص ٨٦ .

(٢) الافصاح ص ١٥٦ .

(٣) المخصص ج ٤ ص ٥٨ .

(٤) حلل بالمعمل الكيمائى التابع لمصلحة الآثار .

كان لونها الآن قد أصبح يميل إلى السواد وذلك من أثر القدم ، أما باقى اليد فقد كسيت بغلاف من الفضة من المرجح أن تكون قد أضيفت فيما بعد . أما المرود أو الميل فإنه من الحديد وقد غلف جزء من نهايته الغليظة بغلاف من الفضة ، وليس من المستبعد أن يكون قد أضيف مع غلاف المكحلة كذلك .

وبما أن المراجع التى تعرضت لوصف المكحلة والمرود ، ذكرت أنهما من النحاس أو النحاس الأحمر كما ورد فى بعضها ، وقال البعض الآخر أنهما من الحديد ، وقد تبين من التحليل أن المكحلة والمرود صنعتا من هاتين المادتين ، فليس من المستبعد أن تكون المكحلة والمرود من مخلفات الرسول .

الشَّعر

ومن بين المخلفات النبوية بضع شعرات تنسب إلى رسول الله (ﷺ) ولكى نتحقق من صحة نسبتها إليه، لا بد لنا من الرجوع إلى ما ورد فى كتب الحديث وكتب السيرة عن شعره (ﷺ) . وقد تناولته هذه المراجع فى بيان مستفيض، فتكلمت عن صفته ولونه وسدله وفرقه، وعن ترجيله ودهانه وعن شيبه وخضابه ، وعن حلقه وتقصيره . على أنه يكفى فى بحث هذا الموضوع أن نأخذ مما ورد فى كل منها ما تتطلبه الدراسة ويقتضيه البحث .

فقد ورد فى صحيح[1] مسلم عن قتادة قال « قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله (ﷺ) ، قال كان شعرًا رَجِلا[2] ليس بالجعد[3] ولا السبط[4] بين أذنيه وعاتقه . وعن قتادة فى رواية أخرى للترمذى[5] ، قال : قلت لأنس كيف كان شعر رسول الله (ﷺ) قال لم يكن بالجعد ولا بالسبط ، كان يبلغ شعره شحمة أذنيه » .

وعن أبى اسحاق قال سمعت البراء[6] يقول : كان رسول الله (ﷺ) رجلا مربوعا بعيد ما بين المنكبين عظيم الجُمّة إلى شحمة أُذنيه عليه حلة

---

(١) شرح مسلم للنووى على هامش القسطلانى جـ ١١ ص ١٢٢ .

(٢) شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وهو الذى بين الجعودة والسبوطه .

(٣) جعد الشعر يجعد جعودا كان فيه التواء وتقبض .

(٤) وشعر سبط بفتح الباء وكسرها أى شعر مرسل غير جعد .

(٥) الترمذى فى الشمائل المحمدية ص ٣٥ .

(٦) شرح الشمائل ص ٣٥ ، النووى على هامش القسطلانى ص ١٢١ .

حمراء ما رأيت شيئا قط أحسن منه عليه الصلاة والسلام.وفى رواية ما رأيت من ذى لمة أحسن منه .

ومن حديث لعائشة[١] كان له (ﷺ) شعر فوق الجُمّة ودون الوفرة ، وفى رواية لأبى داود[٢] وأخرى لإبراهيم الحربى تقولان : كان شعر رسول الله (ﷺ) فوق الوفرة ودون الجُمّة . وقال النووى شارح مسلم فى باب (صفة شعره (ﷺ) وصفاته وحليته) الجُمّة أكثر من الوفرة . فالجُمّة الشعر الذى نزل إلى المنكبين والوفرة ما نزل إلى شحمة الأُذنين . ونقل عن القاضى للجمع بين الروايات أن ما يلى الأُذن هو الذى بلغ شحمة أُذنيه وهو الذى بين أُذنيه وعاتقه . وما خلفه هو الذى يضرب إلى منكبيه . والعاتق ما بين المنكب والعنق . وقال إن ذلك لاختلاف الأوقات فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب وإذا قصرها كانت إلى انصاف الأُذنين فكان الشعر يقصر ويطول حسب ذلك .

وفى السدل والفرق . ورد عن ابن عباس[٣] قال : كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسدل ناصيته ثم فرق بعد . وفى رواية

---

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول حـ ٢ ص ٨

(٢) شرح مسلم على هامش القسطلانى ج ١١ ص ١٢١ .

(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ٨٠ .

للترمذى[١] عن ابن عباس أيضا أن رسول الله (ﷺ) كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان أهل الكتاب يسدلول رؤوسهم ، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق رسول الله (ﷺ) رأسه . وقال النووى[٢] جاء فى الحديث أنه كان للنبى (ﷺ) لمة فإن انفرقت فرقها وإلا تركها . .

وفى ترجيل[٣] الشعر ودهانه ، ورد عن عائشة[٤] ، قالت كنت أرجل رأس رسول الله (ﷺ) ، وعنها[٥] قالت أن رسول الله (ﷺ) كان يحب التيمن فى طهوره إذا تطهر وفى ترجله إذا ترجل وفى انتعاله إذا انتعل .

وعن عبد الله[٦] بن معقل قال نهى رسول الله (ﷺ) عن الترجل الا غِبًّا :

وعن أبى قتادة[٧] قال ، قلت يا رسول الله لى جمةٌ أفأرجلها ، قال نعم ، وأكرمها ، فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين من أجل قوله (ﷺ) نعم وأكرمها . وعن أنس[٨] بن مالك كان رسول الله (ﷺ) يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته .

---

(١) الشمايل المحمدية ص ٣٦ — يسدل شعره أى يرسل شعره حول رأسه . وقيل على الجبين ليكون كالقصة .

(٢) النووى على هامش القسطلانى ج ١١ ص ١٢٠ — واللمة شعر جاوز شحمه الأذن سواء وصل إلى المنكبين أو لا ، وقيل أنها بين الجمة والوفرة .

(٣) الرجل أو الترجيل تسريح الشعر وتحسينه .

(٤ و ٥) وللترمذى فى الشمائل المحمدية ص ٣٨ و ٣٩ .

(٦) الترمذى فى الشمائل المحمدية ص ٣٨ و ٣٩

(٧) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ج ٢ ص ٧٩ .

(٨) الترمذى فى الشمائل المحموية ص ٣٨

وفى شيبه وخضابه ، ورد عن أبي جُحيفة قال : قالوا يا رسول الله نراك قد شبت قال ، شيبتني هود وأخواتها . وعن جابرِ بن سمرة وقد سئل عن شيب رسول الله (ﷺ) قال كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب وإذا لم يدهن رؤى منه شيء . وفى رواية له ، كان قد شمط[1] مقدم رأسه ولحيته . وعن أنس بن مالك قال ما عددت فى رأس رسول الله (ﷺ) ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء . وعن عبد الله بن عمر قال إنما كان شيب رسول الله (ﷺ) نحوا من عشرين شعرة بيضاء .

وعن عثمان بن وهب قال سئل أبو هريرة ، هل خضب رسول الله (ﷺ) قال نعم . وعن ابن وهب قال : دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله (ﷺ) فإذا هو مخضوب بالحناء والكَتَم[2] . وفى قول للنووى نقلا عن القاضى ، قال : ويحتمل أن تلك الشعرات تغيرت بعده لكثرة تطييب أم سلمة لها إكراما .

وعن أنس ما خضب رسول الله (ﷺ) وإنه لم يبلغ من الشيب إلا قليلا . قال ولو شئت أن أعد شَمطَات كن فى رأسه لفعلت . وفى رواية ، لم يخضب رسول الله (ﷺ) إنما كان البياض فى عنقفته[3] وفى الصدغين وفى الرأس نبذ[4] . وقال النووى نقلا عن القاضى ، اختلف العلماءُ هل خضب النبى (ﷺ) أم لا ، فمنعه الأكثرون بحديث أنس وهو مذهب مالك ، وقال

(١) شمطات بفتحات أى الشعرات البيض التى بجوارها غيرها من الشعر الأسود . اتفق العلماء على أن المراد بالشمط هنا هو ابتداء الشيب . يقال شمِطَ أو أشمط .

(٢) الكَتم بالفتح نبات يصبغ الشعر يكسر بياضه أو حمرته إلى الدهمة (أى السواد) .

(٣) العنقفة هى ما بين الذقن والشفه .

(٤) فى الرأس نبذ أى شعرات متفرقات .

بعض المحدثين خضب لحديث أم سلمة ولحديث عمر أنه رأى النبي (ﷺ) يصبغ بالصفرة ، وهو وارد فى الصحيحين . ويضيف النووى ، والمختار أنه (ﷺ) صبغ فى وقت وتركه فى معظم الأوقات ، فأخبر كل بما رأى وهو صادق .

ومما يؤيد رواية تخضيب الرسول صلوات الله عليه لشعره ، أنه كان يوجد بين الأشياء التى تركها يوم وفاته ، كما جاء فى تحفة[1] الأحباب : « ترك صلى الله عليه وسلم يوم مات مخضب من شب يعمل فيه الحنة والكتم ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة »

فى حلقه وتقصيره — ورد عن ابن عمر[2] أن رسول الله (ﷺ) حلق رأسه فى حجة الوداع . وعن نافع[3] أن عبد الله قال حلق رسول (ﷺ) وحلق طائفة من أصحابه وقصر بعضهم . قال عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال رحم الله المحلقين مرة أو مرتين ، ثم قال والمقصرين .

وعن أبى زرعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله وللمقصرين ، قال اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله والمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين .

وعن يحيى بن الحصين عن جدته أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة .

(١) الملوانى : تحفة الأحباب (مخطوط رقم (٥٦٢٣) تاريخ دار الكتب مصور عن سوهاج) .

(٢) صحيح مسلم ص ٢٣٣ ج ٢ على هامش القسطلانى .

(٣) المرجع ذاته ص ٢٢٩ .

وعن أنس[١] أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحرثم قال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه للناس . وفى رواية أعطى الجانب الأيمن لمن يليه والأيسر لأم سليم . وفى رواية أنه دفع الأيسر إلى أبى طلحة وقال له أقسمه بين الناس .

وقد أخذ النووى بالرواية الأخيرة فقال « قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حلق بمنى وفرق أبو طلحة شعره بين الناس ، وأشار إلى ما فى هذا الحديث من فوائد كثيرة منها التبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم وجواز اقتنائه للتبرك . وقد رأينا فيما تقدم أن أم سلمة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام كانت تحتفظ بشعرات من شعره وكذلك كانت عائشة أم المؤمنين تحتفظ بشيء من شعره ولباسه ، فقد ذكر أنس بن مالك « لما صار من أمر عثمان ما صار ، كانت عائشة تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول هذا قميصه وشعره لم يبليا وقد بلى دينه .

هذا ولم يكن اقتناء الآثار النبوية مقصورا علي أمهات المؤمنين فحسب ، فإن كل ما تركه النبي عليه الصلاة والسلام كان صدقة لمن يستحقها من المسلمين . وفيما يختص بشعره (ﷺ) فقد رأينا أنه كان يفرق على الحاضرين من المسلمين عند حلقه ، وأن أبا طلحة رضى الله عنه كان يقوم بمهمة تفريقه . وكما رأينا من قبل ، أن معاوية بن أبى سفيان كان يحتفظ فيما يحتفظ من آثاره بقراضة من شعره ، وأوصى ابنه يزيد إذا دنا أجله أن يستودعها أنفه وفمه

---

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ص ٢٧٧ جـ ١ .

وأذنيه وعينيه . ولعل هذه القراضة كان قد ادخرها معاوية يوم أن قصر[١] من شعر رسول الله (ﷺ) فى عمرة ، قال النووى[٢] إنها عمرة الجعرانة . فقد ورد عن ابن عباس قال : قال لى معاوية أعلمت إنى قصرت من رأس رسول الله (ﷺ) عند المروة بِمشْقَص[٣] ، قلت له لا أعلم هذا إلا حجة عليك .

وإذا كان معاوية قد احتفظ بقراضة من الشعر ، فإن غيره قد احتفظ بالشعرة والشعرات قصيرات أو طويلات ، إذ كان شعره (ﷺ) يقصر أو يطول تبعا لاختلاف الأوقات كما قدمنا . فقد ورد عن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : قدم رسول الله (ﷺ) مكة قَدْمة (أى مره من القدوم) وله أربع غدائر[٤] . وفى رواية لها : رأيت رسول الله (ﷺ) فى ضفائر أربع » .

بعد هذا العرض الشامل لشعر الرسول (ﷺ) وقد ثبت منه أن النبى صلوات الله وسلامه عليه كان يفرق شعره بين الناس ، الأمر الذى يفهم منه كما قال النووى ، أنه (ﷺ) أجاز اقتناء شعره للتبرك ، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن نجد من شعره قراضات وشعرات طويلات أو قصيرات فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى .

---

(١) التقصير هو أخذ أطراف الشعر (القسطلانى ج ٤ ص ٢٨٨) .

(٢) النووى شارح مسلم على هامش القسطلانى ج ٧ ص ١٤٦ .

(٣) المشقص : هو نصل السهم إذا كان طويلا ليس بعريض — وقيل هو كل نصل فيه عنزّة وهو الناتىء وسط الحربة — وقيل هو سهم فيه نصل عريض يرمى به الوحش .

(٤) كل من الغديرة والضفيرة بمعنى الذؤابة وهى الخصلة من الشعر إذا كانت مرسله ، فان كانت ملوية فعقيصة . ويقال الغديرة هى الذؤابة والضفيرة هى العقيصة (الشمائل ص ٣٥ ، ٣٦) .

فقد ذكر العلامة ابن حجر[١] الهيثمى ما نصه « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار » كذلك يقول السخاوى[٢] فى ترجمة المرشدى المولود سنة ٧٦٣ هـ بمكة والمتوفى سنة ٨٢٩ هـ ما نصه « كان خيرًا دينا ورعا زاهدا متجمعا عن الناس ، زار النبى (ﷺ) أكثر من خمسين سنة مشيا على قدميه ، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرات ولقى بها رجلا صالحا كانت عنده ست شعرات مضافة للنبى (ﷺ) فرّقها عند موته على ستة أنفس بالسوية » .

ويقول النابلسى[٣] بوجود شعرة فى مقام التوحيد بدمشق فيذكر « هو المقام المنسوب للسيد سعد الدين الجباوى رضى الله عنه ، تشرف والده بهذه الشعرة بالنقل عن والده وهكذا بالتسلسل عن أجدادهم » .

وهناك مجموعة كبيرة من شعرات الرسول (ﷺ) محفوظة بقصر طوبقبو بالقسطنطينية يقول مؤرخو[٤] الترك إنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة ، فلما استولى سليم الأول على مصر سنة ٩٢٣ هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ ، فبعث بها إليه مع ولده أبى نُمَىّ ، فحملها السلطان إلى القسطنطينية فى عودته إليها . ويضيف أحمد تيمور فيقول ، وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان من آخرهم

---

(١) تزيه المصطفى المختار للزرقانى على المواهب جـ ٤ ص ٢٥٤ .

(٢) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٤٣٧ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص ٣٥٤ .

(٤) أحمد تيمور ص ٦٣ .

غير أن أكثرهم على الرأى الأول . وكان عدد الشعرات ثلاثا وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة ، قد أهدى منها سلاطين العثمانيين إلى بعض الولايات التابعة للدولة العثمانية أربعا وعشرين شعرة وبقى تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم » .

فقد أهدى السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٨ هـ المشهد الحسينى بدمشق شعرة . ما زالت محفوظة فيه إلى اليوم . كما أهدى السلطان محمد رشاد شعرتين لمدينتى عكا وحيفا ، حفظت الأولى بمسجد أحمد باشا الجزار بعكا والثانية بالجامع الكبير بحيفا . كذلك أهدى ثلاث شعرات لمدن صفد وطبرية والناصرية .

وقد أهدى السلطان محمد رشاد لملكة بهوبال سلطان[1] جهان ببكم بنت ملكتها شاه جهان ببكم ، عند زيارتها له فى القسطنطينية شعرة من شعرات الرسول صلوات الله عليه ، فلما عادت إلى بهوبال [2] ، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحفظ به . ولعلها هى الشعرة التى نشرت صحف باكستان نبأ سرقتها ، ثم عادت فنشرت خبر العثور عليها .

ولم يقتصر وجود الشعرات المباركة على شرق العالم الإسلامى فحسب ، بل وجدت كذلك فى غرب العالم الإسلامى ، فيقول الشيخ[3] أحمد الطرابلسى الزاوى ، توجد شعرتان بطرابلس الغرب احداهما بجامع طورغود باشا بطرابلس ، والثانية ببنى غازى فى جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان .

---

(١) الآثار النبوية ص ٨٤ .
(٢) مقاطعة فى كشمير الآن .
(٣) أحمد تيمور ص ٨٣ .

وجاء فى بعض كتب التراجم[١] عن الصحابى أبى زمعة البلّوى ، الذى دفن بالقيروان : وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم منى فى حجة الوداع لما حلق رسول الله (ﷺ) رأسه ووضعها أبو زمعة فى قلنسوته إلى أن استشهد بالقيروان فدفنت معه . وقد ترجم له عبد الرحمن[٢] الدباغ بما نصه : ومات بالقيروان ودفن بالقبة التى تعرف الآن بالبلّوية سميت به من ذلك الوقت ، وأمرهم أن يستروا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها شعر رسول الله (ﷺ) » . ويضيف الشيخ أبو القاسم « انه كان فيها (أى القلنسوة) ثلاث شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه » .

وقال الوزير السراج التونسي ، تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله (ﷺ) وهى الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولى الله المرجانى . كما توجد شعرات فى ضريح الشيخ أبى شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحولها فضاء مسور به شجر زيتون .

كذلك يوجد فى مصر كثير من شعرات الرسول (ﷺ) ومعظمها محفوظ فى المدارس والخانقاوات وفى المساجد التى بنيت فى العصر المملوكى ، فقد ذكر السخاوى[٣] فى ترجمة ابن الزمن ما نصه « وكذا لقى غير واحد من الصالحين وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجمال الشيرازى شعرة تنسب للنبى (ﷺ) وقال إنها عنده ، وكذا أحضر له من خيبر بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر

(١) الإصابة للحافظ بن حجر ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير .
(٢) معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان — للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ ج ١ ص ٨٢ ، ٨٤ .
(٣) الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢٠ .

القدم الشريفة ، وكتاب قيل إنه بخط أحد كتاب الوحى ، والكل محفوظ بالمدرسة التى شرع فى بنائها بشاطئ بولاق » .

ويقول النابلسى[١] فى رحلته (الحقيقة والمجاز) لمصر ، ووصفه لمدرسة وجامع برسباى « وفى البلدة المذكورة جامع السلطان الملك الأشرف وهو جامع عظيم له قدر بين الجوامع جسيم ، وذلك أن فى محرابه شعرات مدفونة من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم » .

وتوجد كذلك شعرات فى المدرسة المنجكية التى أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفى الناصرى ، فقد ذكر النعيمى[٢] فى ترجمته « ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبى (ﷺ) فكان لا يزال معه ، وكان حسن الملتقى سيما لأهل العلم » .

وقد جاء فى كتاب الآثار النبوية[٣] أن والدة والى مصر عباس باشا لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهديت إليها على أنها من الشعر الشريف ، فلما حضرتها الوفاة سلمتها للشيخ محمد عاشق ، شيخ تكية النقشبندية بشارع بور سعيد (درب الجماميز سابقا) بالقرب من باب الخلق ، وطلبت منه حفظها بالتكية ليتبرك الناس بها ، وهى باقية إلى اليوم .

* * *

أما الشعرات المحفوظة مع باقى المخلفات النبوية بالمسجد الحسينى فسنعرض لما ذكره الأستاذ أحمد تيمور عن تاريخ بعضها وعدده ، مع إضافة

---

(١) النابلسى ص ٣٥٤ .

(٢) تنبيه الطالب ج ص ٦٨٢ .

(٣) أحمد تيمور ص ٨٩ .

الشعرات التى لم يذكرها وتصحيح ما ذكره منها ، مع وصف مفصل نستطيع معه أن نبدى الرأى فى اطمئنان عن نسبتها .

يقول أحمد تيمور ، إن شعرتين ، كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى ونقلتا معها إلى هذا المسجد ، وهما فى زجاجة محفوظة فى صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز بخيوط من الفضة .

والواقع أن عددها أربع شعرات لا شعرتين ولونها كستنائى داكن ، قد يكون نتيجة خضابها أو دهنها أو تطييبها فقد خضب (ﷺ) شعره ودهنه . وهى من الشعر الرجل ، وقد كان شعره الشريف رجلا ، وطولها يتراوح بين (٧ ــ ١٠) سنتمترات ، وهو طول يبلغ شحمة الأذن ، وقد كان له (ﷺ) شعر يبلغ شحمة أذنيه ، لذلك كله أرجح أن تكون هذه الشعرات من شعر رأسه عليه الصلاة والسلام .

ثم أضيفت إليها شعرة كانت عند أحمد طلعت باشا رئيس ديوان الخديو سعيد وإسماعيل وابنه توفيق . ويقال إن هذه الشعرة حباه بها السلطان فى إحدى سفرياته إلى القسطنطينة ، وهناك رواية تقولها أسرته ، أنها أهديت إليه من أحد الحجازيين على أنها من الشعر الشريف ، فعوضه عنها شيئًا كثيرًا . ولما توفى اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسينى لتحفظ فيه مع الآثار النبوية . وهى شعرة بيضاء .، وقد كان من شعره الشريف شعرات بيضاء (وفى الرأس نبذ) وتصل إلى شحمة الأذن ، إذ يبلغ طولها ٨ سنتمترات وهى من الشعر الرجل ، فمن المرجح أن تكون من شعر رأس النبى (ﷺ) .

وفى سنة ١٣٤٠ هـ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية الكلشنى بشارع تحت الربع ، وقد رأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد

الحسينى وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت . والواقع أنها ثلاث شعرات ، اثنتان منها لونهما كستنائى كلون الشعرات الأربع السابقة ، والشعرة الثالثة لونها كستنائى فاتح يبدو أنها كانت بيضاء ثم صبغت بالخضاب أو بالتطيب ، والشعرات الثلاث من الشعر الرجل وتبلغ شحمة الأذن ، إذ يتراوح طولها بين (٨–١٠) سنتيمترات ومن المرجح أن تكون من شعر رأسه عليه السلام .

وفى عام ١٣٤٢ هـ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين ، قارورة إلى المسجد الحسينى وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة ، وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجيبت إلى ذلك . وعدد هذه الشعرات خمس ، أربع منها لونها كستنائى داكن وواحدة بيضاء وقد كان فى لحيته (ﷺ) شمطات ، ويبدو أن الشعرات جميعها تميل إلى الجعودة أكثر منها إلى السبوطة كما أن طولها جميعا يتراوح بين (٣–٥) سنتيمترات ، لذلك يرجح أن تكون هذه الشعرات من اللحية النبوية الشريفة .

كما توجد زجاجة بها شعرة بيضاء قصيرة طولها ٥ سنتيمترات ، لم يذكر عنها أحمد تيمور شيئًا ، ويقولون كما ورد فى الدرر [1] الكامنة ، أنها لعلى ابن محمد بن الخلاطى المتوفى سنة ٧٠٨ هـ والمعروف بالركابى لزعمه أن عنده ركاب رسول الله (ﷺ) وأنه كان يزعم أيضاً أن عنده شعرة له (ﷺ) وأن حفدته قد أهدوا هذه الشعرة إلى مسجد الحسين لكى تحفظ مع الآثار

---

(١) ابن حجر العسقلانى جـ ٢ .

النبوية . وهى شعرة كستنائية اللون طولها ١٠ سنتيمترات كما أنها من الشعر الرجِل ولذا يرجح أن تكون من شعر الرسول (ﷺ) .

وهناك شعرة أخرى لم يرد ذكرها عند أحمد تيمور ، ويقولون أن تكيّة النقشبندية قد أرسلتها لتحفظ مع المخلفات النبوية بالمسجد الحسينى ، وهى من الشعر الرَجِل ، ولونها كستنائى ويبلغ طولها (١٠ر٥) سم مما قد يصل بها إلى المنكب وقد كان شعره (ﷺ) فوق الوفرة ، والوفرة ما نزل إلى شحمة الأذنين ، كما كانت له لُمّه وهى التى ألمت بالمنكبين . فمن المرجح أن تكون من شعر رأس النبى (ﷺ) .

وبناء على ما تقدم ، يبلغ مجموع الشعرات المحفوظة مع المخلفات النبوية ، بمسجد سيدنا الإمام الحسين رضى الله عنه ، خمس عشرة شعرة ، ما بين بيضاء وكستنائى فاتح وداكن ، ومن أطوال مختلفة ما بين قصير يبلغ (٣) سم إلى طويل يبلغ (١٠ر٥) سم . وقد رجح لدىّ - بما أمدتنا به تلك المراجع التى أشير إليها فى البحث وبين صفحاته من بيانات - نسبتها إلى النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم . والله أعلم .

مصحفا عثمان وعلى

ذكر بعض المراجع، أنه كان يوجد بين المخلفات النبوية، التي حصلت عليها مصر بطريق الشراء من بنى ابراهيم بينبع، والتي بُنى لها خصيصا رباط الآثار على ضفاف النيل بمصر القديمة، مصحف بخط على بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقد ورد فى كلام ابن بطوطة [1] عن هذا الرباط وعما فيه قوله :
« وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه. وهى قطعة من قصعة رسول الله (ﷺ) والميل الذى كان يكتحل به والدَّرفش وهو الأشفى الذى يخصف به نعله، ومصحف أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذى بخط يده رضى الله عنه ».

كما ذكر ابن النديم : [2] أنه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسينى مصحفا بخط علىّ يتوارثه بنو حسن.

كذلك قيل بوجود مصحف سيدنا عثمان، فقد ورد ذكره عند كثير من المؤرخين، وخاصة مؤرخى مصر، وجلهم يؤكد نسبته إلى ذى النورين عثمان ابن عفان. فقد جاء في نزهة الناظرين [3] للبرزنجى، عند كلامه على أول من أحدث المحراب المجوف فى مسجد النبي (ﷺ) بالمدينة، مانصه « وأول من أحدث المحراب المجوف فى المسجد النبوى عمر بن عبد العزيز. ويضيف

---

(1) ابن بطوطة جـ ١ ص ٢٥ .
(٢) الفهرست ص ٢٨ .
(٣) نزهة الناظرين ص ٤٦ .

السمهودى : واحتاط (أى عمر بن عبد العزيز) فى أمره ودعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال لهم « تعالوا احضروا بنيان قبلتكم حتى لا تقولوا غير عمر قبلتنا » ، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، أي عند بنائه لجدار القبلة والمحراب المذكور ، وهو فى موضع الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف . والصندوق المذكور كان فيه مصحف كبير أرسله الحجاج بن يوسف الثقفى إلى المدينة المنورة حين أرسل إلى أمهات القرى بمصاحف فجُعل فى ذلك الصندوق ووضع عن يسار الأسطوانة التى عملت علما للمصلى الشريف » . ويستطرد السمهودى فيقول « وهى التى تكون محاذية ليمين الواقف فى المصلى الشريف من جهة القبلة المسماة بالمخلقة » .

وفى موضع آخر عند الكلام على المقصورة بالمسجد النبوى يقول البرزنجى (1) « وأما مصحف عثمان فهو فى صندوق آخر عند أسطوانة السرير داخل المقصورة يقال أنه المصحف الذى كان بين يديه حين قتل » . ويعقب السمهودى على كلام البرزنجى فيقول « ولم أر له (أى مصحف عثمان) ذكرا فى كلام أحد من المتقدمين ، بل الذى يقتضيه كلامهم أنه لم يكن بالمسجد حينئذ بل ولا نجد له ذكرا فى كلام ابن النجار ، وهو أول من أرخ من المتأخرين ، بل الذى يقتضيه كلامه أنه من المصاحف التى أرسل بها الحجاج بن يوسف الثقفى إلى أمهات القرى ، فانه قال (أى النجار) بعد أن نقل عن ابن زباله عن مالك رضى الله عنه ، « وهو مجموع فى يومنا هذا فى جلال فى المقصورة إلى جانب باب مروان ، وتقدم ذكر هذا المصحف الذى بعثه الحجاج ، وأنه موضوع فى الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف » . ثم يعود البرزنجى

---

(1) نزهة الناظرين ص ٧٣ .

فيقول « ولم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لسيدنا عثمان إلا فى كلام المطرى ومن بعده ، عند ذكر سلامة القبة التى كانت بوسط صحن المسجد من الحريق الأول » .

ويقول ابن جبير[1] فى رحلته « إن المصحف الموجود بالمسجد النبوى هو من المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الآفاق لا الذى قتل وهو فى حجره » .

ويذكر الشاطبي[2] عن مالك « تغيب المصحف المذكور (يعنى مصحف عثمان) » وأنه قال « ولم نجد له خبرا بين الأشياخ » . وعن ابن سلام قال : « رأيت المصحف الذى يقال له الإمام مصحف عثمان ، استخرج لى من بعض خزائن الأمراء وهو المصحف الذى كان فى حجره حين أصيب ورأيت آثار دمه فى مواضع منه ، ورده أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك » . ولكن البرزنجى يرد على كلام أبى جعفر فيقول ، « إنه ليس فى كلام مالك ما يدل على عدم المصحف بالكلية ، فيحتمل بعد ظهوره نقل إلى المدينة وجعل بالمسجد النبوى » .

ويقول ابن قتيبة « كان مصحف عثمان الذى قتل وهو فى حجره عند ابنه خالد ثم صار مع أولاده وقد درجوا » . ثم يضيف « وقال لى بعض مشايخ أهل الشام أنه بأرض طوس » .

وجاء فى رحلة ابن بطوطة عند كلامه عن مدينة البصرة ما يلى :

« وبمدينة البصرة مسجد علىّ بن أبى طالب وكان بوسطها وهو الآن على

---

(١) ابن جبير ص ٣٥ .

(٢) نزهة الناظرين ص ٧٣ .

ميلين من عمرانها يصلون به الجمعة ثم يغلق إلى الجمعة الآتية . وبه المصحف العثماني الذى كان عثمان يقرأ فيه عند قتله » .

ويقول البرزنجي عن مصحف القاهرة ، نصه « أما المصحف الذى بالقاهرة فعليه أثر الدم عند قوله تعالى « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » كما هو الحال بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة المنورة ، ويذكرون أنه المصحف العثمانى وكذلك بمكة (يعنى وكذلك توجد آثار دماء فى المصحف الموجود بمكة) » .

ويعلل البرزنجي وجود أثر الدم عند هذه الآية بالذات بعدة مصاحف بقوله « فالذى يظهر أن بعضهم وضع خلوقا على تلك الآية تشبيها بالمصحف الذى بهذه الصفة لم يكن إلا واحدا ، ولعل هذه المصاحف مما بعث به عثمان إلى الآفاق كما هو مقتضى كلام ابن جبير فى المصحف الموجود بالمدينة » . ثم يدلى البرزنجي فى النهاية برأيه فى موضوع مصحف سيدنا عثمان فيقول « والحاصل أنه ليس معنا فى أمر المصحف الموجود اليوم بالمدينة سوى مجرد احتمال والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال » .

والقول بوجود مصحف عثمان لم يقف عند حدود دول العالم الإسلامى فى المشرق فحسب ، بل تعداه إلى المغرب ، إذ يذكر الحسن[1] بن عبد الله عند كلامه عن هيئة الملوك ولباسهم ما نصه « ولم تزل الخلفاء والملوك تختص بنوع من الزى لا يشاركون فيه ، فملوك تركب بالجتر على رأسها ، وهى التى يسمونها بمصر المظلة ، ويجلسون تحتها على التخت ، وكذلك الخلفاء ؛

(١) آثار الأول فى ترتيب الدول ص ١١٩ .

وملوك تجلس على نطع أو مصلى لميلهم إلى التواضع . وأما الموكب فمنهم من يركب بالسنجق وراء . وملوك المغرب يركبون بمصحف عثمان رضى الله عنه على ناقة أمامهم ويلبسون برنسا بنفسجيا لا يلبسه غيرهم راكبا فى جميع بلادهم » .

أما عمدة مؤرخى مصر الإسلامية تقى الدين المقريزى [١] ، فإنه عند كلامه على جامع عمرو بن العاص ، ذكر الروايات التى وصلت إلى سمعه عن مصحف عثمان ، أو التى قرأها فى كتب من سبقه من المؤرخين دون أن يدلى فى ذلك برأيه الخاص ، فقال « وكان قد حضر إلى مصر رجل من أهل العراق . وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، وكان فيه أثر الدم ، وذكر (أى العراقى) أنه استخرج من خزائن المقتدر ، ودفع المصحف إلى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضى فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع (جامع عمرو) وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا . وكان الإمام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ، ولم يزل على ذلك إلى أن رفع هذا المصحف ، واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء ، وذلك فى أيام العزيز بالله لخمس خلون من محرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة » ويضيف المقريزى وقد انكر قوم أن يكون هذا المصحف ، مصحف عثمان رضى الله عنه ، لأن نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد » . ثم ينقل ذلك المقريزى بعد رأى ابن المتوج الذى يقول « ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض ، ظهور التعصب على عثمان رضي الله عنه من (تجيب [٢])

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ١٩ .

(٢) كذا فى الأصل .

وخلفائهم ، إن الناس قد جربوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسى الغربى من مصحف أسماء ، إنه ما فتنح قط إلا وحدث حادث فى الوجود لتحقيق ما حدث أولا والله أعلم » .

وهذه الرواية التى تقول بمجىء رجل من أهل العراق، ومعه مصحف عثمان الذى استخرج من خزائن الخليفة المقتدر ، تدعو إلى كثير من التساؤل : كيف يسمح لشخص عادى أن يأخذ مصحف عثمان من خزائن الخلافة ، ويخرج به من بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ليودعه جامع ولاية تابعة للدولة ؛ ألا وهى مصر ؟ وإذا فرضنا أن هذا الشخص استطاع أن يحصل على المصحف بطريقة أو بأخرى ، فماذا كان موقف بغداد ؟ ألم يتخذ الخليفة العباسى أى إجراء لتكليف واليه فى مصر بإعادة المصحف الشريف إلى العاصمة ؟ .

ولم يكتف المقريزى بسرد هذه الروايات ولكنه يعود فيقول « ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهره ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه . حمله المبارك مسعود بن سعد الهينى لجماعة المسلمين القراء للقرآن، التالين له المقربين إلى الله جل ذكره بقراءته ، والمتعلمين له ليكون محفوظا أبدا ما بقى ورقه ، ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه ، وجعله عُدة ليوم فقره وفاقته وحاجته إليه ، أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه » . ويضيف المقريزى « وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف ، والمندرس يشبه أن يكون ، وتبصر فى ورقة وقصد بإيداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ليحفظ مع مثله من سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه

ومن عنى به ، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

نخرج مما ورد فى كتاب الخطط للمقريزى ، أن المصحف الذى يقال له مصحف عثمان ، قد جىء به إلى مصر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، ووضع فى جامع عمرو ، واستمر أمام المسجد يقرأ فيه يوما بعد يوم ، حتى كان عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، فأبطل القراءة فيه ، وكان ذلك سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، أى أنه ظل يقرأ فيه مدة أحد وثلاثين عاما ، وأن المقريزى رأى هذا المصحف محفوظا فى جامع عمرو ، وأنه - أى المقريزى - وإن لم يذكر وصف المصحف ، إلا أنه ذكر النص المكتوب فى ظهره وتاريخ المجئ به إلى مصر . من ذلك يتبين أن المصحف كان موجودا فى مصر على أقل تقدير حتى سنة ٨٤٥ هـ وهى سنة وفاة المقريزى .

ويعود المقريزى مرة أخرى إلى الكلام على مصحف منسوب إلى عثمان ابن عفان ، وذلك عند كلامه على المدرسة الفاضلية[١] فيقول « هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للقراء . ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم يقال إنها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها . وبها إلى الآن (سنة ٨٤٥ هـ) مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الأول الذى

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ١٩٧.

يعرف بالكوفى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . ويقال إن القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو فى خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة » .

ويقول الشيخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولونى[١] عند ذكر الملك الأشرف أبى النصر قنصوه الغورى « وقد جدد مولانا السلطان عز نصره للمصحف العثمانى الذى بمصر المحروسة بخط مشهد الحسين (جلد[٢]) بعد أن آل جلده الواقى الى التلف والعدم ولمكثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ، فألهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلعة الشريفة ورسم بعمل الجلد المعظم المتناهى فى عمله لاكتساب أجره وثوابه وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع التحسين .

ويؤيد العلامة القسطلانى[٣] رواية ابن الطولونى ، فيقول عند ذكره خزانة كتب المدرسة الفاضلية ؛ « ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الكوفى الأول المعروف بمصحف عثمان بن عفان . ويقال إن القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكان فى خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه ، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة وآل أمرها إلى التلاشى ، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قنصوه الغورى ، أجرى الله على يده الخيرات

(١) الخطط التوفيقية جـ ٢ ص ٢٤ عن كتاب (النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية) .
(٢) كذا فى الأصل ولعلها جلده .
(٣) الآثار النبوية ص ٣٧ .

وختم أعماله بالصالحات . كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضياع ، إلى القبة التى أنشأها تجاه مدرسته الشريفة بقرب الاقباعيين داخل باب زويلة والخرق من القاهرة المعزية » .

هذا وقد أردت متابعة للبحث ، أن أجمع كل ما كتب على ما كان موجودا بمصر من المصاحف القديمة ، لعله يساعدنى على تكوين رأى فى الموضوع ، ولكنى لم أجد غير ما كتب عن مصحف واحد ، وهو المعروف باسم مصحف أسماء ، فقد ورد فيما ذكره المقريزى عنه عند الكلام على الجامع العتيق ، قوله : « وفى هذا الجامع مصحف أسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير » . ولبيان أصل هذا المصحف نقل عن القضاعى قوله « كان السبب فى كتب (كذا) هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار ووجه إلى مصر بمصحف منها ، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال « يبعث إلى جند أنا فيه بمصحف » فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم . فلما فرغ منه قال « من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارًا » فتداوله القراء ، فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعه بن سهل الثقفى ، فقرأ تهجيا ثم جاء إلى عبد العزيز بن مروان فقال له « إنى قد وجدت فى المصحف حرفا خطأ فقال « مصحفى » قال « نعم » فنظر فإذا فيه « إن هذا أخى له تسع وتسعون نجعة » قد قدمت الجيم قبل العين ، فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين دينارا وبرأس أحمر . ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل إلى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار

عبد العزيز فيقرأ فيه ، ثم يقص (كذا) ثم يرد إلى موضعه . ثم توفى عبد العزيز فى سنة ست وثمانين ، فبيع هذا المصحف فى ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ، ثم توفى أبو بكر فاشترته أسماء بنت أبى بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار ، فأمكنت الناس منه ، وشهرته فنسب إليها . فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار ، فأشار عليه توبة بن نمر الخضرمى القاضى ، وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع وذلك سنة ثمان عشرة ومائة فجعله فى المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من غلة الأصطبل » .

وقد ظل المصحف طوال العصر الأموى يقرأ فى جامع عمرو فى كل يوم جمعة ، فلما ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، قرأ فيه يوم الإثنين ، ولما ولى القصص حسن بن الربيع ابن سليمان من قبل عنبسة بن أسحاق أمير مصر من قبل الخليفة العباسى المتوكل فى سنة أربعين ومائتين زاد فى قراءة مصحف أسماء يوما ، فكان يقرأ يوم الإثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة ، ولما تولى القصص أبو بكر محمد ابن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة إحدى وثلثمائة عزم على القراءة فى المصحف كل يوم ، فتكلم ابن قدير فى ذلك وقال أعزم على أن يخلق المصحف ، فرجع إلى القراءة ثلاثة أيام » .

واعتمادا على رواية القضاعى ، نستطيع أن نقول إن مصحف أسماء كان أقدم المصاحف الموجودة بمصر ، وأنه ظل من القرن الأول الهجرى حتى القرن الرابع يقرأ فيه بمفرده فى جامع عمرو ، إلى أن جاء رجل من أهل العراق ــ كما ذكر

المقريزى — بالمصحف الذى قال عنه أنه مصحف عثمان ، فبدأ القراء يتبادلون القراءة فيه مع مصحف (أسماء) حتى تولى الخليفة الفاطمى العزيز بالله فاقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك سنة ثمان وسبعين وثلثمائة .

بعد هذا السرد الشامل للآراء والاتجاهات المختلفة ، التى وردت فى كتب السيرة والمراجع التاريخية ، أصبح من العسير بل قد يكون فى حكم المستحيل ، تحقيق نسبة مصحفى علىّ وعثمان إليهما ، أو حتى الإدلاء برأى فى أصل المصحفين الموجودين بمسجد الحسين رضوان الله عليه . ذلك أن بعض المراجع ، كما رأينا ، وخاصة القديمة منها ، تقول إن مصحف عثمان كان ولا يزال موجودا بالمدينة ، والبعض يقول بوجوده بمكة وفريق ثالث يقول بوجوده عند العباسيين ، ورابع يقول بطوس ، بل إن فريقا خامسا يذكر أن خلفاء المغرب كانوا يحتفظون به . أما مؤرخو مصر الإسلامية فيؤكد معظمهم وجوده بمصر . ولم يقف الاختلاف عند هذا الحد فحسب بل تناول إشكالا آخر ، هو ، هل المقصود بمصحف عثمان ، هو المصحف الذى يمتلكه سيدنا عثمان شخصيا؟ أم أنه أحد المصاحف الأربعة التى أرسلت إلى الأمصار ؟ فمن المراجع ما تقول إنه بمصحف عثمان الشخصى ، وتدلل على ذلك بوجود أثر الدماء التى سقطت عليه وقت مقتله ، بل أكثر من هذا ، أنها تحدد السورة والآية التى عليها آثار الدماء .

إزاء هذا كله ، كان لا بد من الاستعانة بوسائل أخرى علمية ومادية ، فرأيت أن أرجع إلى تاريخ الخط العربى فى القرن الأول الهجرى وإلى تاريخ فنون الكتاب فى ذلك الوقت ، كذلك إلى تعرف نوع القرطاس والمداد والزخارف وما إليها لعلى استطيع على ضوئها أن أدلى برأى فى أصل المصحفين الموجودين بالقاهرة بمسجد الحسين رضوان الله عليه .

* * *

من المعلوم أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل نزل منجما بالتدريج فى مدة البعثة كلها ، أى ثلاث وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ، ونزل بعضه فى مكة وبعضه فى المدينة ، وقد جمع على عهد الرسول (ﷺ) وكان ترتيب آيه وسوره بتوقيف منه ، فكان إذا نزلت عليه (ﷺ) آية دعا بعض من يكتب له وأمرهم بأن يضعوها فى موضع كذا من سورة كذا وإذا نزلت سورة أمر بوضعها بجنب سورة كذا ، فكانوا يكتبونها على الرقاع من الجلود والعريض من العظام ، كالأكتاف والأضلاع وعلى العسب وهى قحوف جريد النخل ، أواللخاف وهى الحجارة العريضة البيضاء .

وبعد وفاة الرسول جدت أسباب وعوامل عدة دعت خلفاءه إلى ضرورة جمع القرآن فى مصحف خوفا عليه من الضياع ،من أهمها تلك الحروب التى قام بها المسلمون لفتح الأمصار ونشر الدعوة الإسلامية وحمايتها وما سبقها من حرب أهل الردة حين ارتد بعض أهل الجزيرة عن الإسلام ، فى عهد الخليفة أبى بكر. وقد استشهد فى هذه الحرب وخاصة فى موقعة اليمامة أكثر من ألف ومائتين من الصحابة بينهم سبعون من القراء ، فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعا شديدا خشية أن يضيع من القرآن شىء بموت أهله ، وأشار عمر على أبى بكر بجمعه وتدوينه ، فاختار أبو بكر لذلك زيد بن ثابت وقد كان من كتبة الوحى ، فتتبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال ،وجمعه فى مصحف. فقد أورد البخارى [1] فى صحيحه عن زيد ابن ثابت قال : أرسل إلىّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر « إن عمر أتانى فقال « إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء

(١) روح المعانى للألوسى ج ١ ص ٢١ ، السيوطى ص ٣٠ .

القرآن ، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القراء إلا أن يجمعوه ، وإنى لأرى أن يجمع القرآن . « فقلت لعمر « كيف لى شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ « فقال عمر « هو والله خير » فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر . قال زيد وعمر عنده لا يتكلم ، فقال أبو بكر ، إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن . فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فقال أبو بكر هو والله خير، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلى آخرها . فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها » . وذكر أبو يعلى عن علىّ أنه قال : « أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين » .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة عثمان ، ودخل الإسلام كثير من الشعوب غير الناطقة بالضاد ، كانت الحاجة ماسة إلى استنساخ عدة نسخ من المصحف الموجود عند السيدة حفصة . ويذكر ابن النديم[١] رواية

---

(١) الفهرست ص ٢٥ .

عن حذيفة بن اليمان الذى حارب فى غزوة ارمينية وأذربجان يقول فيها : رأيت من سفرى اختلافا بين المسلمين فى قراءة بعض الآيات وسمعت بعضهم يقول لبعض « قراءتى خير من قراءتك » . كذلك يذكر أبو الفدا[1] :

« لما تفرق المسلمون فى الأمصار وفيهم القراء وعند بعضهم نسخ من القرآن ، وكل منهم رتبها ترتيبا معينا ، فعوَّل أهل كل مصر على من قام بينهم من القراء . فأهل دمشق وحمص مثلا أخذوا عن المقداد بن الأسود ، وأهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود وأهل البصرة عن أبى موسى الأشعرى وكانوا يسمون مصحفه « لباب القلوب » . ولم يقتصر الخلاف بين المصاحف على ترتيب السور فقط بل تعداه إلى الاختلاف فى قراءة بعض السور . فلما علم عثمان بهذه الأنباء وأنذره المسلمون بسوء العقبى إن لم يتلاف الأمر وقالوا له « أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » .

فأرسل عثمان إلى السيدة حفصة يطلب منها « أن ارسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك » ثم استدعى زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث من كتاب الوحى وأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف ، وقال للقرشيين الثلاثة ، ماإختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم . فكتبوا ستة مصاحف وكان ذلك فى السنة الثلاثين للهجرة ، أربعة منها أرسلها عثمان إلى الأمصار الأربعة مكة والبصرة والكوفة والشام واثنان أبقاهما فى المدينة واحد لأهلها وواحد لنفسه وهو الذى عرف بالمصحف (الإمام) . وفى رواية[2] أخرى أنه أرسل إلى اليمن والبحرين .

---

(١) أبو الفدا جـ ١ ص ١٧٦ .

(٢) روح المعانى للألوسى جـ ١ ص ٢ .

وقد أمر عثمان بعد نسخ هذه المصاحف بجمع كل ما كان مكتوبا قبل ذلك من المصاحف والصحف فأحرقت ، وأصبح مصحف عثمان هو المعول عليه غيره ، وقد استنسخ المسلمون منه مصاحف كثيرة . ويروى أن عدد المصاحف التى رفعها جند معاوية فى واقعة صفين بينه وبين علىّ بن أبى طالب بلغ نحوا من خمسمائة مصحف ولم يمض على مصحف عثمان غير سبع سنوات فقط .

ولما اختلط العرب بالأعاجم وتصاهروا معهم وتناسلوا منهم ظهر جيل جديد فشا فى كلامه اللحن ، وأخذ الفساد يتطرق إلى اللغة العربية ، ومن ثم إلى قراءة القرآن ، لذلك أصبح وضع الحركات أمرا لا مفر منه ، فأمر زياد ابن ابية والى العراق أبا الأسود [1] الدؤلى بوضع النحو سنة ٦٧ هـ ، فاستعان أبو الأسود بنقط تعرف بها الحركات تميزا للاسم من الفعل من الحرف . ومن المرجح [2] أن يكون قد اقتبس ذلك من جيرانه السريان أو الكلدان فى العراق . وكانت طريقة الدؤلى فى شكل آخر الكلمات أن استحضر كاتبا وقال له أبو الأسود [3] « إذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإذا ضممت فمى فانقط نقطة بين يدى الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » . وكانت هذه النقط تكتب بلون يخالف لون مداد الخط . وكان هذا هو الإصلاح الأول للخط العربى بقصد ضبطه وشكله ، أما الإصلاح الثانى فقد حدث فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦–٩٦ هـ) عندما كثر التصحيف والتبس على الناس القراءة لتكاثر الأعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التميز

---

(١) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ١٢٧ .

(٢) اللمعة الشهية فى اللغة السريانية للميدانى ص ٢١ .

(٣) ابن النديم ص ٤٠ .

بين الحروف المتشابهة فى شكلها كالجيم والحاء والخاء، والباء والتاء والثاء، والصاد والضاد والسين والشين وما إليها . يقول ابن خلكان [١] « ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يصنعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات تميزها بعضها عن بعض » ويقال أن نصر [٢] بن عاصم قام بذلك ، فوضع الاعجام بمعنى (النقط) فنقطت الحروف بنفس مداد الخط لأن نقط الحرف جزء منه .

يؤخذ من ذلك أن العرب استخدموا الحركات ، وهى على هيئة نقط بمداد يخالف لون مداد الخط ، والإعجام وهى نقط ، بنفس مداد الخط وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الأول[٣] الهجرى ، أى فى عصر الدولة الأموية .

أما الإصلاح الثالث فقد حدث فى العصر العباسى الأول ، عندما وجدت الحاجة ماسة إلى المخالفة بين الشكل الذى وضعه الدؤلى على هيئة نقط بمداد مخالف لمداد الكتابة وبين النقط (الاعجام) الذى وضعه نصر بن عاصم ، أفرادا وأزواجا على بعض الحروف أو تحتها بنفس مداد الكتابة ، مما جعل الأمر يختلط على القارىء . لذلك قام الخليل بن أحمد الفراهيدى[٤] بمهمة إبدال النقط التى وضعها الدؤلى للدلالة على الشكل ، بجرات علوية للدلالة على الفتح ، وسفلية للدلالة على الكسر ، وجرة برأس واو للدلالة على الضم ،

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٢٥ .

(٢) الفهرست ص ٤٢ .

(٣) ورد فى طبقات الأدباء أن أبا الأسود الدؤلى توفى سنة ٦٧ هـ ونصر بن عاصم الليثى توفى سنة ٨٩ هـ وفى رواية أخرى توفى سنة ٩٠ هـ بالبصرة .

(٤) توفى الخليل بن أحمد الفراهيدى سنة ١٦٠ هـ كما ورد فى طبقات الأدباء .

واصطلح على أن يكون السكون الخفيف رأس خاء بلا نقط أو دائرة . وهكذا أصبح من الممكن أن يجمع الكاتب بين شكل الكتابة ونقطها بلون مداد واحد لا لبس فيه .

أما عن أدوات الكتابة فى القرن الأول الهجرى ، فإنهم اتخذوا من القصب أقلاما للكتابة وهى تشبه (أقلام البسط) عندنا اليوم ، وكانوا يصنعون المداد من مسحوق من الفحم أو من الهباب المذاب فى سائل لزج كالصمغ أو نحوه . وأما عن الوسيلة التى كانوا يكتبون عليها ، فإن أقدم ما كتب فيه العرب بعد الإسلام هو الرق وهى الجلود ، كما كتبوا على الأقمشة وخاصة النسيج المصرى المصنوع من خيوط الكتان وكان يسميه العرب القباطى نسبه إلى الأقباط ، وعليه كتبت المعلقات السبع[١] قبل الإسلام . كذلك كتبوا على الخشب أو على العظام وعلى قطع الخزف والأحجار . ولما فتحوا مصر اتخذوا البردى قرطاسا لمكاتباتهم وخاصة فى العصر الأموى . ويوجد بمتحف الفن الإسلامى وكذا بدار الكتب نماذج كثيرة من الخط العربى المؤرخ ، ترجع إلى القرن الأول الهجرى ، فمن ذلك شاهد قبر من الحجر مؤرخ سنة ٣١ هـ ، وعقود بيع وشراء وزواج على أوراق البردى من القرن الأول الهجرى ، وهناك قطعة من النسيج عليها كتابة مؤرخة ترجع إلى القرن الأول محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

وفى العصر العباسى ظهر نوع جديد من القرطاس يعرف بالكاغد وهو عبارة عن ورق مكسو بطبقة من الشمع يجعله يشبه فى مظهره الرق . ومن المرجح[٢] أن يكون العرب أخذوا صناعته عن الصين ، لأن الصينيين برعوا

---

(١) الأزرق ص ٥٨ .

(٢) الفهرست ص ٤٠ .

فى صناعة الورق قبل الميلاد ، وكانت هذه الصناعة منتشرة فى بلادهم ، فلما فتح المسلمون سمرقند أخذوا هذه الصناعة عنهم ، ولكنها لم تنتشر إلا فى العصر العباسى الأول ، عندما شحت الرقوق والجلود ولم تف بحاجة المكاتبات والمراسلات والمؤلفات . فقد حدث عندما تولى خالد بن برمك أمر الوزارة فى عهد أبى العباس السفاح ، أن غير خالد الدفاتر من الأدراج إلى الكتب ، فظلت أعمال الحكومة تدون فى كتب من الجلد حتى كان عهد هارون الرشيد ، فاتخذ وزيره جعفر بن يحيى البرمكى الكاغد فتداوله الناس . ويقول ابن النديم[1] أن الناس تداولوا الكاغد من بعد جعفر ، وظلوا مع ذلك أجيالا يكتبون على الجلد والقراطيس والورق الصينى والتهامى والخراسانى .

ولقد عنى المسلمون بالمخطوطات عناية جعلتها تحفا فنية ثمينة ، فكانت المصاحف الشريفة ميدانا لفن تجويد الخط . وكان الخطاطون يكتبونها فى البداية بضروب شتى من الخط الكوفى الذى تطور على أيديهم حتى بلغ أوج عظمته فى القرن الخامس الهجرى . ومن فنون الكتاب التى ازدهرت فى العصر الإسلامى ، فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها ، وقد كان الخطاط يتم كتابة المخطوط مع ترك فراغات فى بعض الصفحات لشغلها بالنقوش النباتية والهندسية المذهبة ، وذلك فى الصفحات الأولى والأخيرة وبداية فصوله وعناوينه وغير ذلك من الزخارف المتفرقة . على أن زخرفة المصاحف بالتذهيب لم تظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى .

* * *

بعد هذا العرض الوافى لموضوع (فن الكتاب) أصبح من الميسور أن نطبق أصوله على المصحفين ، موضوعى البحث ، لعلنا نستطيع أن ندلى برأى يقوم على أسس علمية فنيه يمكن الاطمئنان إليه فى تأريخهما ونسبتهما .

(١) الفهرست ص ٤٠ .

مصحف علي بن أبي طالب

فالبنسبة إلى المصحف المعروف (بمصحف علىّ) نلاحظ أنه لم يذكر فى المراجع التاريخية إلا على قلة ، وفى إشارات عابرة ، هذا إلى أننا لم نعثر على نص تاريخى يشير إلى وجوده بمصر فى أوائل العصر الإسلامى .

والمصحف المنسوب إلى علىّ ابن أبى طالب كرم الله وجهه والمحفوظ بمسجد الحسين رضوان الله عليه يتكون من (٥٠٤) صفحات من الرق ومكتوب بمداد يميل الى السواد . أما خط المصحف فهو كوفى بسيط نقطت حروفه بنقط حمراء للشكل وأخرى سوداء للاعجام . وسأتناول ملاحظاتى عليه بالتفصيل فيمايلى :

أولا : خط المصحف كوفى بسيط ذو زوايا قائمة وخال من الزخارف الكتابية ، ويشبه إلى حد كبير كتابات العراق على الرق فى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى الهجرى . (انظر لوحة رقم ١٣) .

ثانيا : استخدام الرق فى هذا المصحف الذى يبلغ عدد صفحاته (٥٠٤) يرجح عدم ظهور الكاغد أو غيره من أنواع القراطيس التى انتشرت فى العصر العباسى ، ولذا فمن المرجح أن يكون هذا المصحف من العصر الأموى .

ثالثا : وجود النقط الحمراء للتشكيل والنقط السوداء للإعجام فى المصحف (انظر لوحة رقم ١٣) يقطع بأنه لم يكتب قبل عصر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، وهو العصر الذى تولى فيه الحجاج بن يوسف الثقفى ولاية العراق ، وطلب من نصر بن عاصم إعجام الحروف بمعنى نقطها . كما أنه من المؤكد لم يكتب بعد سنة ١٦٠ هـ[1] ، حين اختفت النقط الحمراء وحل محلها

---

(١) هى السنة التى توفى فيها الخليل بن أحمد الفراهيدى .

الجرات للدلالة على الشكل التى وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى فى أوائل العصر العباسى ، كما سبق أن بينا .

رابعا : من الثابت أن الحجاج بن يوسف الثقفى أرسل مصحفا إلى مصر ، ومن المرجح جدا أن يكون عبد العزيز بن مرزان ، قد وضعه فى جامع عمرو - إذ لم يكن فى الفسطاط مسجد جامع غيره - ومن المرجح كذلك أنه عندما حرقت مدينة الفسطاط فى نهاية العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى ، خشية استيلاء الفرنجة عليها ، وتصدع بنيان جامع عمرو - أن يكون هذا المصحف قد نقل مع غيره من المصاحف ، ووضع مع مخلفات الرسول (ﷺ) فى رباط الآثار الذى بنى فى أوائل القرن السابع . وهو الوقت الذى بدأت بعض المراجع تشير إلى وجود مصحف لعلىّ بن أبى طالب ، فقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته إلى مصر عند كلامه على رباط الآثار والمخلفات النبوية ، أنه كان يوجد بينها « مصحف أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب الذى بخط يده رضى الله عنه » .

وجاء فى الخطط التوفيقية عن ابن الطولونى ، عند نقل الآثار النبوية إلى قبة الغورى « كما رتبها بنظره الشريف (يعنى القبة) ليكون فيها ما خصها الله تعالى من تعظيمها بالمصحف الشريف العثمانى والآثار النبوية وغير ذلك من المصاحف وربعات » وهنا نلاحظ أن ابن الطولونى أشار إلى وجود مصاحف أخرى غير المصحف المنسوب إلى عثمان ولكنه لم ينسب مصحفا منها إلى علىّ ، كما نلاحظ - فيما نقله أحمد تيمور عن الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى السرور البكرى ، فى الكواكب السيارة ، عند كلامه على المخلفات النبوية ونقلها إلى قبة الغورى ونصه « وضم إليها أشياء من آثار الأوليا » - أنه لم يسم مصحفى عثمان وعلىّ أو يشير إليهما .

خامسا : ليس من المقبول عقلا أن يكون بمصر مصحف لعلىّ بن أبى طالب قبل أو أثناء الحكم الفاطمى ، ثم لا تشير إليه المراجع ضمن تحفهم أو كنوزهم التى يقصر عنها الوصف ، والتى نكتفى هنا بالإشارة إلى خزانة الكتب فيها ، إذ يقول زكى[1] حسن « كانت خزانة الكتب الفاطمية تحتوى على أربعين قسما ، منها قسم فيه ثمانية عشرة ألف كتاب فى العلوم القديمة . وبلغت جملة ما فى الخزانة من الكتب نحو مليون وستمائة ألف وقيل مليونين » .

ومن العجيب حقا أننا لا نسمع عن مصحف علىّ بن أبى طالب فى عصر الفواطم ، وهم شيعيون يدعون نسبهم إلى السيدة فاطمة الزهراء زوجة علىّ بن أبى طالب ، وإنما نسمع عنه فى القرن الثامن الهجرى عند زيارة ابن بطوطة لمصر .

والذى نؤكده هنا ، أنه لو كان هناك مصحف لعلىّ ظل موجودا حتى عصر الدولة الفاطمية ، فى أى مكان من أرجاء العالم الإسلامى ، لبذل الفواطم كل مرتخص وغال فى سبيل الحصول عليه . يؤيد هذا تشيعهم الشديد لعلىّ ، وقوتهم السياسية ، التى مكنتهم فى وقت من الأوقات من المناداة باسمهم فى بغداد قلب الدولة العباسية على يد البساسيرى . هذا بالإضافة إلى ثرائهم العريض وانتعاش دولتهم الاقتصادى ، اللذين مكناهم من الحصول على كل ما يرغبون فيه حتى على الرجال ، فقد اجتذبوا بمالهم كبار الشعراء من جميع أنحاء العالم الإسلامى وأتوا بهم إلى مصر .

لكل هذه الأسباب فإنى أنفى نسبة هذا المصحف لعلىّ بن أبى طالب ، وأؤكد تاريخه فى الفترة التى تقع بين النصف الثانى من القرن الأول الهجرى

---

(١) كنوز الفاطميين ص ٢٨ .

والنصف الأول من القرن الثانى وعلى وجه التحديد من (٦٧ هـ إلى ١٦٠ هـ) ، على أنه، ليس من المستبعد أن يكون أحد المصاحف التى أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفى إلى الأمصار .

هذا ونلاحظ أن الصفحة الأولى من المصحف (لوحة رقم ١١) لاتعاصر باقى المصحف ، لأسباب عدة أهمها : أسلوب الخط وكذا زخرفة الأرضية التى جاءت فوقها الكتابة ، وهى كما نرى زرقاء وعليها زخارف نباتية غاية فى الدقة والإتقان . وتتكون العناصر الزخرفية من أوراق نباتية مذهبة ، ومثل هذا الأسلوب من الزخرفة نجده فى المصاحف المصرية فى العصر العثمانى . كما أن الصفحة الأخيرة (لوحة رقم ١٢) مكتوبة بخط ثلث مملوكى ، والصفحة محاطة بشريط زخرفى يشبه الشريط الذى يحيط بالصفحة الأولى مما يرجح أن الصفحتين أضيفتا فى وقت واحد .أما الزخارف المذهبة المنقوشة على ارتفاع الصفحات من الخارج (لوحة رقم ١٥) فهى ذات أسلوب عثمانى ظاهر ، وكذا جلدة المصحف فهى من الجلد المزخرف برسوم نباتية وهندسية مذهبة ومضغوطه (لوحة رقم ١٤) وترجع إلى العصر العثمانى .

* * *

مصحف عثمان بن عفان

أما المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان فيتكون من (١٠٨٧) صفحة من الرق ومكتوب بمداد بنى داكن . واسلوب الخط كوفى بسيط وإن كان أكثر تطورا من خط المصحف المنسوب الى سيدنا علىّ ، ولكنه خال من النقط الحمراء والسوداء . وسأتناول ملاحظاتى عليه بالتفصيل فيما يلى :

أولا : أن الخط كوفى بسيط وخال من الزخارف الخطية ، ولكن يظهر فيه أثر الصنعة الخطية والتطوير ، مما لا نجده فى خطوط النصف الأول من القرن الأول الهجرى ، وذلك بمقارنته بالخطوط المكتوبة على مواد مختلفة مثل الحجر والنسيج والجلود والعظم ، والتى تزخر بها متاحف العالم وترجع إلى تلك الفترة (اللوحة رقم ١٦) لذلك فإنى أؤكد تأريخه إلى النصف الثانى من القرن الأول على أقل تقدير . كما أرجح نسبة الخط إلى مصر فى تلك الفترة والذى يمتاز بامتداد الحروف المتوسطة ، ويمكن مقارنته بصفحة من مصحف مكتوب على الرق ومحفوظ بمتحف برلين القسم الإسلامى (لوحة رقم ١٧) .

ثانيا : استعمال الرق فى مصحف عدد صفحاته (١٠٨٧) صفحة ، وبالحجم الكبير إذ تبلغ مساحة الصفحة (٧٥ × ٥٧ سم) يرجح عدم وجود أوراق الكاغد ، أو أوراق الخراسانى مما ظهر فى العصر العباسى الأول فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى وقت أن كتب ، وبالتالى أنه كتب قبل هذا التاريخ

ثالثا : الزخارف الفاصلة بين السّور بسيطة تناسب نهاية القرن الأول (لوحة رقم ١٦) ويمكن مقارنتها (بلوحة رقم ١٧) .

رابعا : أن المصحف المعروف بمصحف (أسماء) وهو مصحف عبد العزيز ابن مروان ، والذى أرجح أن يكون هو المنسوب إلى عثمان ، ظل محفوظا بمسجد عمرو

ابن العاص طوال أربعة قرون موضع التقدير والإعزاز حتى بعد أن جاء العراقى بالمصحف الذى قيل عنه أنه مصحف عثمان ، والذى أنكره وقتذاك أهل مصر ، إذ قالوا « لأن نقله لم يثبت بحكاية رجل واحد » .

خامسا : لعل خلو الحروف من النقط الحمراء التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الشكل والنقط السوداء التى وضعها نصر بن عاصم فى عهد عبد الملك بن مروان ، للاعجام ، أراد به عبد العزيز بن مروان أن يثبت للحجاج أن جندا هو فيه ليس فى حاجة إلى هذه الشارات ، فجاء المصحف خلوا منها . فقد كان للعرب فى ذلك الحين آراء متعارضة فى الشكل والاعجام ، فالبعض يؤيده والبعض يعارضه ويرون فى نقط الحروف وشكلها سوء ظن فى المكتوب إليه .

سادسا : كان من الطبيعى عند مجىء الدولة الفاطمية وهى شيعية المذهب أن تهمل شأن كل مخلفات السنيين من الخلفاء والولاة ، وقد ثبت ذلك عندما أبطلت القراءة فى مصحف (أسماء) فى عصر ثانى خلفاء الفاطميين العزيز بالله سنة سبع وثمانين وثلثمائة . هذا بالاضافة إلى أن بناء عاصمة جديدة لهم وهى القاهرة وإنشاء الأزهر ، كان من شأنه أن يقلل من أهمية جامع عمرو ، وما به من المخلفات ، ولذا لم نسمع شيئا عن مصحف (أسماء) طوال العصر الفاطمى ، ولما تعاقبت الدول بعد ذلك كان مصحف (أسماء) قد فقد اسمه ونسبه وإن لم يفقد تاريخه .

سابعا : ولما جاءت الدولة الأيوبية ، وهى سنية المذهب ، بدأنا نسمع عن وجود مصحف منسوب إلى سيدنا عثمان رضوان الله عليه ، محفوظ فى خزانة كتب المدرسة الفاضلية ، إذ يقول المقريزى [1] « بنى المدرسة الفاضلية

(١) الخطط جـ ٤ ص ١٩٧ .

القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى بجوار داره فى سنة ثمانين وخمسمائة .
ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب من سائر العلوم . ويقال أنها كانت مائة ألف مجلد ذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة كانت بها لما وقع الغلاء بمصر سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى ، مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ، ثم تداولت عليها يد الفقهاء بالعارية فتفرقت .
وبها الآن مصحف قرآن كبير القدر جداً مكتوب بالخط الأول الذى يعرف بالكوفى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ، وهو فى خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة ، وإلى جانب المدرسة كتاب برسم الأيتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها » . ويضيف القسطلانى[1] عند كلامه عن المدرسة الفاضلية وخزانة كتبها فيقول « ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الأول الكوفى المعروف بمصحف عثمان ويقال ان القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان فى خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه ، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة وآل أمرها إلى التلاشى فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قنصوه الغورى ، وأجرى الله تعالى على يده الخيرات ، وختم أعماله بالصالحات كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضياع ، إلى القبة التى أنشأها تجاه مدرسته الشريفة بقرب الاقباعيين داخل باب زويلة والخرق من القاهرة المعزية » ومن المرجح أن يكون مصحف

---

(١) مناقب الشاطبى للقسطلانى ص ١٩ .

المدرسة الفاضلية المنسوب إلى عثمان بن عفان هو مصحف (أسماء) اشتراه القاضى الفاضل بعد أن احترقت مدينة الفسطاط فى آخر الدولة الفاطمية خشية استيلاء الفرنجة عليها ، وأصبحت خرابا يبابا ، وأهمل شأن جامع عمرو وتصدع بنيانه ، وبالتالى فقد أصبحت ودائعه مجهولة الأصل ، ومن مصلحة البائع أن يسمى مصحف (أسماء) بالاسم الذى يدر عليه ثمنا أكبر وليس من شك فى أن نسبته إلى عثمان أفضل من نسبته إلى أسماء .

ثامنا : لو سلمنا جدلا بصحة رواية مجىء مصحف عثمان من العراق فى القرن الرابع الهجرى إلى مصر ، فمن المفروض أن نجد بهالورقة الأخيرة التى قرأها المقريزى والتى بقيت إلى القرن التاسع الهجرى ؛ ولكن المصحف الذى بين أيدينا لا توجد به هذه الورقة . هذا من جهة ومن جهة أخرى : فإن المقريزى ، ذكر أنه رأى هذا المصحف فى جامع عمرو ، ثم يعود فيقول عند كلامه على المدرسة الفاضلية ما نصه « وبها الآن مصحف قرآن تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان » . ومعنى هذا أنه كان يوجد فى مصر فى زمن المقريزى مصحفان ينسبان إلى عثمان بن عفان ، فأى المصحفين يا ترى هو مصحف عثمان ؟ .

لكل هذه الأسباب فإنى أنفى نسبة المصحف إلى عثمان بن عفان وأؤكد تاريخه إلى الفترة ما بين نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثانى الهجرى ، وأرجح أن يكون هو المصحف الذى أمر بكتابته والى مصر عبد العزيز ابن مروان المتوفى سنة٨٦ هـ ، والذى عرف باسم حفيدته أسماء وهو بذلك أقدم مصحف كتب بمصر . أما جلدة المصحف (لوحة ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) فإنها جددت فى عصر السلطان الغورى وهو آخر سلاطين دولة المماليك .

تعريف باللوحات

لوحة رقم (١)

تبين هذه اللوحة مشهد الحسين رضى الله عنه ، وقد ظهر فيها الباب الأثرى المعروف بالباب الأخضر ، وهو الجزء الوحيد الذى لا يزال قائما من العصر الفاطمى ، والذى أخذ اسمه من قصر الزمرد الذى أقيمت مكانه القبة التى شرفت بوجود الرأس الشريف . والباب كما نرى مبنى من الحجر وتعلوه شرفات مسننة جميلة ، وعلى يساره زخارف جصيه عبارة عن دائرة تحتوى على نقوش نباتية دقيقة ، وهى تشبه إلى حد كبير تلك النقوش التى تزخرف واجهة مسجد الأقمر الذى بنى فى العصر الفاطمى سنة ٥٥٥ هـ .

ويعلو الباب القاعدة المربعة للمئذنة التى أنشأها فى العصر الأيوبى أبو القاسم ابن يحيى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٣ هـ وأتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ ، ونرى على هذا الجزء زخارف جصيه تحتوى على نقوش نباتية دقيقة ، كما أنه يحتوى على لوحتين تذكاريتين تبينان تاريخ إنشاء المئذنة ، وقد ورد فى إحداها مانصه : « الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه . وكان تمامها على يدى ولده محمد ، سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » .

ونص الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا إلى الله ورفعا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل

الله منه . وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » ويعلو القاعدة المربعة باقى المئذنة وهو على شكل المسلة ويرجع إلى العصر العثمانى .

لوحة رقم (٢)

تبين هذه اللوحة القبة التى تعلو حجرة المشهد ، وهى كما نرى مزخرفة بنقوش زيتية ومذهبة غاية فى الدقة والإبداع ، وقد عملت هذه الزخارف الزيتية أولا فى العصر العثمانى على يدى عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ ثم جدد الطلاء فى عهد عباس حلمى الثانى . وقد كتب فى المثلثات الكروية التى توجد فى أركان الحجرة المربعة والتى تقوم فوقها القبة ، أربعة أبيات من الشعر وضعها محمد على الببلاوى وهى :

ركن هذا المقام جنة عدن   من أتاه يفوز بالمأمول
ركن هذا المقام ركن سديد   نال فيه الداعون حسن القبول
ركن هذا المقام كعبة مصر   زاد مجدا بالسيد بن البتول
ركن هذا المقام حاز فخارا   بالإمام الحسين سبط الرسول

ونلاحظ أن القبة يتخللها نوافذ قد ملئت بالنقوش الجصيه المخرمة (والمعشقة) بالزجاج المتعدد الألوان .

لوحة رقم (٣)

تبين هذه اللوحة أحد جدران القبة المطل على المسجد وقد كسى بالرخام والصدف المزخرف بطريقة الفسيفساء . وقوام الزخرفة كما نرى

عبارة عن رسوم هندسية بحتة ، وهي الزخارف التي امتاز بها الفن الإسلامي والتي أطلق عليها الأوروبيون كلمة (أرابيسك) . وترجع هذه الزخارف إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

لوحة رقم (٤)

تبين هذه اللوحة باب غرفة المخلفات النبوية ، التي أضيفت إلى المشهد سنة ١٣١٠ هـ ، والتي تقع جنوب القبة وفي الطرف الجنوبي الشرقي للمسجد . والباب كما نرى من خشب الساج الهندي المصفح بجامات من النحاس المنقوش . ويعلو الباب عقد ويكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام المنقوش بزخارف نباتية وهندسية وكتابية بديعة .

لوحة رقم (٥)

توضح هذه اللوحة الواجهة الغربية للمسجد الحسيني التي تطل على حي خان الخليلي . وقد جددت هذه الواجهة كما جدد المسجد في عهد الثورة المجيدة فقد بدأ التجديد سنة ١٩٥٩ وتم سنة ١٩٦٣ . ونلاحظ أن بالواجهة عديدا من النوافذ والفتحات ، فالعلوية منها تتكون من عقد مدبب يحتوي على ثلاث فتحات وبجانب العقد مثلث يحتوي على فتحتين وهكذا على التوالي . أما النوافذ السفلى فعبارة عن مستطيلات ملئت بالنحاس المخرم والمنقوش برسوم هندسية جميلة . ويتوسط الواجهة باب معقود وبطرف الواجهة الجنوبي الغربي توجد مئذنة على شكل مسلة وترجع إلى العصر العثماني .

لوحة رقم (٦)

توضح هذه اللوحة جزءًا من جوانب التابوت الخشبي الذى عثر عليه تحت المقصورة فوق التركيبة الحجرية التى تحتوى على الرأس الشريف . وكان التابوت يحيط بالتركيبة من ثلاثة جوانب ، وحجمه ١ر٨٥ متر فى ١ر٣٢ متر فى ١ر٣٥ متر . وهو من خشب الساج الهندى مكون من حشوات مجمعة ، زخرفت كل حشوة منها على حده قبل تجميعها . وقد ظهر هذا الأسلوب فى زخرفة الأخشاب فى نهاية العصر الفاطمى وانتشر فى العصر الأيوبى . أما زخارف هذه الحشوات فهى تجمع بين زخارف نباتية وأخرى هندسية وكتابية ، وكلها محفورة حفرا عميقا وبارزا حتى يظهر وكأن أرضيته مفرغة . ونلاحظ أن الوحدات الهندسية تحتوى على عناصر نباتية ثم يحيط بالوحدات أشرطة كتابية بعضها بالخط الكوفى المزهر والآخر بالخط النسخى الذى ظهر فى مصر فى آخر العصر الفاطمى وانتشر وتطور فى العصر الأيوبى . ويرجع تاريخ التابوت إلى القرن السادس الهجرى ومن المرجح أن يكون عن عمل صلاح الدين الأيوبى .

لوحة رقم (٧)

هذه أسطوانة من الزجاج بداخلها أربع شعرات للرسول صلى الله عليه وسلم ومن المرجح أن يكون من شعر الرأس ، إذ يبلغ طول إحداها ٧ سم تقريبا ، ولونها كستنائى . وقد ثبتت الشعرات فى شمع فى وسط الأسطوانة كما هو ظاهر فى اللوحة ، وهى محفوظة مع باقى الشعرات وغيرها من المخلفات النبوية بالحجرة الخاصة بمشهد الحسين رضوان الله عليه .

لوحة رقم (٨)

تبين هذه اللوحة (بقجه) تحتوى على ثلاث قطع من النسيج يطلقون عليها جميعا (قميص الرسول) ، ولكنها هى أجزاء من لباسه صلى الله عليه وسلم ، فمنها قطعة من الكتان ليست مخيطة ، والكتان غير مبيض وتدل خيوطه الدقيقة على أنه من الكتان الجيد ، إذ يبلغ عدد الخيوط فى السنتيمتر الواحد عشر فتلات ، وهى منسوجة نسيج يدوى . ومن المرجح أن تكون هذه القطعة الكتانية ، جزءا من قميص (قباطى) من تلك الأثواب القبطية ، التى أهداها المقوقس للرسول صلى الله عليه وسلم . أما القطعتان الآخريان ، فهما من القطن ، منسوجتان كذلك نسجا يدويا وقد تكونا من القميص أو الأثواب (السحولية) ، مما تركه الرسول فيما ترك من أنواع اللباس .

لوحة رقم (٩)

تبين هذه اللوحة جزءا من قضيب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من خشب الشوحط ، نوع من أنواع (الأرز) . وصيانة لهذا التراث الشريف فقد كسى معظم القضيب بغلاف من الفضة الجيدة ، كما هو ظاهر فى الصورة . ويبلغ طول الغلاف الفضى ٤ر١٨ سم ، والجزء الظاهر من العضا ٤ سم ، كذلك دهنت العصا بطبقة من الراتنج ، صيانة لها من التآكل والتسويس .

لوحة رقم (١٠)

تبين هذه اللوحة مكحلة الرسول ومروده . والمكحلة تشبه الملعقة ، وهى من النحاس غلف مقبضها بغلاف من الفضة ، ويبلغ طول الملعقة

٥ر٣ سم أما المقبض فطوله ٥ر١١ سم ، فيكون طول المكحلة ١٥ سم . ونرى بجانب المكحلة المرود (الميل) ، وهو من الحديد ويبلغ ١١ سم أما مقبضه فمن الفضة وطوله ٥ر٢ سم فيكون طول المرود ٥ر١٣ سم .

لوحة رقم (١١)

تبين هذه اللوحة الصفحة الأولى من المصحف المنسوب إلى سيدنا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، والموجود مع مخلفات النبى بمشهد الحسين . وهذه الصفحة أضيفت إلى المصحف وتدل الزخارف المحصورة فى الشريط الزخرفى الذى يعلو الصفحة على أنها ترجع إلى العصر العثمانى ، وفوق الزخرفة كتابة كوفية (إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون) مكتوبة بالأسلوب الذى انتشر فى العصر المملوكى والعثمانى .

لوحة رقم (١٢)

تبين هذه اللوحة الصفحة الأخيرة من ذات المصحف المنسوب إلى علىّ بن أبى طالب. رضى الله عنه وهى مضافة كذلك إلى المصحف ، كما يبدو من خطها الثلث الذى انتشر فى العصر المملوكى والعثمانى . ويدل إطار الزخرفة الذى يحيط بالصفحة على أنها أضيفت فى نفس الوقت الذى أضيفت فيه الصفحة الأولى أى فى العصر العثمانى .

لوحة رقم (١٣)

صفحة من المصحف المنسوب إلى علىّ ، وهى من الرق والكتابة عليها بالمداد الأسود ، وقد ظهر على الكتابة نقاط حمراء للدلالة على الشكل

وأخرى سوداء للدلالة على الإعجام ، ووجود مثل النقاط يؤكد عدم صحة نسبته إلى علىّ إذ أنها لم تظهر الا سنة ٦٧ هـ ، بينما توفى علىّ ابن أبى طالب سنة ٤٠ هـ . كما تدل النقط الحمراء على أن المصحف لم يكتب بعد القرن الثانى الهجرى ، حين أبدلّ الخليل بن أحمد الفراهيدى بالنقاط الحمراء ، (جرات) للدلالة على الشكل . ولو أضفنا إلى ذلك أسلوب الخط ، وهو كما نرى فى الصورة ، من الخط الكوفى البسيط وخال من الزخارف ، لاستطعنا فى ثقة أن نرجع هذا المصحف إلى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثانى ، ولا يستبعد أن يكون أحد المصاحف التى أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفى إلى الأمصار . وفى هذه الصفحة آيات من سورة البقرة نصها :

(١) ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل

(٢) إليك وما أنزل من قبلك وبا

(٣) لآخرة هم يوقنون . أولئك على

(٤) هدى من ربهم وأولئك هم ا

(٥) لمفلحون . إن الذين كفروا سو

(٦) اء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم

(٧) لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى

(٨) سمعهم وعلى أبصارهم غشوة و

(٩) لهم عذاب عظيم . ومن الناس من

(١٠) يقول آمنا بالله وباليوم الآخر

(١١) وما هم بمؤمنين . يخدعون الله وا

(١٢) لذين آمنوا وما يخدعون إلا أ

(١٣) نفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض

(١٤) فزادهم الله مرضا .

لوحة رقم (١٤)

تبين هذه اللوحة المصحف المنسوب إلى علىّ رضى الله عنه ، وهو محفوظ فى غلاف من الجلد ، المنقوش بطريق الضغط ، بزخارف هندسية ونباتية مذهبة جميلة . ويتكون المصحف من (٥٠٤) صفحات ، أما حجمه فبلغ ١٩ فى ٥ر١٤ سم فى ارتفاع ١٦ سم .

لوحة رقم (١٥)

توضح هذه اللوحة ارتفاع صفحات المصحف المنسوب إلى علىّ رضى الله عنه وقد طبعت عليه زخارف نباتية مذهبة . وقوام الزخرفة كما نرى يتكون من فرع نباتى متماوج تخرج منه زهور وأوراق مرسومة بأسلوب قريب إلى الطبيعة إلى حد كبير . ومثل هذا الأسلوب انتشر فى العصر المملوكى والعثمانى ومن المرجح أن تكون هذه الزخارف قد طبعت على المصحف فى الوقت الذى أضيفت فيه إليه الصفحتان الأولى والأخيرة وكذلك الجلدة ، أى فى العصر العثمانى .

لوحة رقم (١٦)

تبين اللوحة صفحة من المصحف المنسوب لسيدنا عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وهى من الرق ، والخط كما نرى كوفى بسيط يشبه

الخط المصرى فى القرن الأول والثانى الجهرى . ومن المرجح أن تكون هذه الصفحة من المصحف المعروف بمصحف أسماء ، الذى أمر بنسخه والى مصر عبد العزيز بن مروان سنة ٨٦ هـ . والصفحة كبيرة الحجم إذ تبلغ أبعادها ٧٥سم فى ٥٧ سم وارتفاعها ٥٤ سم ، أما عدد صفحات المصحف فتبلغ ١٠٨٧ صفحة . ونرى فى أسفل الصفحة شريطا من الزخرفة يفصل بين السور ، وهو عبارة عن رسوم نباتية متعددة الألوان . ونلاحظ أن أسلوب الزخرفة يشبه الزخارف المحفورة على الخشب كما يشبه رسوم الفرسكو فى مصر فى القرن الأول والثانى الهجرى (٧ ، ٨ م) . والكتابة آيات من سورة التكوير نصها :

(١) [وما صاحبكم] بمجنون . لقد را

(٢) ه بالأفق المبين . وما

(٣) هو على الغيب بضين .

(٤) وما هو بقول شيطن [شيطان] ر

(٥) جيم . فأين تذهبون إ

(٦) ن هو إلا ذكر للعالمين .

(٧) لمن شاء منكم أن يستقيم

(٨) وما تشاءون إلا أن

(٩) يشاء الله رب

(١٠) العالمين .

لوحة رقم (١٧)

تبين هذه اللوحة صفحة من مصحف محفوظ بمتحف برلين . والصفحة من الرق ونلاحظ أنها تشبه لوحة (١٦) إلى حد كبير من حيث أسلوب الخط وكذا الشريط الزخرف الذى يفصل بين السور ، وهذه الصفحة من مصر فى أوائل القرن الثانى الهجرى . وتحتوى الصفحة على آيات من سورة النساء وأخرى من سورة المائدة نصها .

(١) اثنتين فلهما الثلثان مما
(٢) ترك وإن كانوا إ
(٣) خوة رجالا ونساء
(٤) فللذكر مثل حظ
(٥) الانثيين يبين الله لكم
(٦) أن تضلوا والله بكل
(٧) شئ عليم

سورة المائدة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم
(٢) يا أيها الذين آمنوا
(٣) أوفوا بالعقود

لوحة رقم (١٨)

جلدة المصحف المنسوب إلى عثمان رضى الله عنه ، وهى من الجلد

المزخرف بنقوش نباتية مذهبة ومضغوطة ، ويحيط بهذه الزخارف شريط من الكتابة بالخط الثلث المملوكي الجميل ، ونصها كالآتي :

الضلع الطويل : جدد هذا المصحف الشريف المعظم ، الذى من حلف به صادقا نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجرا ، كف وهان وأصبح فى ذل ومقت وخذلان . بخط من رتب سوره وآياته .

الضلع القصير : وأجزاءه ، ومن ختمه فى كل ركعة من صلاته . وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ، ذى النورين زوج بنتيه ، ورفيقه فى الدارين ، من استحيت ملائكه .

الضلع الطويل : الرحمن ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان . أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان الله له .

الضلع القصير : وتجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون (كذا) عاما مضت تقبل الله ذلك منه ، عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعد دولته بمحمد وآله .

ويعقب الشيخ الببلاوى[1] على النص الوارد على جلدة المصحف فيقول : « ولكن شاع أن الملك قانصوه الغورى ، ادعى هذا الجلد لنفسه على خلاف الحقيقة ، وأن الحق أن غيره هو الذى جدده ، ممن قبله وكتب اسمه على الجلد

---

(١) التاريخ الحسينى ص ٣٨ .

المذكور ، فمحاه الغورى وكتب اسمه بدله . ويؤيد هذه الإشاعة أن الناظر إلى ما كتب فوق الجلد المذكور ، يرى تخالفا كبيرا فى الرسم بين صدر الكلام وبين ما بعد قوله « أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قنصوه الغورى ألخ . والله أعلم بالحقيقة » وقد أيده فى هذا الرأى الأستاذ حسن عبد الوهاب[١] .

ولكنى لا أرى ما ذهب إليه الأستاذان ، من أن السلطان الغورى محا اسما لغيره ووضع اسمه بدلا منه ، بحجة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتابة . لأنى لا أرى فى هذه الحجة ، ما ينهض دليلا كافيا على نفى تجديد السلطان الغورى لهذه الجلدة . وذلك للأسباب الآتية :

أولا : أن خط جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى) . لا يختلف عن باقى الكتابة ، إلا فى كونها كتابة ظاهرة وغير مزدحمة ، ولعل الخطاط عمد إلى ذلك قصدا ، ليكون اسم السلطان الغورى ظاهرا وملفتا للنظر .

ثانيا : نجد فى الضلع القصير وبنفس أسلوب الخط الذى كتبت به باقى الأشرطة ، العبارة الآتية « تجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت » . هذه العبارة تدل على أن التجديد حدث بعد مضى ٨٧٤ سنة مضت على وفاة عثمان[٢] بن عفان رضى الله عنه ، أى أن التجديد تم سنة ٩٠٩ هـ ، وهذه السنة تقع فى حكم السلطان الغورى ، إذ أنه تولى سنة ٩٠٦ هـ وتوفى

---

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ٩٣ .

(٢) توفى سيدنا عثمان سنة ٣٥ هـ .

سنة ٩٢٣ هـ . وفى هذا ما يكفى من الدلالة على صحة المكتوب ومطابقته للحقيقة .

لذلك فإنى أؤكد أن هذه الجلدة من عمل السلطان الغورى وليس هذا بكثير عليه فله أياد بيضاء أخرى .

لوحة رقم (١٩)

نرى فى هذه اللوحة مفصلات مذهبة لجلدة المصحف المنسوب إلى عثمان عليها اسم السلطان الغورى بما نصه « برسم المصحف الشريف العثمانى » .

لوحة رقم (٢٠)

مفصلة ثانية للمصحف مكتوب عليها « السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره » .

لوجة رقم (٢١)

رسم تخطيطى يبين التجديدات التى تمت فى عهد الثورة المباركة ، ثورة ٢٢ يولية سنة ١٩٥٢

ثبت المراجع العربية

١ – ابن ابراهيم الأنصارى : (الاعلام بالحروب الواقعة فى صدر الإسلام)

٢ – ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة (طبعة مصر)

٣ – ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور (طبعة بولاق ١٣١٣ هـ)

٤ – ابن أبى طلحة : مطالب السئول فى مناقب آل الرسول

٥ – ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطه (طبع وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ)

٦ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب سنة ١٩٤٢)

٧ – ابن تيمية : منهاج السنة النبوية

٨ – ابن جبير : رحلة ابن جبير (طبع مصر)

٩ – ابن الجوزى : كتاب الاذكياء (مصر سنة ١٣٠٦ هـ)

١٠ – ابن حجر العسقلانى : الاصابة

١١ – ابن حجر العسقلانى : فتح البارى فى مناقب الحسن والحسين

١٢ – ابن خلكان : وفيات الاعيان

١٣ – ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار (طبع بولاق ١٣٠٩ هـ)

١٤ – ابن رسته : الاعلام النفيسة (طبع ليدن ١٨٩١ م)

١٥ – ابن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة (طبعة بولاق ١٩٠٧ م)

١٦ – ابن سعد : الطبقات الكبير

١٧ – ابن سيده : المخصص (المطبعة الأميرية ببولاق ١٩١٦ م)

١٨ – ابن سيد الناس : عيون الأثر فى عيون المغازى والشمائل والسير

١٩ – ابن الشحنه : تاريخ حلب (طبعة بيروت ١١٣٢ هـ)

٢٠ – ابن عبد ربه : العقد الفريد (طبع بولاق ١٢٩٣ هـ)

٢١ – ابن عروة الحنبلى : الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند أحمد على أبواب البخارى

٢٢ - ابن عساكر : التاريخ الكبير

٢٣ – ابن فضل العمرى : مسالك الابصار

٢٤ – ابن قتيبة : عيون الأخبار

٢٥ – ابن قتيبة : الامامة والسياسة

٢٦ – ابن كثير : البداية والنهاية (طبع مصر)

٢٧ – ابن ميسر : أخبار مصر (المعهد الفرنسى ١٩١٩ م)

٢٨ – ابن النديم : الفهرست

٢٩ – ابن النعمان : الارشاد

٣٠ – ابن الأثير : الكامل

٣١ – ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة (المطبعة الوهبية ١٢٨٠ هـ)

٣٢ – أبوالبركات عبد الرحمن الانبارى : نزهة الألباء فى طبقات الادباء (مطبعة مصر ١٢٩٤ هـ)

٣٣ – أبو حنيفه الدنيورى : الأخبار الطوال (مطبعة السعادة ١٣٢٠ هـ)

٣٤ – أبو الحجاج يوسف البلوى : الف باء (المطبعة الوهبية ١٢٨٧ هـ)

٣٥ – أبو عمر بن عبد البر القرطبي : الاستيعاب (طبعة حيدر أباد)

٣٦ – أبو الفداء : تاريخ أبو الفداء (المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ)

٣٧ – أبو الفرج الاصفهانى : مقاتل الطالبيين

٣٨ – أبو الفلاح عبد الحى بن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (طبع مصر ١٣٥١ هـ)

٣٩ – أبويحيى زكريا القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد

٤٠ – أحمد تيمور : الآثار النبوية (دار الكتاب العربى ١٣٧٥ هـ)

٤١ – أحمد بن حنبل : مسند بن حنبل

٤٢ – أحمد بن سليمان البحرانى : عقد اللآل فى مناقب الآل

٤٣ – البيلاوى : التاريخ الحسينى (مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٤ هـ)

٤٥ ـ البرزنجي : نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين (مطبعة الجمالية سنة ١٩١٤ م)

٤٦ ـ الترمذى : الشمائل المخمدية (مطبعة السعادة سنة ١٣٣٢ هـ)

٤٧ ـ الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (طبع بولاق سنة ١٢٩٧ هـ)

٤٨ ـ جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين (طبع مصر)

٤٩ ـ الحافظ بن حجر : الإصابة

٥٠ ـ الحسن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول (طبع بولاق سنة ١٢٩٥ هـ)

٥١ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية (دار الكتب سنة ١٩٤٦ م)

٥٢ ـ خليل الظاهرى : زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

٥٣ ـ الدميرى : حياة الحيوان الكبرى (مصر سنة ١٣٠٩ هـ)

٥٤ ـ الذهبي ابى كرب : تاريخ الإسلام

٥٥ ـ رضى الدين بن طاووس : اللهوف على قتلى الطفوف

٥٦ ـ الزرقانى على المواهب : تنزيه المصطفى المختار

٥٧ ـ زكى محمد حسن : كنوز الفاطمن

٥٨ ـ سبط الجوزى : تذكرة خواصى الأمة

٥٩ ـ السبكى : الطبقات الشافعية

٦٠ ـ السخاوى : الضوء اللامع (طبع مصر سنة ١٣٥٤ هـ)

٦١ ـ السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة

٦٢ ـ الشبلنجى : نور الأبصار

٦٣ ـ شرف على عبد الولى : رياض الجنان فى نيل مشتهى الجنان (مطبعة بمبىء)

٦٤ ـ الشهرستانى : الملل والنحل

٦٥ ـ الصبان : اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين (المطبعة الوهبية ١٢٩٠هـ)

٦٦ ـ الطبرى : الرياض النضرة

٦٧ ـ الطوس : إختيار الرجال

٦٨ ـ عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى : الافصاح فى فقه اللغة (دار الكتب ١٣٤٨ هـ)

٦٩ ـ عبد الرحمن بن محمد بن الدباغ : معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان

٧٠ ـ عثمان مدوخ : العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد

٧١ ـ على عبد الله السمهودى : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى

٧٢ ـ على بن عيسى بن أبى الفتح الاربلى : كشف الغمة

٧٣ ـ علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة (طبع بولاق ١٣٠٥ هـ)

٧٤ ـ الفخرى : الآداب السلطانية

٧٥ ـ القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بغداد ١٢٨٢ هـ)

٧٦ ـ القزويني : عجائب المخلوقات

٧٧ ـ القسطلاني وزكريا الانصاري : شرح صحيح البخاري (المطبعة الميمنية مصر)

٧٨ ـ قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام (المطبعة العثمانية ١٣٠٣ هـ)

٧٩ ـ القلقشندي : صبح الأعشى (طبع بولاق ١٩١٤ م)

٨٠ ـ الكليني : الكافي

٨١ ـ الماوردي : الأحكام السلطانية (مطبعة الحلبي سنة ١٣٨ هـ)

٨٢ ـ محسن بن عبد الكريم الحسيني : لواعج الأشجان

٨٣ ـ محمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردي : مناقب أبي حنيفة (مطبعة حيدر أباد)

٨٤ – محمد بن قاسم بن يعقوب : روض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار

٨٥ – محمد لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية (طبع مصر ١٣٢٩ هـ)

٨٦ – المسعودى : مروج الذهب (مصر ١٣٠٤ هـ)

٨٧ – المسعودى : الاشراف والتنبيه

٨٨ – المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (١٨٧٦ م)

٨٩ – المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك [تحقيق مصطفى زياده (طبع مصر)]

٩٠ – المقريزى : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الحلفا (القدس)

٩١ – المقريزى : الخطط والآثار (بولاق ١٢٠٧ هـ)

٩٢ – المقرى : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب (بولاق ١٢٧٩ هـ)

٩٣ – الميدانى : اللمعه الشهية فى اللغة السريانية

٩٤ – النابلسى : الحقيقة والمجاز

٩٥ – النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب

٩٦ – الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم (المطبعة المنيرية)

٩٧ – ياسين بن مصطفى الفرضى : النبذة اللطيفة فى المزارات الشريفة.

٩٨ – ياقوت الحموى : مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع
(طبع ليدن ١٨٧٩ م)

٩٩ – ياقوت الحموى : معجم البلدان

المراجع الافرنجية

100 — Creswell : Muslim Architecture in Egypt (Oxford 1946)

101 - Dozy. R. P. H. Dictionnaire detaillé des noms des vêtement chez les Arabes. (Amesterdam 1845.

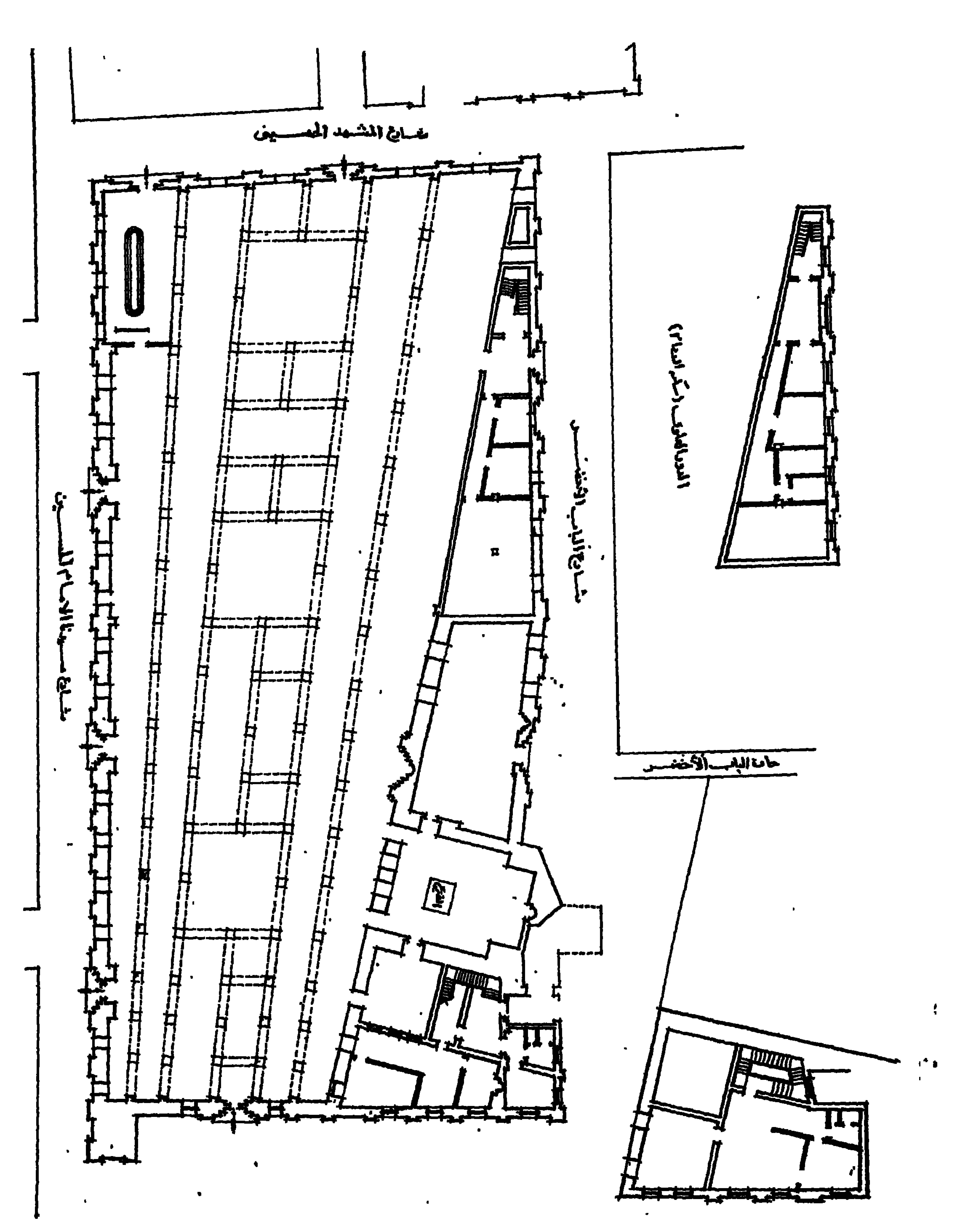
102 — Hautecœur et wiet : Les Mosquées du Caire (paris 1932).

103 — Sarre & Herzfeld : Die Reiseim Euphvat uud Tigvis gebiet.

فهرس أسماء الأعلام

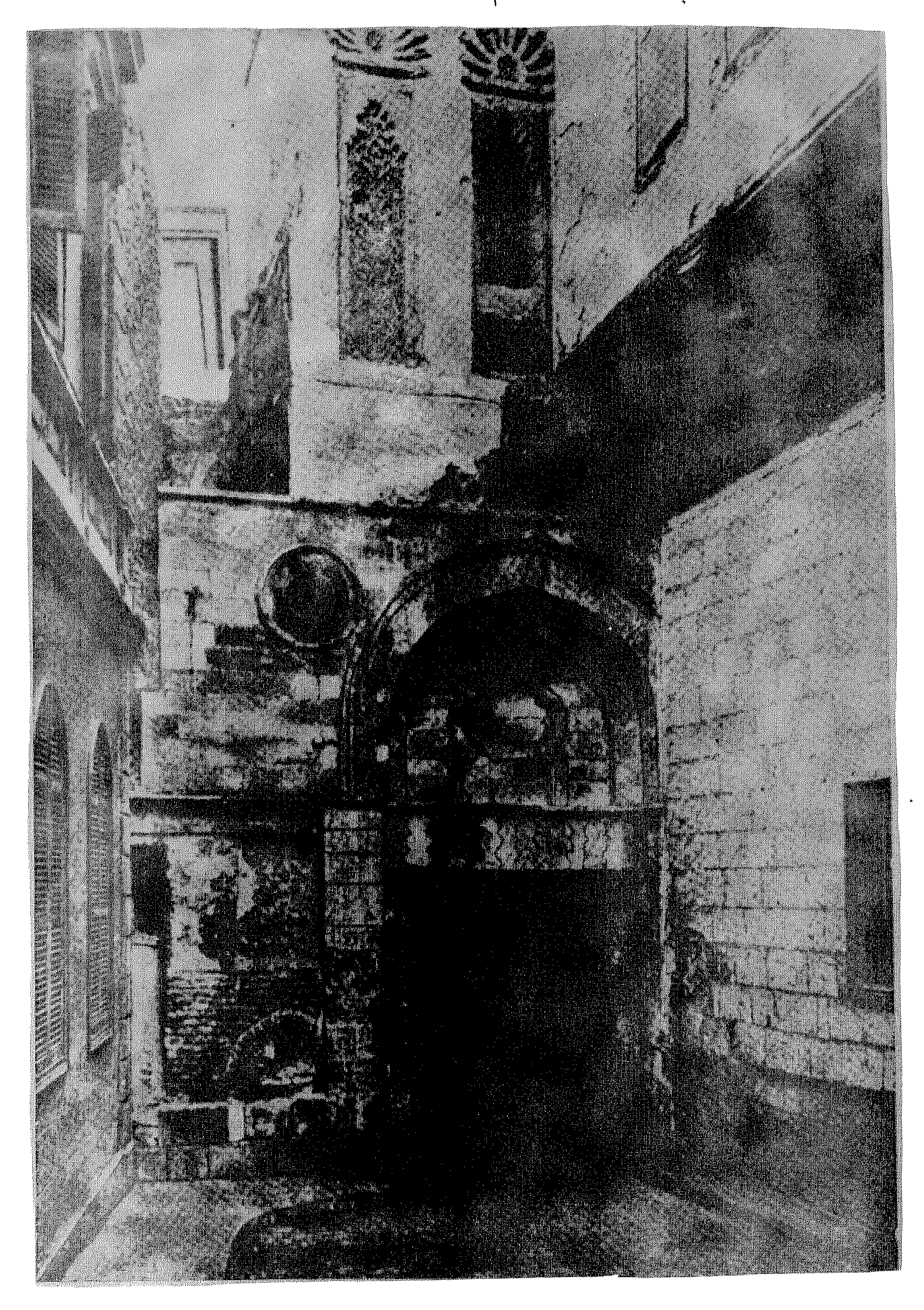
فهرس أسماء الأماكن

فهرس الموضوعات



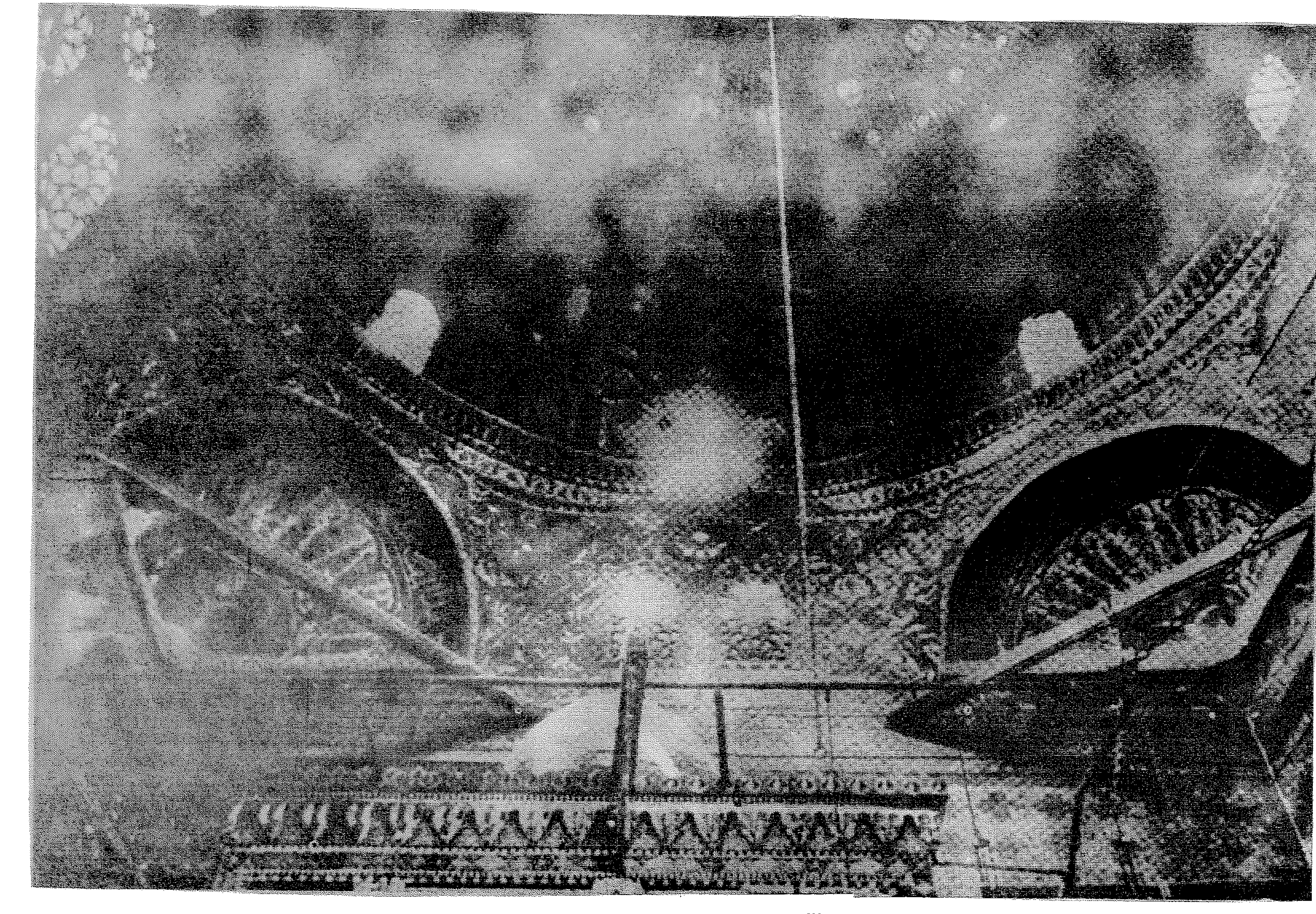
رسم تخطيطى يبين التجديدات التى تمت فى عهد الثورة المباركة

لوحة رقم (١)



الباب الاخضر بالمشهد الحسيني

لوحة رقم (٢)



القبة التى تعلو المشهد الحسينى

لوحة رقم (٣)

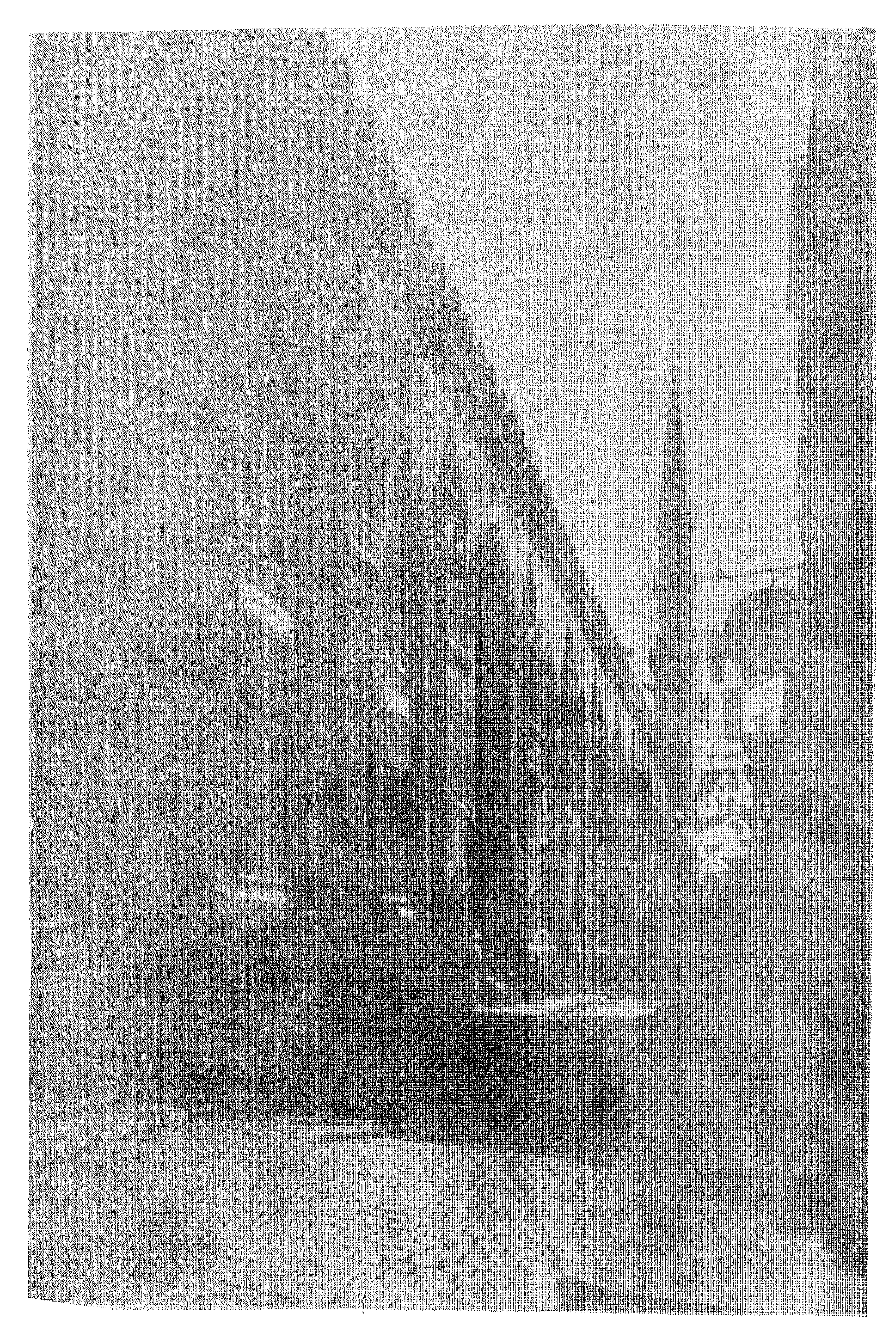
أحد جدران القبة المطل على المسجد الحسيني

لوحة رقم (٤)



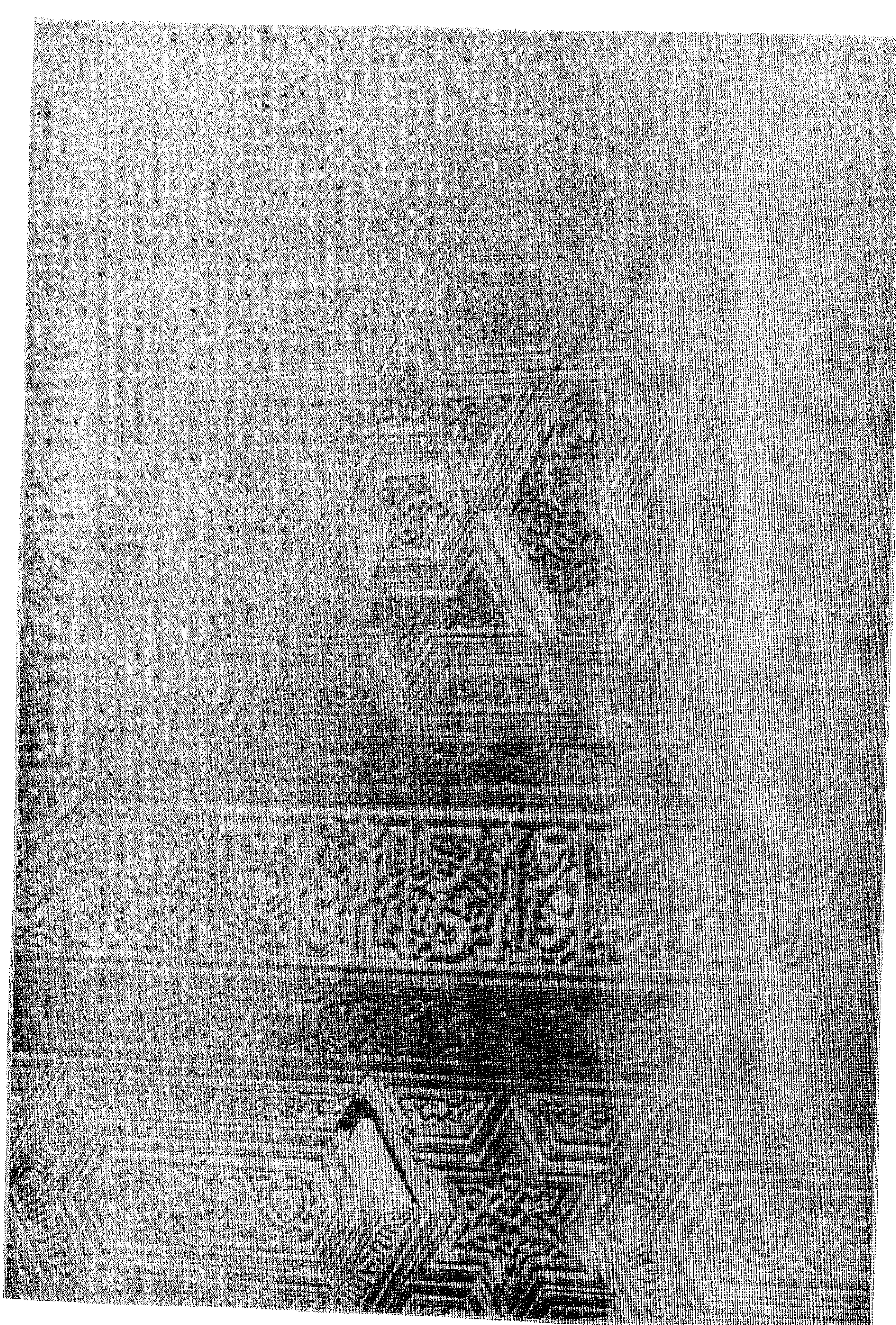
باب غرفة المخلفات النبوية

لوحة رقم (٥)



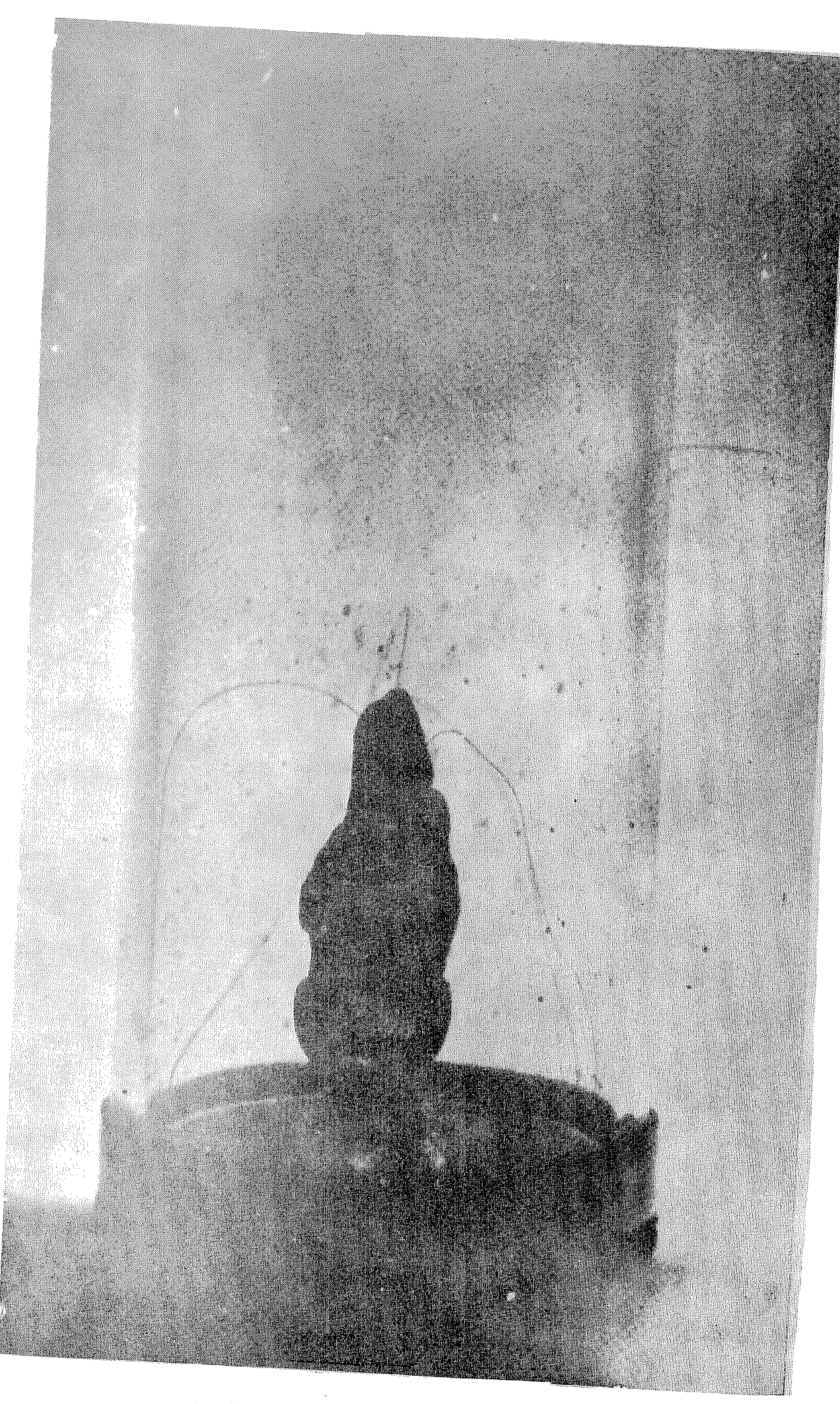
الواجهة الغربية للمسجد الحسينى
بعد التجديد الحديث

لوحة رقم (٦)



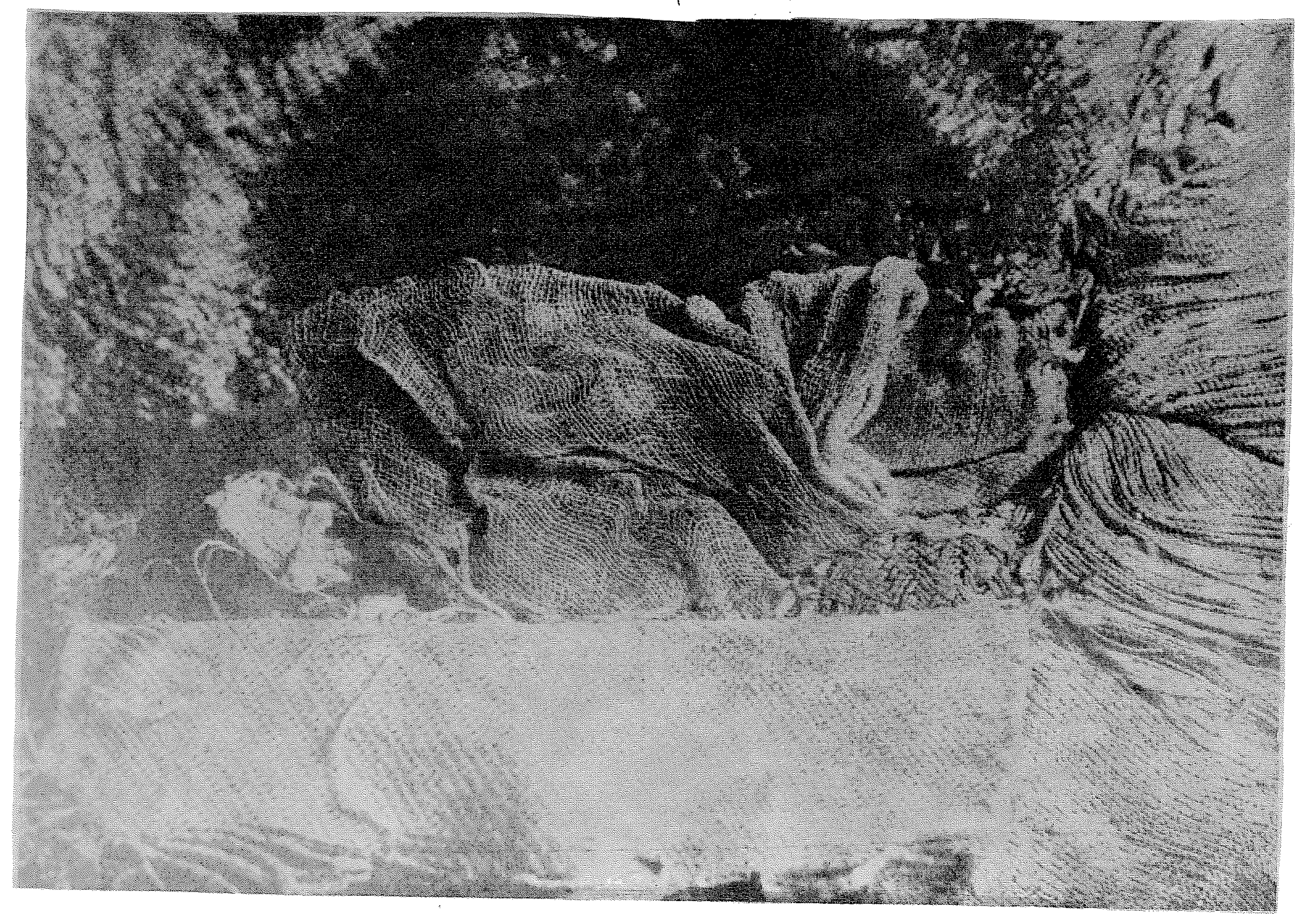
جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبي

لوحة رقم (٧)



اسطوانة من الزجاج بداخلها اربع شعرات
للرسول صلى الله عليه وسلم

لوحة رقم (٨)

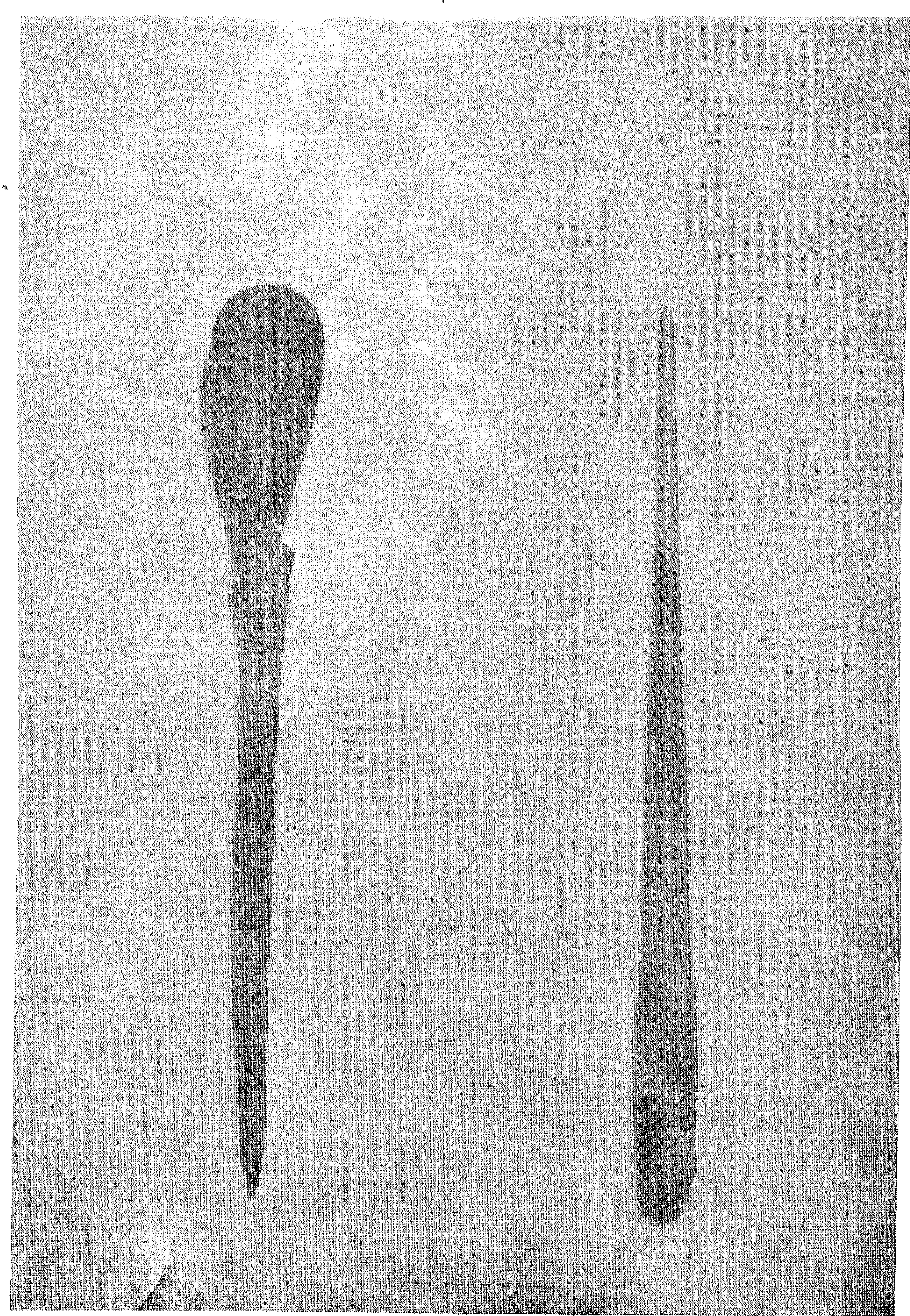


بقجة تحتوى على ثلاث قطع من النسيج يطلقون عليها جميعا (قميص الرسول)

لوحة رقم (٩)

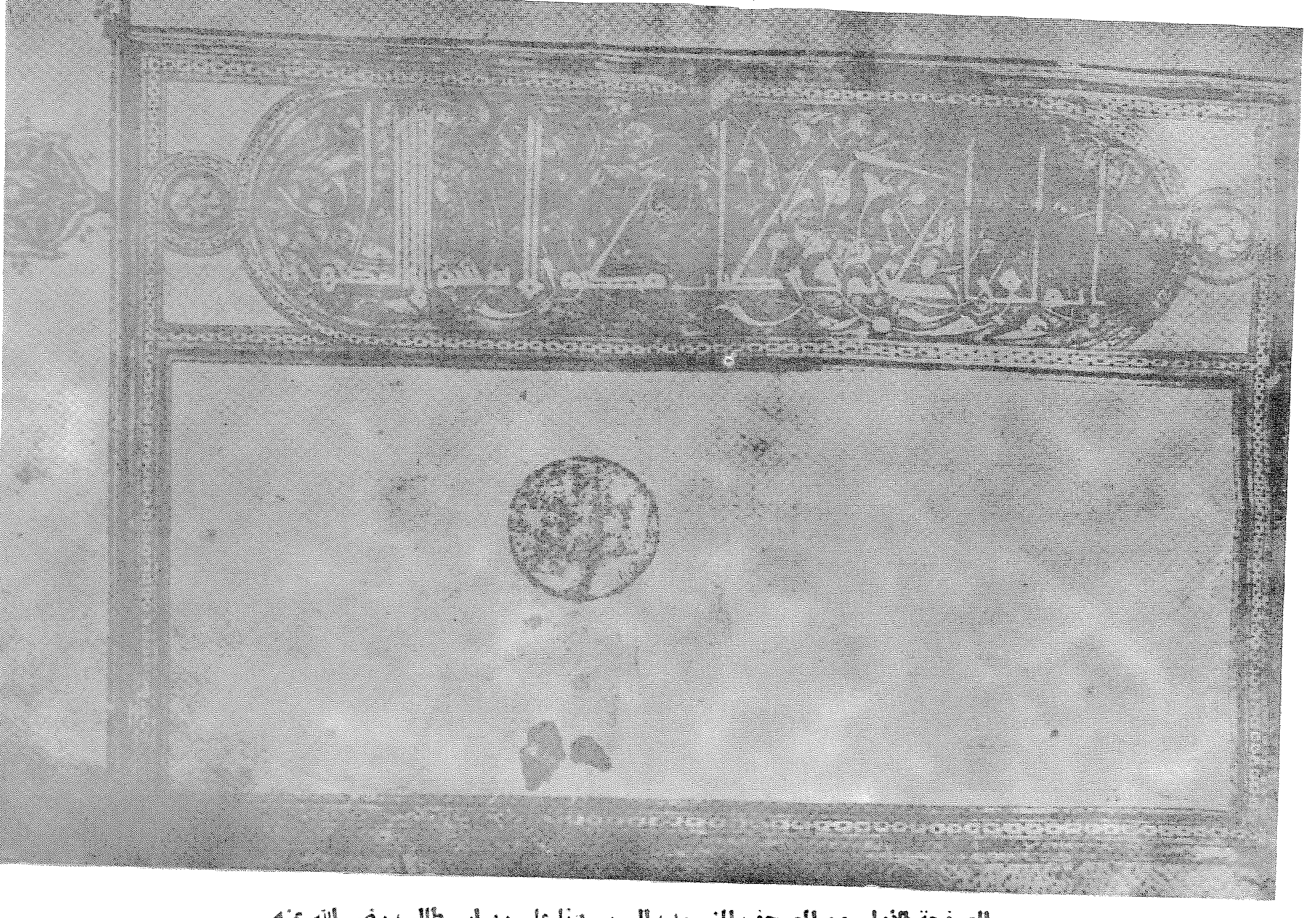
جزء من عصا رمح الرسول صلى الله عليه وسلم

لوحة رقم (١٠)



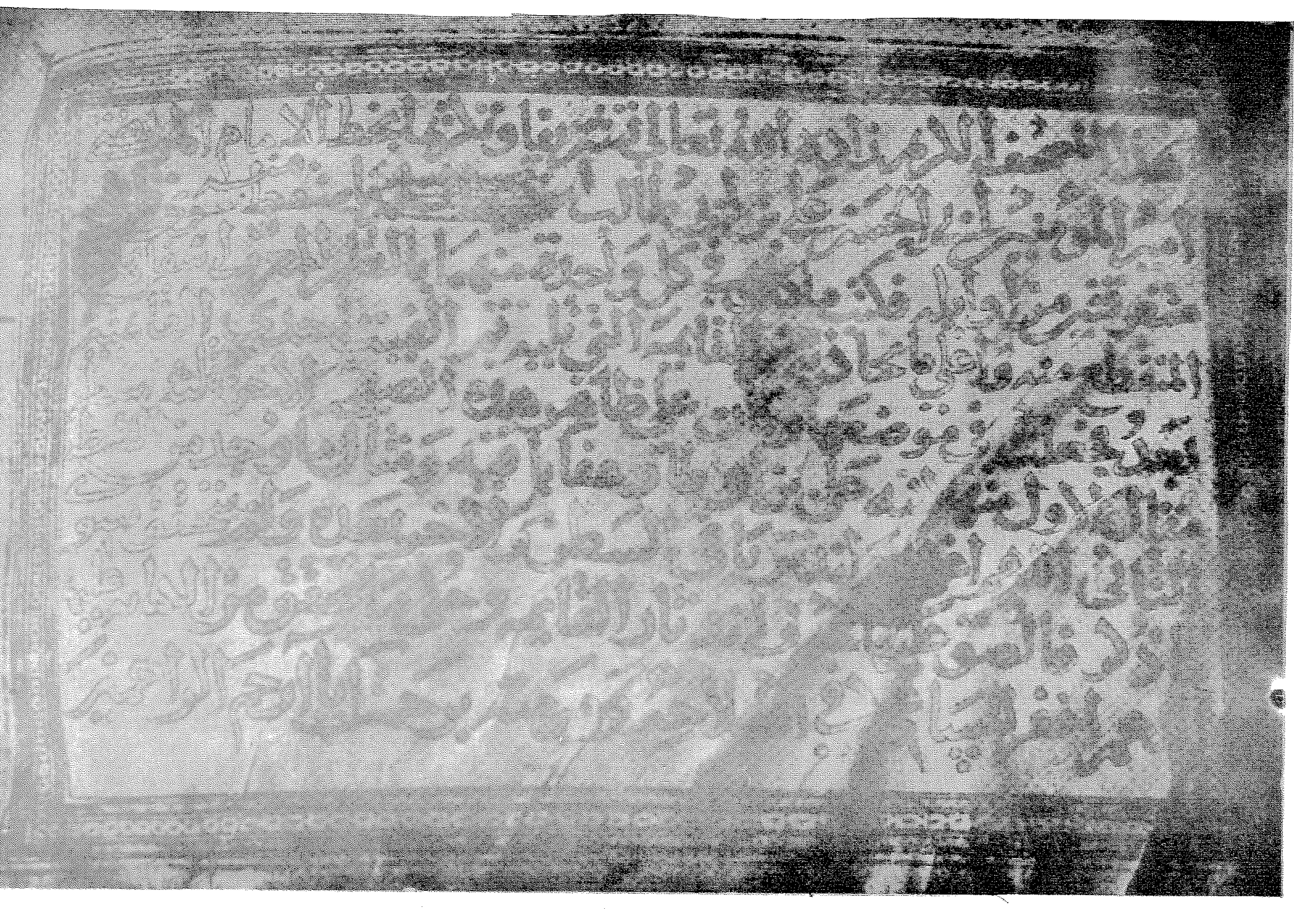
مكحلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومروده

لوحة رقم (١١)



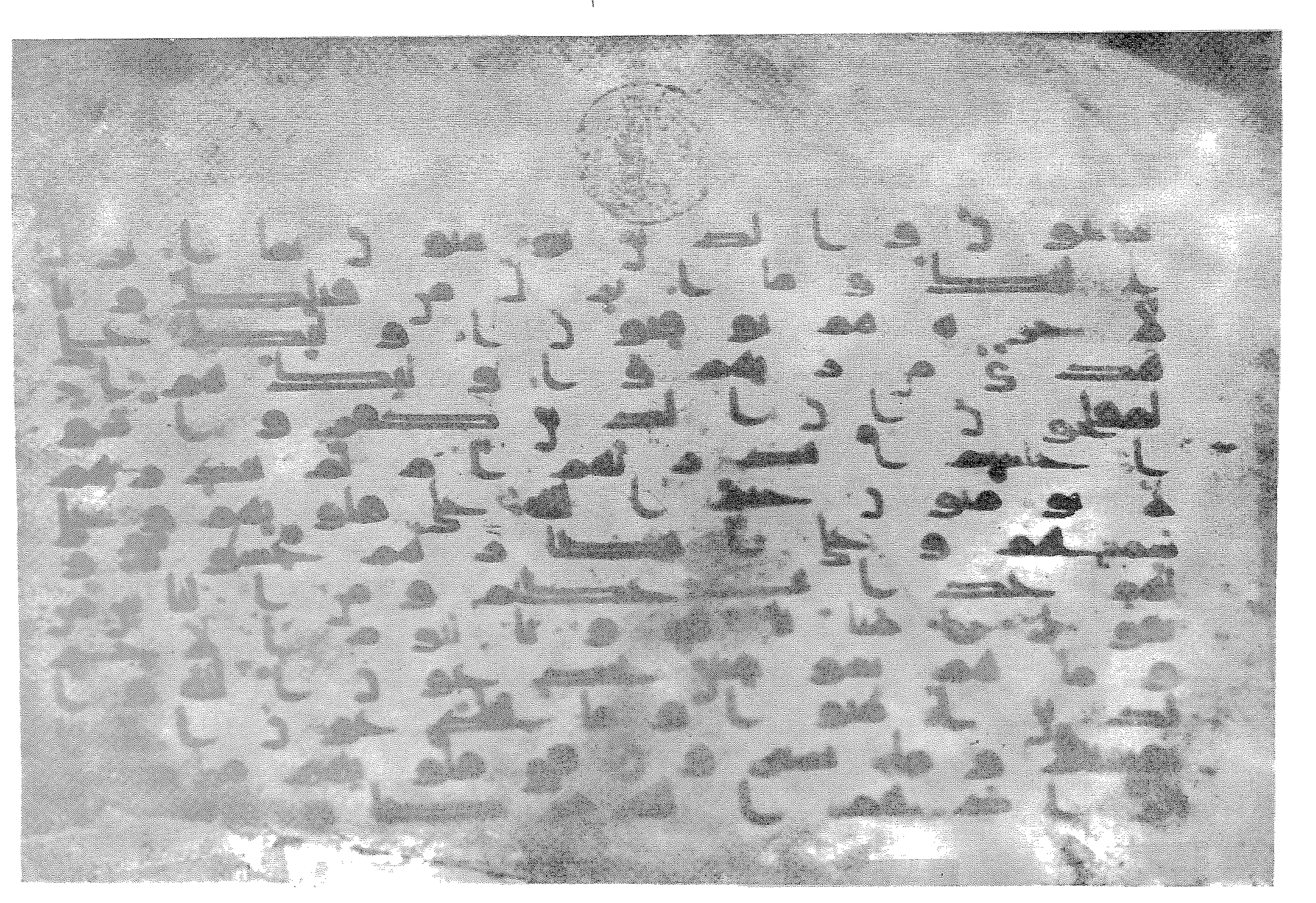
الصفحة الأولى من المصحف المنسوب الى سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه

لوحة رقم (١٢)



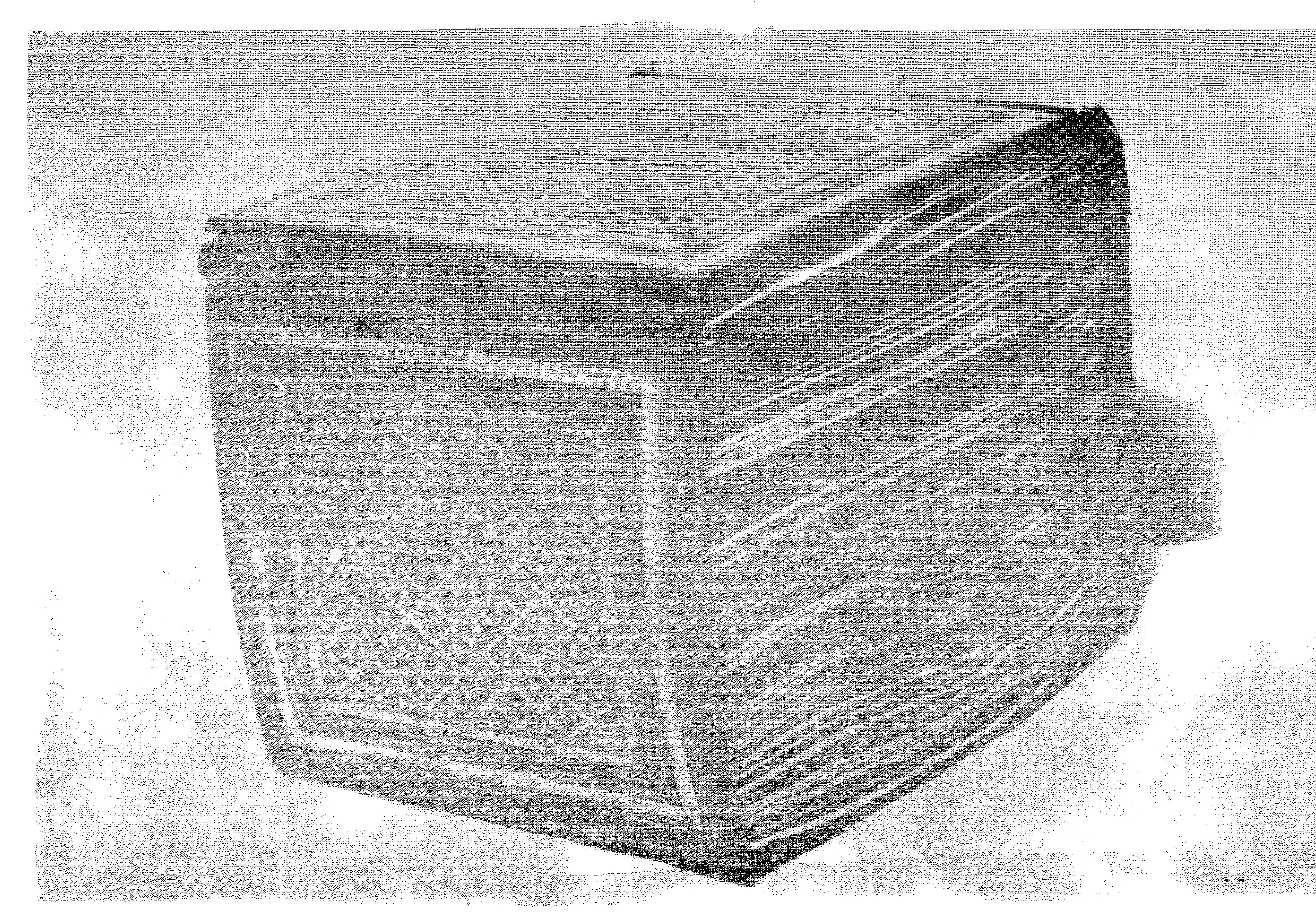
الصفحة الأخيرة من المصحف المنسوب الى سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه

لوحة رقم (١٣)



صفحة من المصحف المنسوب الى سيدنا على ، وقد ظهر على الكتابة نقاط حمراء للدلا لة على الشكل.وأخرى سوداء للدلالة على الاعجام

لوحة رقم (١٤)



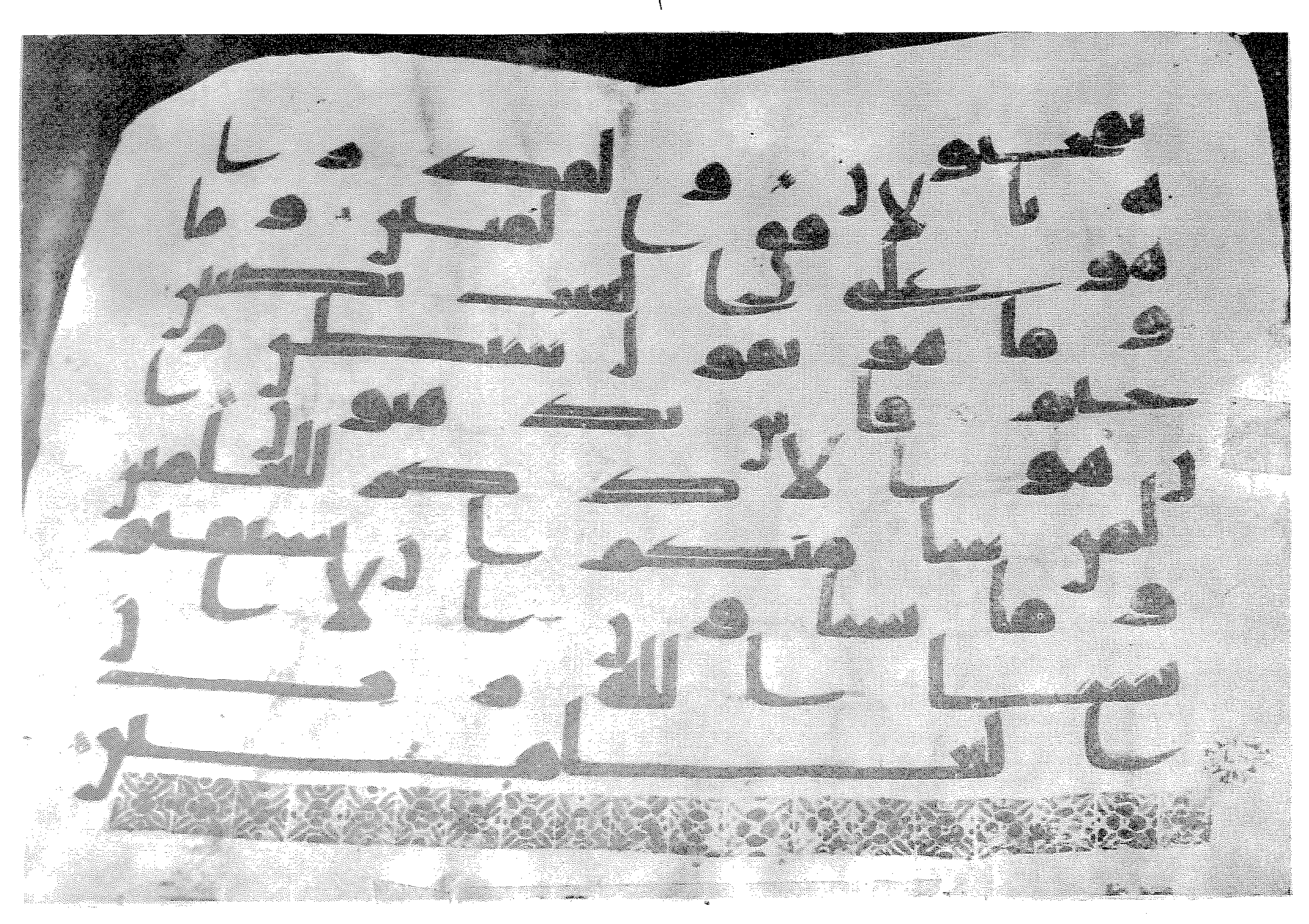
غلاف المصحف المنسوب الى سيدنا على رضى الله عنه . وهو من الجلد المنقوش بطريق الضغط

لوحة رقم (١٥)



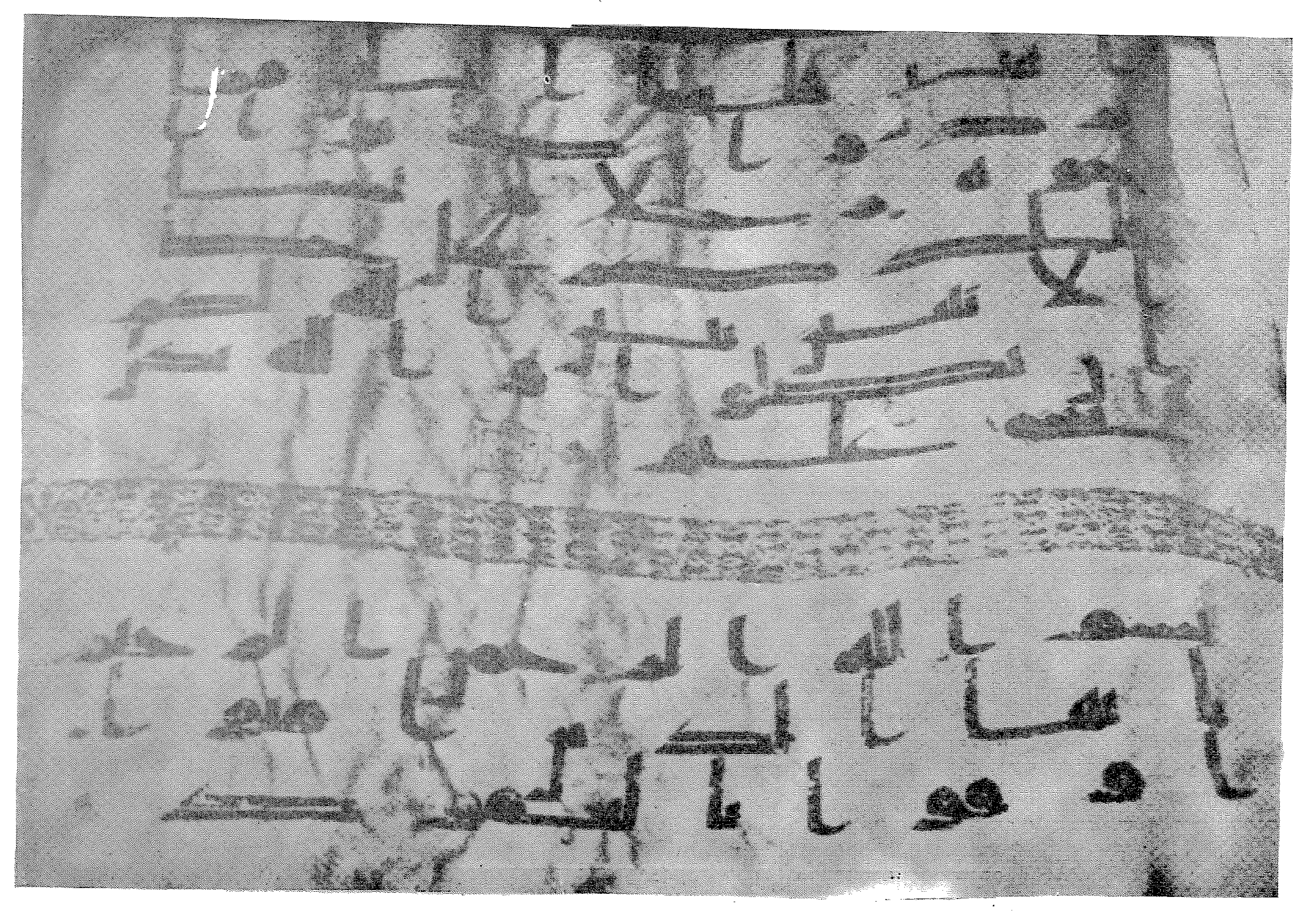
جانب من المصحف المنسوب الى سيدنا علي يبين ارتقاع صفحات المصحف ، وقد طبعت عليه زخارف نباتية مذهبة

لوحة رقم (١٦)



صفحة من المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

لوحة رقم (١٧)



صفحة من مصحف محفوظ بمتحف برلين تشبه المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان بن عفان

لوحة رقم (١٨)



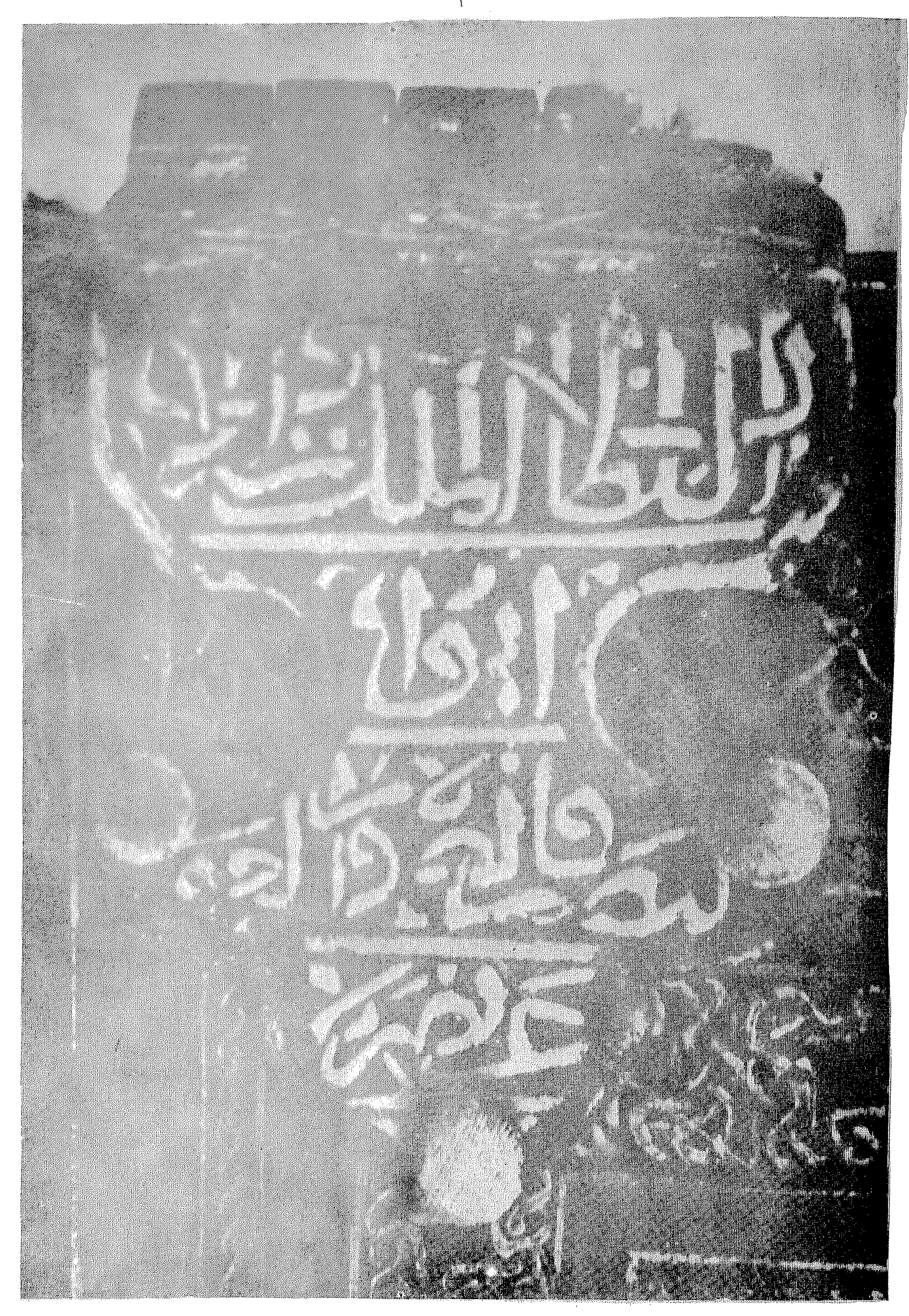
غلاف المصحف المنسوب الى عثمان بن عفان رضى الله عنه

لوحة رقم (١٩)



مفصلة مذهبة لغلاف المصحف المنسوب الى عثمان

لوحة رقم (٢٠)



مفصلة اخرى عليها اسم السلطان قانصـوه الغورى



والموجود مع مخلفات الرسول بمشهد الإمام الحسين رضوان الله عليه بالقاهرة

للدكتورة سعاد ماهر محمد
عميدة كلية الآثار - جامعة القاهرة

كان من توفيق الله أن هيأ من الأسلوب ما أتاح لى أن أعيش بضعة أشهر مع المخلفات النبوية ، فقد طلبت الى وزارة الأوقاف فى سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، أن أكتب عن تلك الآثار الشريفة الموجودة بمشهد الامام الحسين رضى الله عنه .

وكأنما أرادت الأقدار أن تشرفنى مرة أخرى بدراسة بعض المخلفات النبوية التى لم أكن قد تناولتها فى دراستى السالفة الذكر ، الا وهو السيف المحفوظ بمسجد الامام الحسين بالقاهرة الذى كلفتنى وزارة الأوقاف بدراسته . وأنه ليسعدنى أن يكون لى شرف دراسة هذا السيف ، فأملأ العين والقلب منه ، بل واليدين تيمنا به حسا ومعنى .

وقد نهجت فى بحثى ودراستى للسيف السابق الذكر ، المنهج الأثرى والتاريخى ، وعلى ضوء هذين المنهجين استطعت أن أصل الى ترجيح رأى أو قول ، أعتقد أنه أقرب مايكون اتفاقا مع المنطق والواقع .

على أن المتصدى للكتابة عن هذا السيف المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم لابد له أن يتناول بالبحث والدراسة السيوف المتعددة التى تركها الرسول معتمدا فى ذلك على كتب السيرة والمراجع التاريخية ، وذلك من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الفنية والاثرية فقد كان من المفيد بل والضرورى أن تتناول بصفة عامة دراسة تاريخ السيوف التى ترجع الى عصر الرسول وصدر الاسلام من ناحية المواد الخام وطريقة وأماكن صناعتها ومميزاتها التى تفردت بها

أما عن السيف الذى بين أيدينا وموضوع هذا البحث فهو من بين المخلفات النبوية الموجودة بالقاهرة والتى أجمع كل من كتب عنها من المؤرخين (١) على أنها كانت عند بنى ابراهيم بينبع ، والتى قيل أنهم تلقوها بالميراث عن أجدادهم الأولين فى أجيال متعاقبة تمتد الى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وفى القرن السابع الهجرى اشترى هذه المخلفات من بنى ابراهيم ، وزير مصرى اسمه الصاحب تاج الدين من بنى حنا ، ثم نقلها الى مصر وبنى لها رباطا (٢) على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار وسماه ابن دقماق (٣) بالرباط الصاحبى التاجى نسبة الى الصاحب تاج الدين ، ويعرف الآن باسم (أثر النبى) .

ويحدثنا السيوطى (٤) فى القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول: ولم يزل الرباط عامرا مأهولا بالمصلين والزوار حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار الشريفة خوفا عليها من السراق وتغيرت معالمه بتجديد بنائه .

ويضيف المؤرخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولونى فيقول أن السلطان الغورى بنى القبة المواجهة لمدرسته للآثار النبوية . وقد نقل عنه على مبارك (٥) النص التالى : « وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة التى

---

(١) المقريزى فى كتابه الخطط والآثار؛ القلقشندى فى صبح الاعشى ، ابن كثير فى البداية والنهاية والسيوطى فى حسن المحاضرة ؛ على مبارك فى الخطط التوفيقية ، ابن بطوطة فى رحلته .

(٢) الرباط نوع من المبانى العسكرية التى يسكنها المجاهدون الذين يدافعون عن الدين الاسلامى بحد السيف ؛ وكانت الاربطة منتشرة فى صدر الاسلام قبل أن يستتب الأمن وتأمن الدولة الاسلامية على حدودها ولما زالت الصفة العسكرية عن الربط أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٣) الانتصار لواسطة عقد الامصار ص ١٠٢ .

(٤) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٤٨ .

(٥) الخطط التوفيقية جـ ٧ ص ٢٤ .

انشاها بخط الشرابشيين (١) ، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصه الله تعالى من تعظيمها بالآثار النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات » .

وقد بقيت الآثار النبوية بقبة الغورى أكثر من ثلاثة قرون حتى كانت سنة ١٢٧٥ هـ فرئى نقلها الى المسجد الزينبى ، فقد ذكر السيد محمود البيلاوى (٢) « أقول وقد استمرت الآثار النبوية بقبة الآثار الى سنة ١٢٧٥ هـ وبعـد ذلك نقلت الى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وبقيت به قليلا كما أخبرنا بذلك ثقاة الشيوخ الكبراء ثم نقلت بموكب حافل الى خزينة الأمتعة بالقلعة واستمرت بها الى سنة ١٣٠٤ هـ ثم نقلت الى ديوان عموم الاوقاف . وفى سنة ١٣٠٥ هـ نقلت الى سراى عابدين ثم أمر الخديو توفيق باشا أن تنقل الى المسجدالحسينى فأعد لها (مكان) فخيم وهو دولاب جميل الصنع فى الحائط الشرقى للمسجد من الجهة القبلية .

ثم يضيف السيد البيلاوى فيقول : « واستمرت الآثار الشريفة بالدولاب السالف الذكر حتى أمر الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هـ بانشاء قاعة خاصة لمخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقع هذه القاعة وراء الحـائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى للقبة ، وهى باقية فيها الى اليوم »

***

لقد أطنب كتاب السيرة (٣) فى الحديث عن السيوف المنسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذكروا لكل سيف اسما يخصه ، منها البتار والمعصـوب والمخذم والرسوب والحتف . كما كان للنبى سيف يعرف بالقلعى (٤) أصـابه من سلاح بنى قينقاع ، كما كان له كذلك سـيف آخر ورثه عن أبيه اسـمه المعورف (٥) .

---

(١) سوق الشرابشين هو سوق صناعة الخلع الذى عرف فيما بعد بسوق الغورية .

(٢) التاريخ الحسينى ص ٣٦ .

(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والسير .

(٤) نسبة الى قلعة تعرف باسم (كل) توجد شرق الهند فى بنغالة الحالية تشتهر بصناعة السلاح.

(٥) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٨٦ .

وكان أشهر أسياف النبى ذلك الذى غنمه يوم معركة بدر من العاص بن منبه السهمى بن الحجاج وقد مات كافرا فى المعركة . ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا السيف هو السلاح المفضل الذى لايفارقه فى حرب من حروبه . وقد سمى ذلك السيف باسم « ذو الفقار » وذلك لحزوز فيه مثل فقرات الظهر كانت فى وسطه . وقد انتقل « ذو الفقار » بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى على ابن أبى طالب ثم صار لبنيه حتى انتهى الى محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ، فلما خرج على الخليفة أبى جعفر المنصور وأيقن الموت ناوله لرجل من التجار كان له عليه أربعمائة دينار ، وقال « خذه فانك لاتلقى أحدا من آل أبى طالب الا أخذه وأعطاك حقك » فاشتراه منه جعفر بن سليمان العباس لما ولى المدينة ثم أخذه منه الخليفة المهدى وانتقل الى الهادى ثم للرشيد .

ويروى أن الرشيد أعطاه ليزيد بن فريد لما خرج لقتال الوليد بن طريف . واذا صح هذا فلا ريب فى أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته لأنه كان بعد ذلك عند المعتز بن المتوكل .

ومن السيوف التى اشتهرت فى الجاهلية صمصامه عمرو بن معدى كرب ذكره بعض أصحاب السير فيما صار الى النبى صلى الله عليه وسلم من السيوف، كما ذكره فريق آخر على أن عمرا أهداه الى خالد بن سعيد بن العاص عامل الرسول على اليمن .

على أننى لا أجد تضاربا فى الروايتين ، فمن المؤكد أن السيف المعروف بالصمصامة كان يملكه عمرو بن معدى كرب فى الجاهلية ، وهو من السيوف التى ضرب بها المثل فى كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء ، فلما أسلم عمرو أهداه لعامل الرسول صلى الله عليه وسلم — خالد بن سعيد بن العاص — الذى أعطاه بدوره للرسول صلوات الله عليه وبذلك أصبح من سيوفه الكثيرة التى غنمها أو أهديت له .

وتاريخ (١) الصمصامة بعد وفاة الرسول تاريخ طويل لا داعى لذكره ، انما الذى يعنينا فى هذا المقام هو ما ذكره المؤرخ ابن نباتة (٢) فى كتابه « سرح

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٣ ؛ نهاية الأرب ج ١ ص ٢١٣ .
(٢) ابن نباتة : سرح العيون .

العيون » عند الحديث عن أخبار الخليفة العباسي المتوكل على الله ، أن السيف المعروف باسم الصمصامة كان عنده فدفعه الى باغر التركى فقتله باغر به لما غدر به الاتراك ، ومن عند باغر انقطع خبره .

ويقول أحمد تيمور (١) : ثم انتقل الصمصامة كما انتقل ذو الفقار بعد ذلك الى الفاطميين بمصر حتى نهبت خزانة سلاحهم وقسمت بين الأمراء الذين ثاروا على الخليفة المستنصر بالله ، كبنى حمدان وشاور وغيرهما (٢) . ويعلق عبد الرحمن زكى(٣) على نص المقريزى فيقول : « ويحتمل أن تلك السيوف قد وصلت الى الفاطميين عن طريق الشراء من بعض تجار العراق » .

وقد وصف الطبرى الصمصامة بأنها صفحة موصولة من أسفلها مسمرة بثلاثة مسامير تجمع الوصلة .

ومن السيوف المنسوبة للرسول صلوات الله عليه السيف المعروف باسم العضب كان قد أعطاه اياه سعد بن عبادة (٤) . وكان سعد صحابيا انصاريا وكان نقيب بنى ساعده ، ذكره بعض كتاب السير فيمن شهد بدرا « ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن أسحق فى البدرين ، وذكره فيهم الواقدى والمدائنى وابن الكلبى .

وهو صاحب راية الانصار فى المشاهد كلها ، ويصفه ابن الأثير فيقول كان وجيها فى الانصار ذا رياسة وسيادة وكان سيدا جولدا يعترف قومه له به . وكان يحمل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، كل يوم جفنة مملوءة ثريدا ولحما تدور معه حيث دار ويقال لم يكن فى الأوس ولا فى الخزرج أربعة يطعمون يتوالون فى بيت واحد الا سعد ابن عبادة ، وله ولأهله فى الجود أخبار حسنة .

وقد نظم عبد الحى بن شمس (٥) الأفاق أبو المكارم عبد الكريم الفاس ، أحد الشعراء القدامى سيوف الرسول فى ثلاثة أبيات من الشعر قال :

---

(١) احمد تيمور : الآثار النبوية ص ٢٦ .
(٢) المقريزى : الخطط والآثار جـ ١ ص ٤١٧ (بولاق) .
(٣) الدكتور عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الاسلامى ص ٤١ .
(٤) ابن الأثير : أسد الغابة (حرف السين) .
(٥) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٨٦ .

لها دينا من الاسياف تسع	رسوب والمخذم ذو الفقار
قضيب حتف والبتار عضب	وقلعى ومأثور الفجـــار
وحكمتها تناسب آى موسى	وكل للعــدا سبب البوار

من هذه الأبيات يتبين لنا أن عدد سيوف الرسول التى عرفت واشـــتهرت فى التاريخ بأسمائها تسعة ، ومن بين هذه الاسياف المشهورة السيف الذى ورد فى كتب السيرة ان الصحابى سعد بن عبادة قد أهداه للرســول صــلى الله عليه وسلم وهو الذى عرف باسم العضب •

والعضب (١) ، معناه السيف القاطع البتار ، كما يقال للشاة عضباء اذا انكسر قرنها أو شق اذنها • وكانت للرسول صــلى الله عليه وســلم ناقة تلقب بالعضباء لنجابتها لا لشق أذنها • وليس من المستبعد أن تكون الناقة قد سميت بهذا الاسم بعد أن أهدى الى الرسول صلوات الله عليه ، السيف العضب البتار ، فأطلق عليها صفته لجودته وحدته وشهرته •

ومن المعروف أن بعض الآثار النبوية (٢) ومخلفات بعض الخلفاء والصحابة محفــوظة فى متحف طوب قابو سراى فى اســـتانبول • ويعـــلق على ذلك عبد الرحمن (٣) زكى فيقول : ولا ندرى مدى احتمال نسبتها الى أصحابها •

أما عن كيف وصلت هذه المخلفات النبوية الى تركيا ، فيقول بعض مؤرخى الدولة العثمانية ، أن تلك الآثار كانت عند أمراء مكة وقيل أن الشريف بركات أمير مكة بعث بها الى السلطان سليم الأول مع ولده ابن نمى فحملها السلطان الى الاستانة •

وذهب فريق آخر من المؤرخين الى القول بأنها كانت لدى الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان سليم من المتوكل على الله محمد بن يعقوب آخر الخلفاء العباسيين بمصر •

واذا تتبعنا تاريخ صناعة السيوف فى العصور القديمة ، لوجدنا أن الهند كانت من أقدم بلدان العالم التى عرفت الحديد ، كما أنها كانت من أوائل الدول

---

(١) المصباح المنير : حرف العين •
(٢) الآثار النبوية ص ٧٣ •
(٣) السيف فى العالم الاسلامى ص ٤٢ •

التى عرفت الافادة منه وخاصة فى صناعة الصلب الذى استعمل فى صناعة النصال (١) على أنه يبدو أن العصر الذهبى لصناعة الحديد فى الهند كان فى العصور الوسطى الأولى وخاصة فى القرنين الخامس والسادس الميلادى . فقد أطنبت المراجع التاريخية فى ذكر ما بلغه صناع الصلب فى الهند ومدى ما وصلوا اليه من الدقة والاتقان فى هذه الصنعة حتى أصبح الصلب مادة طيعة فى أيديهم فشكلوها حسب رغباتهم . ولعل خير ما يؤيد ما ذكره المؤرخون من علو منزلة الصناع الهنود فى هذا الميدان ، الأعمدة الحديدية القائمة فى أهم ميادين دهلى ونيودهلى ، ونذكر منها العمود المعروف باسم (Lat) (٢) فى مدينة دهلى بالقرب من (قطب منار) الذى لم يظهر عليه أية آثار للصدأ رغم مرور ١٥٠٠ عام تقريبا على صنعه (٣) .

وكانت الهند طوال العصور الوسطى مصدرا هاما لحاجيات أسواق الشرق الأوسط من الحديد الصلب ، فقد أجمعت المصادر التاريخية على أن النصال الدمشقية كانت تصنع من حديد مناجم كوناساموزدروم Kona Samusdrum فى حيدر اباد ، وكان ينقله الفرس الى دمشق ، وكانت دمشق تعتنى بانتقاء الخامة الجيدة ويغسلونها ويحمصونها أحيانا ثم يوقد عليها بالفحم الخشبى فى أوان من الفخار ثم يتركونها لمدة طويلة لتبرد ببطء ، وبعد ذلك تبدأ عملية الطرق والتسقية وغيرها من العمليات ، ليصنعوا منها النصال الجيدة ، ويضيف Goodale فيقول : « وكان الخليط الذى يصنعونه من الحديد يحتوى على قليل من عناصر غير فلزية مثل الكبريت والفوسفور والسليكون كما يحتوى على قليل من النحاس الأحمر (٤) .

وجاء فى كتاب صناعات دمشق القديمة (٥) ، أن دمشق كانت تستورد الفولاذ الهندى الذى يحتوى على قليل من الالومين والسلكا ، لتصنع منه النصال الكريمة التى اشتهرت بشدة صلابتها ومرونتها وفرندها البديع الشكل

---

(١) احمد تيمور ص ٧٣ ؛ عبد الرحمن زكى ص ٤٢ .

(٢) Goodale : Chronology of Iron and Steel p. 15. _

(٣) وجاء فى وصف هذا العمود فى كتاب السيف فى العالم الاسلامى ص ٧٢ مايلى : هـذا ـ العمود عبارة عن قطعة من الحديد الصلب المطاوع تزن حوالى (١٧) طنا وتفصل ثمانين قدما مكعبا من المعدن وقطر العمود حوالى ٤٢ سم فى القمة الى ثلاثين سم .

Krishman : Indian Minerals vol. VI pp. 114-115.

(٤) Goodiale : Chronology of Iron and Steel p. 26.

(٥) عيسى اسكندر معلوف : صناعات دمشق القديمة ص ٢٨٨ (المجمع العلمى العربى) .

واللون • ويضيف عيسى اسكندر المعلوف فيقول : وقد عرف الجوهر الدمشقى باسم الحناوى أو الحنون •

ويذكر المؤلف الكندى (١) السيوف الدمشقية عند حديثه عن أنواع السيوف ومميزات كل منها فيقول : عرفت السيوف الدمشقية بجودتها منذ القدم وامتازت نصالها بقطعها الجيد اذا كانت على سقايتها الأصلية • والسيوف الدمشقية أقطع السيوف المولدة •

أما عن شكل السيوف ، فتحدثنا المراجع (٢) على أن السيف المستقيم كان هو السيف السائد بين أسلحة الحضارات القديمة ، وان هذا السيف استعمل فى شبه الجزيرة العربية زمن الجاهلية وفى صدر الاسلام • وتنقسم السيوف المستقيمة عند المسلمين الى نوعين ، سيوف مستقيمة ذات حد واحد وسيوف مستقيمة ذات حدين •

ويضيف الكندى فيقول ، وتنسب السيوف المستقيمة الى صدر الاسلام : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوشح بالسيف فى عنقه بواسطة حماله (٣) وذلك على الطريقة العربية المتبعة فى عصره •

ويقول عبد الرحمن زكى (٤) : ان السيوف الاسلامية التى وصلت الينا والتى تنسب الى الحقبة الأولى أى صدر الاسلام قليلة ربما لايتجاوز عددها خمسة سيوف محفوظة اليوم فى متحف طوب قابو سراى فى استانبول ، ومن أهم هذه السيوف ، سيف مستقيم النصل ينسب الى الصحابى سعد بن عبادة •

وقد امتازت النصال الاسلامية على غيرها من سيوف العالم القديم والوسيط بظاهرة فنية تعرف باسم جوهر السيف أو فرندة (٥) ولم يقتصر المسلمون على

---

(١) يعقوب بن اسحق الكندى : السيوف واجناسها (مخطوطة بدار الكتب رقم ٩٢٢٣ ادب مكتبة ليدن بهولندا رقم ٢٨٧ انظر أيضا عبد الرحمن زكى : السيوف واجناسها فى رسالة الكندى ـ مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ج ٢ ديسمبر ١٩٥٢ ص ١ ـ ٣٦ •

(٢) Cowper : The Art of Attack p. 128.

(٣) الزرقانى : شرح المواهب ج ٤ ص ٣٣٥ •

(٤) السيف فى العالم الاسلامى ص ١٢٤ •

(٥) يقول الجواليقى فى كتابه المعرب ص ٢٤٣ : الفرند فارسى معرب وهو جوهر السيف وماؤه طرائقه •

لفظى الجوهر والفرند كناية عن مميزات نصالى سيوفهم بل تعددت الألفاظ ، مثل الأثر والسفسقة •

ويشرح لنا الدكتور عبد الرحمن زكى (١) معنى الجوهر أو الفرند من الناحيــة الفنيــة فقول : الفرند فى اصطلاح صناعة السيوف عبارة عن تموجات ترى على صفحات النصال على شبه عقد متناسقة متقاربة متلاصــقة ، أو كبقع يستدير بها خانات متعددة تخال لعين الرائى أنها مؤلفة من ألوف الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعدن آخر يختلف عنها لونا (شكل ٤) • ويضيف عبـد الرحمن زكى فيقول : وربما ظهرت تلك التموجات متراكبة بعضها فوق بعض ؛ ومنظمة مع كثرتها على هيئة اشكال هندسية ذات ترتيب أنيق واحكام بديع •

ويقسم عبد الرحمن زكى الجوهر الى أربعة أنواع مشهورة . هى الدمشقى أو الشامى والايرانى والهندى والارناؤدى • وقد تناول كل نوع من تلك الأنواع الأربعة وتكلم عن مميزاته . ويهمنا فى مجال سيوف الرسول صلى الله عليه وسلم أن نعرف مميزات الجوهر الدمشقى الذى يعرف أيضا باسم الجوهر الحنون •

ومن أهم خصائص الجوهر الدمشقى انه يمتاز بأشــكال بقعه الهندسية المحكمة كتموجات رائعة (شــكل ١ ، ٢) • كما يمتاز باشراق لونه المــائل الى البياض مع عدم قبوله للصدأ كسائر أنواع الجوهر• كذلك يمتاز بلينه ولدانته ، مع نعومة حبوبه المتقاربة المسام وذات لون رمادى مائل الى البياض (شكل٣) • والجوهر الدمشقى اذا طرق نصله Tempered أو أعيد تحضيره watered ظهر فيه الجوهر حسنا بخلاف غيره من الجواهر الأخرى •

أما عن مقبض السيوف الاسلامية القديمة فقد كان بسيطا وكثيرا ما يكون من الخشب ويندر أن يصل الينا مقابض للسيوف الاسلامية القديمة لأنها كانت تستبدل بمقابض أخرى عندما تقع غنيمة أو يصيب التلف بعض أجزائهــا • وفى أسفل المقبض توجد حديدة معترضة على الغمد تعرف باسم الواقية شكل (٤) ، وأبسط وأقدم أشكال الواقعية ما كانت على هيئــة صليب ولذلك ســميت فى الانجليزية Cross-Guard وكان طــرفا الواقيــة فى الســـيوف الاســلامية القديمة يتجهان الى أسفل (لوحة رقم «٢») •

---

(١) السيف فى العالم الاسلامى ص ١٦٦

وصف السيف

وبدراسة السيف المنسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، من الناحية الأثرية والفنية يتبين لنا أولا انه يتكون من لصل مستقيم ذى حدين يبلغ طوله ١٢٥ سم وعرضه فى أعرض أجزائه ٤ سم وذلك عند الواقية وعرضه فى الوسط ٣ سم وعند طرفه المدبب يبلغ عرضه ٧٥ر سم لوحة رقم (١) ٠

وبفحص النصل بالمعمل الكيميائى قسم الصيانة بمصلحة الآثار : اتضح لنا أنه مصنوع من الصلب الهندى الذى يتكون من الحديد المعروف باسم Magnetite ويرجح أن يكون من صناعة دمشق للاسباب التى سيرد ذكرها فى التقرير المعملى ٠ ويمتاز فرلد النصل باحتوائه على تنميش Etching شكل (١) الذى يعرف Damask Pattern كما ظهر بالفحص وجود تجويفات حادة (أو شق) فى بعض أجزاء النصل لتيجة استعماله فى المعارك ٠

ومقبض السيف بسيط ويتكون من الخشب ومثبت فى نهاية النصل بواسطة ثلاثة مسامير وفى نهاية المقبض توجد الواقية وهى على شكل صليبى يتجه بطرفيه الى أسفل (لوحة رقم «٢») ٠

والسيف محفوظ فى غمد من الخشب المغلف بغلاف من الجلد الرقيق (لوحة رقم «١») طبع على طرفه المدبب زخارف وكتابات بماء الذهب ، وأسلوب الزخارف وكذا الكتابة يؤكد على أنه ليس الغمد القديم بل انه مستحدث ويرجع الى القرن التاسع أو العاشر الهجرى أى انه صنع فى العصر المملوكى وليس من المستبعد أن يكون السلطان الغورى هو الذى جدد الغمد كما جدد غلاف المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان عندما نقل مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم من رباط الآثار الى قبته التى بناها أمام مدرسته بحى الغورية لوحة رقم (٣ ، ٤) ٠

ونص الكتابة على أحد الجوانب (لوحة رقم «٣») .

ونص الكتابة على الجانب الثانى (لوحة رقم «٤») .

وبفحص السيف بالمجهر المكبر (الميكروسكوب الثنائى العينية) تبين وجود نص من الكتابة العربية محفورة على أحد جوانب النصــل ، ظهر بوضوح أنها محفورة فى معدن السيف ولها نفس قدمه حيث ظهر وجود الصدأ وتأثر المعــدن بفعل الزمن ويبلغ طول هذه الكتابة ٥ر٣ سم .

وبدراسة أسلوب خط الكتابة تأكد لدينا أنها مشتقة من الخط النبطى أصل الكتابة العربية ، فهو يشبه الى حد ما أسلوب خط نقش حران المؤرخ سنة ٥٦٨م آخر مراحل الانتقال من الخط العربى الحجازى ؛ وان كان خط السيف متطور بعض الشىء ، كما يشبه الخط المحفور على شاهد القبر الذى عثر عليه فى أسوان ويرجع اليه سنة ٣١هـ/٦٥٠م وان كان خط الشاهد أكثر تطوراً من خط السيف (شكل) وعلى ذلك يمكن ارجاع أسلوب خط السيف الى الفترة الزمنية التى تقع بين التاريخين ، أى اننا نستطيع تأريخ أسلوب الخط الى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ١٠ هـ/٦٢٩م .

ويمكن قراءة النص كالآتى : ـ (محمد رسول الله من سعد بن عبادة) ـ (شكل «٤») .

ولذلك فاننى أستطيع القول بأن السيف يرجع الى عصر الرســول ؛ ومن المرجح أن يكون هو السيف الذى أهداه سعد بن عبادة الانصارى للرسول صلى الله عليه وسلم ، والذى سمى بالعضب نسبة الى الشــق الموجود به الذى سبق الاشارة اليه .

وفيما يلى التقرير المعملى الذى قام به الدكتور صالح أحمد صــالح مدير مركز دراسة وصيانة الآثار المصرية .

أولا : الفحص الأولى :

عند فحص سـطح المعدن بعدسـة تكبير صغيرة ظهرت بعض منـاطق بلون رصاصى فاتح يعطى تأثير الطلاء بالفضة وباقى سطح المعدن غير لامع ولا يظهر عليه مثل هذا التأثير ، حيث توجد طبقة رقيقة على السطح تختلف فى سمكها وفى لونها من مكان لآخر حيث تلاحظ وجود اللون الأحمر الدموى والأصفر والبنى وكلها لمواد من ناتج صدأ الحديد ، وظهرت بوضوح أيضا فى بعض أجزاء حافة النصل تجويفات حادة الجوانب نتيجة لتقابل السيوف فى القتـال مما يؤكد أن السيف سبق استخدامه فى معارك ؛ كذلك تبين بالفحص وجود نص من الكتابة العربية على أحد جوانب السـيف محفورة فى السطح .

ثانيا ـ الفحص بالميكروسكوب ثنائى العينية :

وبفحص السـيف بالميكروسـكوب المذكور تأكد من عدم وجود أى آثار لطلاء الفضة وأن المناطق التى أعطيت هذا الايحاء لم تتكون عليها نواتج صـدأ وبقيت على ما يقارب حالتها الأولى بعـد التصنيع والتلميع ، أما باقى السـطح فتغطيه نواتج الصدأ وظهرت بوضوح تام بلوراتها المختلفة الشكل واللون منهـا بلورات شفافة بلون أحمر بلون الدم وبلورات غير شفافة بلون بنى وآخر أصفر، كما يوجد العديد من بلورات المواد الترابية التى من أهمها بلورات السيلكا ، ومعدن السيف فى حالة جيدة جدا من الحفظ باستثناء طرف مقدم النصل حيث يظهر بوضوح التآكل وضعف المعدن وكثافة الصدأ .

كما تم فحص الكتابة الموجودة على أحد جانبى النصل وظهر بوضوح أنهـا محفورة فى معدن السيف ولها نفس قدمه حيث ظهر وجود الصدأ وتأثير المعدن بفعل الزمن على حواف الحروف ، وقد تم تصوير النصل لتسـهيل مهمة قراءته وقد تم أخذ عينة من على سطح السيف لدراسة مكونات نواتج الصـدأ وكذلك للتأكد من وجود الطلاء من عدمه وذلك بقشـط السـطح بمشرط حاد ، كذلك أخذت عينة من طرف النصل حوالى ٢×١ مم وتمثل المعـدن وما عليه من نواتج الصدأ وذلك لاتمام عملية الفحص والتعرف على مكونات السبيكة وخواصها .

ثالثا ــ التحليل الكيماوى :

نظرا لضآلة العينة المأخوذة فقد أمكن تحليل العينة تحليلا كيفيا فقط للتعرف على المعادن المكونة للسبيكة وكذلك نواتج الصدأ دون النظر لنسبها المئوية ومن ثم أمكن الوصول الى النتائج التالية :

	السبيكة	نواتج الصدأ
الحديد	20 + ve	5 + ve
الفضة	— ve	— ve
القصدير	— ve	— ve
الزنك	— ve	— ve
الرصاص	+ ve	+ ve
النيكل	+ ve	+ ve
المنجنيز	+ ve	— ve
الكروم	+ ve	— ve

وهذه النتيجة تؤكد بوضوح عدم وجود طلاء بالفضة بسطح السيف وان وجود معادن أخرى ومن أهمها النيكل ولو بنسبة ضئيلة تعطى للسبيكة صلابة خاصة فى حين أن وجود معادن مثل الكروم والمنجنيز لها أهمية فى تحسين بعض الخواص الطبيعية مثل المرونة للسبيكة •

رابعا ــ التحليل والدراسة بالأشعة السينية :

(أ) نواتج الصدأ :

وبكمية غاية فى الصغر من مادة الصدأ أمكن أخذ فيلم بالأشعة السينية لها وبعد حساب الانعكاسات واستخراج النتائج أمكن التعرف على المكونات التالية مرتبة طبقا لنسبة وجودها :

١ ــ بيتاهيماتيت المائية B. Hydrohematite B-FE ooH

٢ ــ الجوشيث Goethite H Fe °2

٣ ــ السيلكا Quartz Si °2

وآثار ضئيلة من بعض المعادن الموجودة بالمواد الترابية ، والمركبين الاولين من المركبات الخاصة بصدأ الحديد ولم تظهر نواتج صدأ للمعادن الاخرى نظرا لضآلة نسبتها فى السبيكة ، والجوثيت هو المركب الذى ظهر على سطح المعدن فى صورة بللورات شفافة حمراء اللون فى حين تختلف لون وشكل مركب البيتاهيماتيت المائية وان كان يغلب عليه لون البنى فى شكل بللورات معتمة غير واضحة الشكل •

(ب) السبيكة المعدنية :

ومن ابرة صغيرة أقل من المليمتر فى العرض وحوالى المليمتر فى الطول أمكن تثبيتها فى كاميرا الاشعة السينية وتم تسجيل الانعكاسات الصادرة منها على فيلم أشعة وبعد القياس واستخراج النتائج أمكن الوصول الى أن تركيب السبيكة يشابه الى حد كبير سبيكة الصلب المحتوى على نسبة ضئيلة من الكربون ونسب ضئيلة من المعادن الأخرى مثل النيكل والكروم والمنجنيز •

كذلك تميزت الوحدة الأساسية Unit Cell للتركيب البللورى للسبيكة بتغير واضح فى أبعادها الثلاثة عن معدن الحديد نتيجة لوجود المعادن الاخرى التى تؤدى الى تحسين مواصفات السبيكة ، والمعروف ان مثل هذه المعادن تضاف حاليا بنسب مختلفة لانتاج سبائك الصلب المتنوعة المواصفات وللاغراض التى تتطلب مثل هذه المواصفات وان كان يعتقد أن وجود مثل هذه المعادن فى السبيكة جاء بطريق المصادفة حيث أن صناعة سبائك الصلب بالمعنى المعروف حاليا لم تكن معروفة فى ذلك الوقت وان كان هذا لاينفى تمتع سبيكة السيف بخواص سبيكة الصلب المحتوى على نسبة ضئيلة من الكربون •

خامسا ـ الفحص بالميكروسكوب المعدنى للتركيب السطحى للسبيكة :

بعد ازالة نواتج الصدأ على العينة بواسطة حامض الايدروكلوريك المخفف مع التسخين وبعد غسلها جيدا أمكن تثبيتها على شريحة زجاج ومن ثم تلميعها وفحصها تحت الميكروسكوب المعدنى لدراسة تركيب وشكل حبيبات السبيكة وقد ظهر هذا الترتيب فى صورة خطوط ضيقة متوازية بطول السطح وحبيبات دقيقة مستديرة منتشرة بين الخطوط الطولية ، وهذا التركيب من التركيبات النادرة والمسماة باسم البيوليت Pearlite : كذلك ظهر على سطح السبيكة

قبل التلميع نمط خاص من التنميش Etching Battern وهذا التنميش كان ظاهرا عند فحص سطح السيف نفسه سـواء بالعدسة أو بالميـكروسكوب ثنائي العينة •

سادسا ـ مناقشة النتائج :

من التحاليل والدراسات التي أجريت يظهر أن نوع السبيكة المصنوع منها السيف هي من النوع المعروف حاليا باسم سبيكة الصلب المحتوية على نسـبة ضئيلة من الكربون Low-Carbon Steel ومثـل هـذا النـوع من السبيكة يحتوى على نسب متفاوتة وان كانت صغيرة من المعادن الاخرى طبقا للمواصفات المطلوبة ، ومن هذه المعادن الكروم ، النيكل ، والمنجنيز وبعض العناصر الغير فلزية مثل الكبريت والفوسفور والسليكون •

وبمقارنة ذلك بالنتائج التي تم الوصول اليها نجد أن سبيكة السيف تحتوى على مثل هذه المكونات والمعلوم أن صناعة الصلب بمعناها المعروف حاليا بدأت في أواخر القرن التاسع عشر ـ حوالي سنة ١٨٩٠م •

ومما لا شك فيه أن صناعة الحديد بالنوع المعروف حاليا باسم الحـديد المطاوع وصناعة سبيكة الصلب وخاصة المستخدمة في تشغيل الادوات والأسلحة عرفت من قديم الزمن في بلاد عديدة ، وقد اختلف المؤرخون في تحـديد موعد بدئها في كل من هذه البلاد وان كان يمكن القول بأنه مابين القرن الخامس عشر الى القرن الخامس قبل الميلاد ازدهرت هذه الصناعة في بلاد بعينها وان كانت الصناعة لم تكن مقصودة بذاتها أو مفهومة للصانع وذلك لأن المعالجات الخاصة بالحديد المطاوع سواء الحرارية أو التقسية والسقي والتلميع تتم للوصول الى مواصفات أفضل طبقا للاستخدامات ، وكانت اضافة الكربون للحـديد المطاوع للحصول على الصلب تتم أثناء المعالجة الحرارية دون علم أو فهم من الصـانع نفسـه وبالنسبة للعناصر الفلزية فلم يكن في الغالب للصانع أي دخل في وجودها في ذلك الوقت وكانت تعتمد على الشوائب الموجودة في خامة الحديد المستخدمة والتي تميز سبيكة عن أخرى طبقا لخام المنطقة أو البلد التي تصنع فيها السبيكة

وابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد كانت الهند من أهم البلاد التي تصنع الصلب وكذلك الصين وارمينيا ، وكانت سبائك الهند بالذات تصل في صورة

أقراص يبلغ قطرها حوالى ٥ بوصات ـ وسمكها نصف بوصة وتزن حوالى ٢ رطل وكان يطلق عليها أقراص ووتز Wootz Cakes الى سوريا واليمن وبعض البلاد الإخرى حيث توجد مراكز التعدين ومن أشهرها دمشق التى اشتهرت بصناعة السيوف حيث كانت تجرى عمليات اعادة صهر هذه الاقراص وتشغيلها وتشكيلها بعد العديد من العمليات المعقدة ، والخاصة بالمعالجات والتقسية والسقى والتلبيع والتنييش Etching والاخيرة تعطى السطح نمط خاص من التنميش عرف باسم Damask Pattern هذا ويدل النمط ولون السبيكة على درجة جودة السيف ؛ وكان هذا النوع من الصلب يعرف باسم الفولاذ الدمشقى Damascened Steel

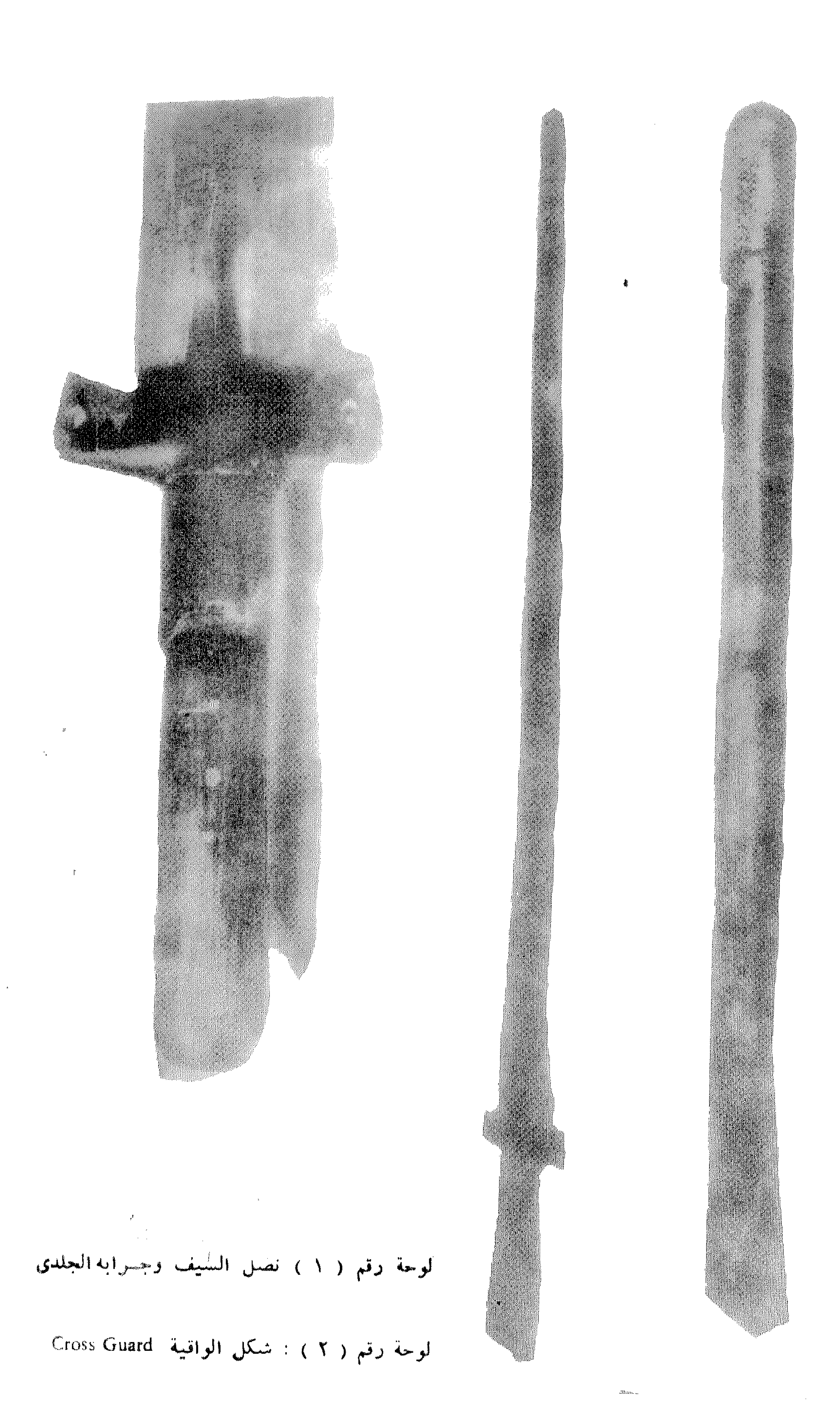
وبمقارنة التركيب الحبيبى لسبيكة السيف وتركيب بنيتها والنمط الخاص بها بما يقابلها بما عرف عن الفولاذ الدمشقى فانه يمكن القول أنه ربما كانت هذه السبيكة تنتمى الى مثل هذا النوع من الصلب •

وحيث أن خام الحديد الذى يصنع منه الصلب فى الهند هو من النوع المعروف باسم المجنيتيت Magnetite وهذاالاخير يحتوى فى كثير من الاحيان على العناصر الفلزية مثل التى وجدت فى سبيكة السيف بعكس الخامات الاخرى بالمناطق الاخرى • وهذا يرجح صناعة السبيكة بالهند • أما بالنسبة لصناعة السيف فانه لما سبق ذكره يرجح أن يكون فى دمشق •

ولم يكن ممكنا تقدير عمر السيف حيث أن الطريقة الميسرة لهذا النوع من الدراسة هى طريقة الكربون ـ ١٤ المشع والتى تتطلب أن تكون العينة من المواد العضوية أو ذات الاصل العضوى ، ورغم أن مقبض السيف عليه كسوة من الخشب الا أنه اتضح انها مجددة وحتى فى حالة وجود الكسوة الأصلية فانه لا يمكن اجراء مثل هذه الدراسة لانها تتطلب عينة كبيرة ستؤدى فى هذه الحالة الى تشويه المقبض •

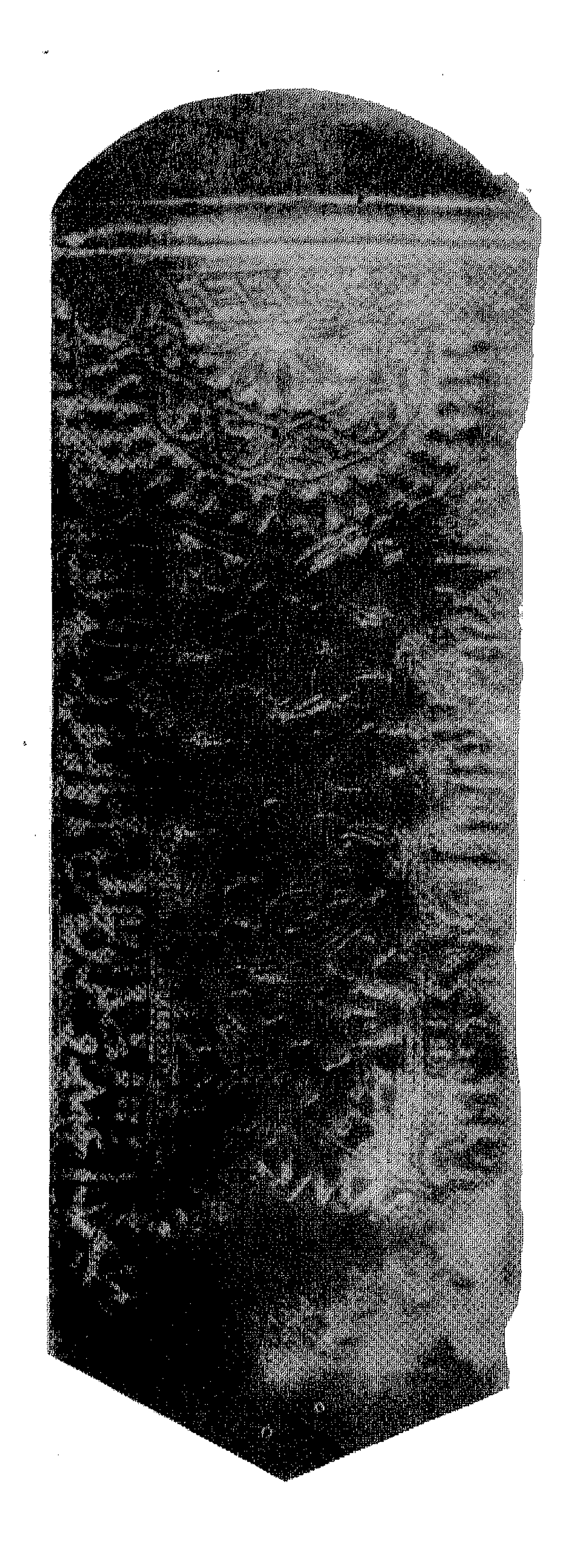
ولهذا فانه يمكن الاعتماد على النص من الكتابة العربية المحفور على سطح النصل والموجودة صورته بالتقرير لتحديد عصر الكتابة وبالتالى الى عصر السيف •

ومن ثم فاننا نستطيع ان نخلص الى رأى راجح وهو نسبة هذا السيف الى سعد بن معاذ الذى أهداه الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء فى كتب السيرة •



لوحة رقم (١) نصل السيف وجرابه الجلدى

لوحة رقم (٢) : شكل الواقية Cross Guard



لوحة رقم (٣) : يبين احـد وجهى الجراب الجلدى للسيف



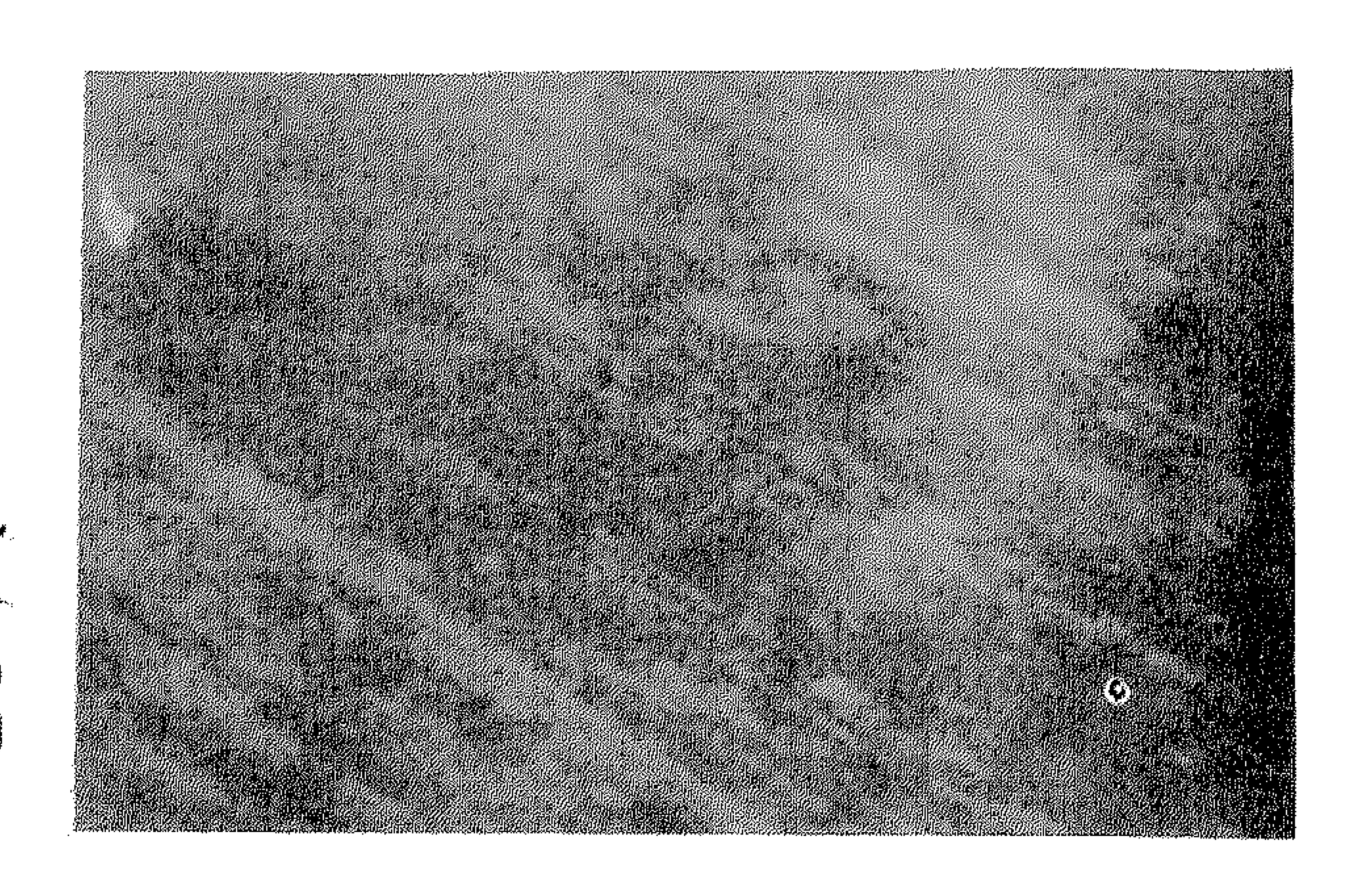
لوحة رقم (٤) : يبين الوجه الثانى لجراب الجلدى للسيف

(أ) : انعكاسات الأشعة السينية لصلب حديث من نوع Low-Carbon Steel والمحتوى لنسب مقارنة للنسب التي تحتويها سبيكة السيف من الفلزيات

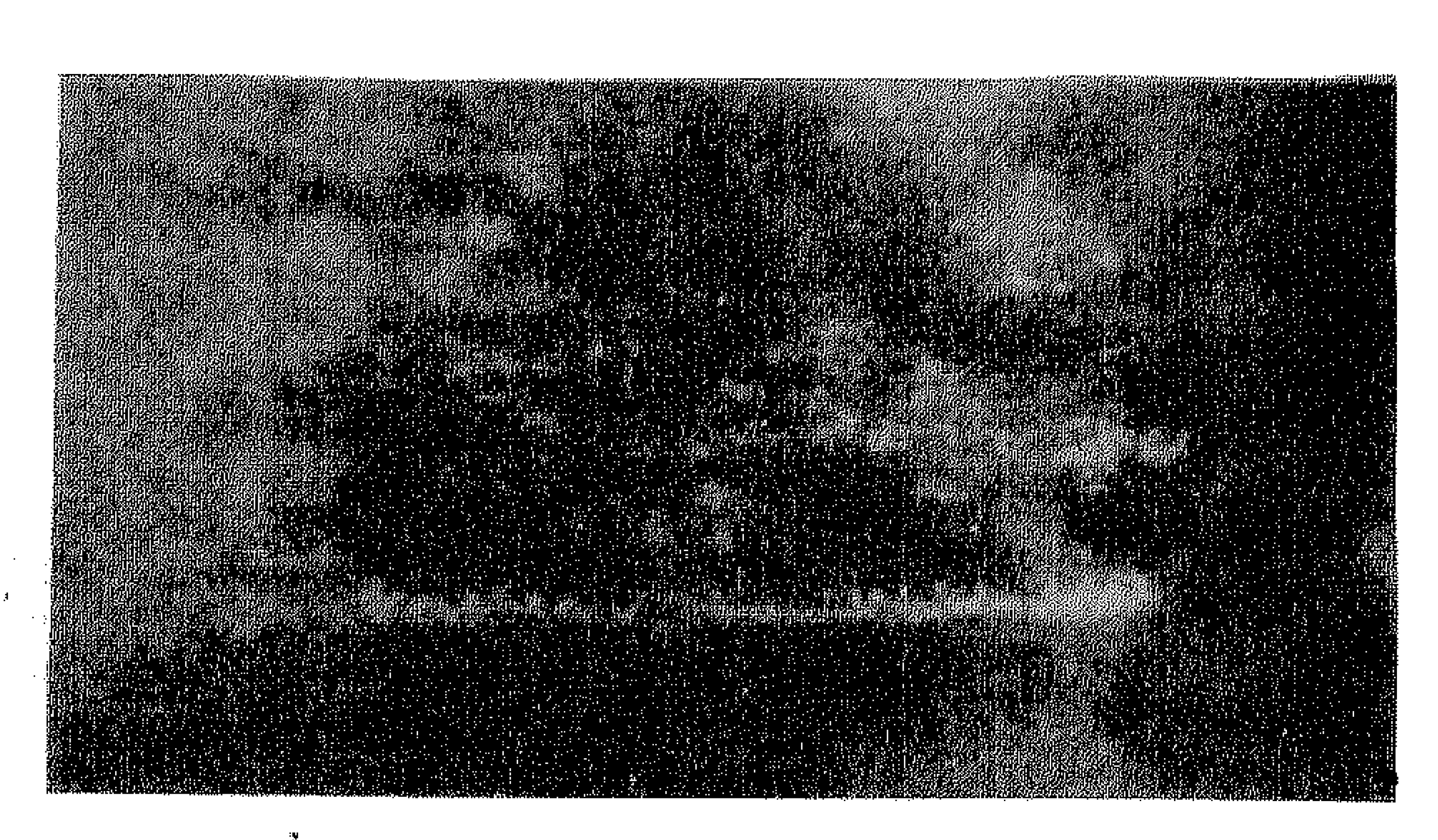
(ب) : انعكاسات الأشعة لسبيكة السيف

شكل (١) : فيلم الأشعة السينية المأخوذة لنواتج الصدأ المتكونة على سطح المعدن

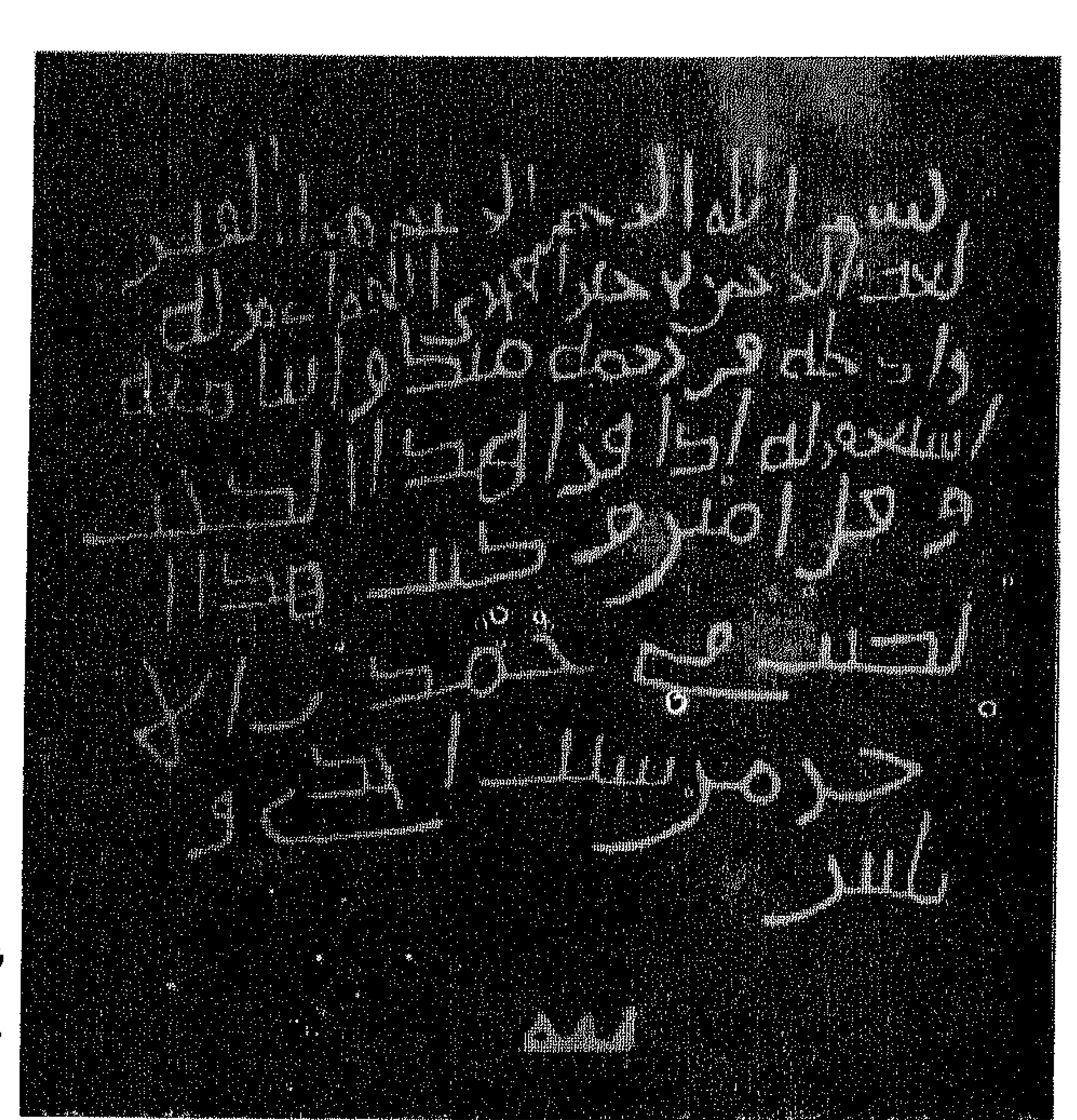
شكل (٢) : فيلم الأشعة السينية المأخوذة لسبيكة السيف



شكل (٣) : النمط الدمشقي لسطح السبيكة والتركيب الحبيبي للسبيكة



شكل (٤) النص من الكتابة العربية المحفور على سطح النصل .



شكل (٥) شاهد قبر يرجع الى ٣١ هـ

تم الطبع بالادارة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى
مدير ادارة المطبعة
اليونس حموده حسين
١٩٨٩/٧/١١

رقم الايداع ٤٥٩٠ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٠ ــ ٠٦٠ ــ ٢٥٣ ــ ٩٧٧

(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٨/١٥٩٣/٥٠٠٠)

